جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: التاريخ

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: تاريخ الأندلس

محاضرات مادة: تاريخ الأندلس

المحاضرة الاولى :

أوضاع الأندلس قبل الفتح الاسلامي .

أولا – الموقع و التسمية :

وضح الجغرافيون حدود الأندلس والتي تعرف باسم شبه الجزيرة البيرية والتي تشمل إسبانيا والبرتغال وتقع في الجنوب الغربي من أوربا، وتحدها المياه من ثلاث جهات إلا الجزء الشمالي تحدها سلاسل جبلية تفصلها عن فرنسا (الجنوب الفرنسي) .. هذه السلاسل تسمى سلاسل جبال (برتات والبرني) ويحيط بها من الناحية الغربية والجنوبي الغربي المحيط الاطلسي الذي كان يسمى عدة تسميات في السابق حيث كان يطلق عليها (بحر الازرق أو بحر الظلمات أو البحر الكبير)

و يحدها من الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية البحر المتوسط الذي كان يسمى (البحر الروماني أو البحر الشامي) ويفصلها أيضا في منطقة الجنوب مضيق مائي هو مضيق جبل طارق (بحر الزقاق) عن المغرب والذي يبلغ عرضه من 16 إلى 32 كم.

تتميز جغرافية شبه الجزيرة الأيبيرية بكثرة السلاسل الجبلية والوديان والأنهار حيث توجد فيها العديد من الأنهار أهمها (الأبرو ، ونهر المنهو ونهر دويرة ونهر تاجة ووادي آنه والوادي الكبير) و ساعدت هذه الأنهار على ازدهار الزراعة حيث تميزت بأراضي سهلية التي تسمى باللغة الاسبانية (المزيتا) أي يعني الأراضي الخصبة كذلك ساعدت الأنهار على قيام المدن لأنها مصدر الحياة وأهم هذه المدن هي (غرناطة – قرطبة – وأشبيلية – طليطلة) وغيرها من المدن التي قامت على ضفاف الأنهار.

وأيضاً ساعدت على ازدياد حركة التجارة الداخلية بين المدن وكذلك التجارة الخارجية كانت مزدهرة بسبب موقعها المتميز.

مناخ إسبانيا يتميز مناخ إسبانيا بالاعتدال ولكن كلما تقدمنا نحو الشمال باتجاه فرنسا تزداد البرودة وتزداد الأمطار وتساقط الثلوج

أما الصناعة : تتميز إسبانيا بوجود معادن كثيرة كالنحاس والحديد الذي يوجد بشكل كبير فيها مما أدى إلى وجود العديد من الصناعات مثل صناعة الأواني المطبخية والآلات الزراعية

أما عن تسميتها, فقد كانت تسمى بـ(ايبارية) نسبة إلى نهر ايبرو ،وأطلقت عليه تسمية اشبانيا نسبة إلى حاكم اسمه أشبان بن طيطش، وعندما حكم الرومان أطلقوا عليها اسم (هصبانية) أو (اصبانيا) لتتحول

هذه اللفظة في العصور الوسطى إلى اسم (إسبانيا) وعندما جاء العرب المسلمين أطلقوا تسمية الأندلس على المناطق التي حكمها المسلمين ·

أما مصطلح الأندلس : وأتت هذه التسمية من عدة روايات هي:

الرأي الأول يذكر إلى أن أصل اللفظة نسبة إلى أندلس بن يافث بن نوح (ع) الذي أول من عمر هذه الأرض فسميت باسمه .

الراي الثاني يشير إلى ان هناك اقوام سكنت الجزيرة بعد الطوفان وكان ملكهم اسمه أندلش فسميت الجزيرة باسمه .ثم عربت بعد الفتح إلى الأندلس وقيل ايضا هذه التسمية نسبة إلى ملك اسمه أنجش بن أشبان .

الرأي الثالث يقول أن أصل الكلمة يونانية تحت اسم اشبانيا ثم سميت أباريا .

الرأي الرابع : ان سبب هذه التسمية يعود إلى قبائل الوندال الذين اطلقوا عليها اسم ماندليسيا أي بمعنى السكان القدماء لشبه الجزيرة (الأيبيرية).

الراي الخامس أندلوشيا : هي من التسميات التي أطلقت على شبه الجزيرة الايبيرية وسبب إطلاق هذه التسمية إلى راهبة اسمها القديسة لوسيا التي كانت تبحث عن أرض لا يوجد فيها فساد فأتاها هاتف من السماء اذهبي إلى أندلوشيا فذهبت اليها وسكنت بها فأطلقت عليها هذه التسمية علما أن هذه الرواية أسطورية

المحاضرة الثانية:

الحالة الدينية في الأندلس قبل الفتح العربي الاسلامي:

تنتشر المسيحية في إسبانيا على شكلين الكاثوليك الذي هم يمثلون الأغلبية في المجتمع الاسباني والأريوسي وهم المتمثلين بالغوط

الغربيون والذي يؤمن بطبيعة السيد المسيح البشرية، وبما أن أغلبية المجتمع الإسباني كانوا يعتنقون المذهب الكاثولوكي رأوا الغوط الغربيون في زمن الملك ريكارد من الأفضل لهم إعتناق المذهب الكاثولكي وترك المذهب الأريوسي ثم تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي في سنة 587م وهو الغالب في البلاد وكان من نتائج هذا التحول على الوضع في إسبانيا هو الارتباط الوثيق للكنيسة بالبلاط الملكي فضلا على ذلك أصبحت اللغة اللاتينية اللغة الرسمية في إسبانيا .

اليهودية : كان تنتشر اليهودية في شبه الجزيرة الايبيرية منذ قديم الزمان إلا انتشارها كان بشكل قليل وذلك لأنهم ليس لديهم دعوه ومعزلين ومنغلقين على أنفسهم وكانوا يتميزون بالتجارة ويمتلكون اقتصاد الدولة بأيديهم وكانوا يسكنون في مناطق مهمة مثل إشبيلية وطليطلة لكن كان الشعب الإسباني ينظر إليهم نظرة احتقار وحقد لأنهم كانوا يتعاملون بالربا وكان القوط أصدروا عدة مراسيم ضدهم منها :

1-إصدار مكتوب عدم اشتغالهم بالتجارة .
2-إعطاء أراضيهم للدولة.
3-عدم استخدام العبيد من النصارى لديهم .
4-أخذ أطفالهم وهم في سن السابعة من أجل تعلمهم الديانة النصرانية .
5-عدم تزويجهم من النصارى ثم أصدروا مرسوم طردهم إلى شبه الجزيرة الايبيرية ويذكر المؤرخون أن سبب اضطهادهم من قبل المجتمع الإسباني يعود إلى عدة أسباب منها :

1 – بسبب عقيدتهم المخالفة للمسيحية .

2 – انغلاقهم على أنفسهم وعدم التعامل مع الآخرين .

3 – تآمرهم مع الدولة البيزنطينية تعد من الأسباب التي أدت إلى طردهم.

4– تعاملهم بالربا الذي أثر على الاقتصاد الإسباني.

الديانة الوثنية : كانت هذه الديانة في المناطق الجبلية في أقليم الباسك (البشكنس) الذين يتميزون بالقوة لأنهم كانوا يعيشون في المناطق الجبلية وأيضاً على مدى تاريخهم لم ينظموا إلى أي حكم وإلى وقتنا هذا يعبدون الأوثان .

قبل دخول العرب إلى الأندلس مر القوط الغربيين بمرحلة ضعف حيث اختلفوا فيما بينهم بسبب موت آخر الملوك (غيطشة) وأراد (غيطشة) تعين ابنه ولي العهد لكن النبلاء رفضوا ذلك بسبب كرههم (لغيطشة) وبوفاته حدثت ثورات كثيرة في الأندلس وعدم موافقة النبلاء بتعين ابنه ، عند ذلك قرر النبلاء بتشكيل مجلس نبلاء وانتخاب ملك جديد هو (لوذريق) حيث تم انتخابه بالقوة لكونه أقوى شخص في طبقة النبلاء فأخذ الملك بحد السيف وهذا الملك بدأت بعهده ثورات عديدة حيث بدء الضعف يدب بالدولة بعد الخلافات بين النبلاء وتردى أوضاع السكان في جميع النواحي وهروب اكثر العبيد من الجيش

وكل هذا الامور أدت إلى دخول العرب المسلمين إلى الأندلس مستغلين ضعف القوط .

المحاضرة الثالثة – دوافع فتح الأندلس ومراحل الفتح :

يذكر المؤرخون أن فتح الأندلس يعود إلى عدة دوافع فمنها متفق عليها ومنها غير متفق عليها .

أولا – الدوافع المتفق عليها هي:

1 – دافع نشر الإسلام : يقصد بهذا الدافع هو نشر الدين الإسلامي وأعلاء راية الله أكبر فكان العرب همه نشر الدين الإسلامي وإنقاذ الناس وتحويلهم من الشرك إلى الإيمان .

2 – الدافع السياسي : لتأمين حدودهم من جميع الجهات فكانت حدودهم الشمالية مواجهة للقوط فكان لا بد من حماية حدودهم الشمالية والتي كانت قريبة من جنوب الدولة القوطية وذلك بالسيطرة على شبه الجزيرة الايبيرية .

3 – إنقاذ المجتمع الإسباني من الظلم والطغيان حيث أن المجتمع الإسباني يقبل أي تغيير يطرأ عليهم بسبب الظلم والفساد الذي كانوا يعيشونه واستقبلوا التغيير من العرب بشكل كبير لأنهم يعرفون العرب بحسن معاملتهم الطيبة وعلى هذا الأساس لم يبدوا أي مقاومة لدخول العرب إلى بلادهم.

4 – الدافع الجغرافي : كان العرب أمام منطقتين لنشر الإسلام وهي المنطقة الجنوبية وهي منطقة صحراوية جنوب المغرب حيث أنتشر فيها الإسلام عن طريق التجارة , أو المناطق الشمالية هي شبه الجزيرة الايبيرية رأوا أن المنطقة الشمالية هي الأصلح لنشر الإسلام وذلك لكثرة السكان فضلا عن ذلك أن سكانها كانوا يعيشون حالة من الظلم والتخلف فتوجهوا إليها العرب لنشر الاسلام ،أما المنطقة الصحراوية جنوب المغرب أنتشر فيها الاسلام فيما بعد عن طريق التجار.

5 – وقد أراد العرب إشغال البربر بفتوحات جديدة ولاسيما بعد دخول أعداد كبيرة في الدين الإسلامي وبدأو بإثارة المشاكل فوجهوهم من أجل فتح مناطق في شبه الجزيرة الايبرية .

ثانيا – الدوافع الغير متفق عليها:

أي لم يثبتوا العرب صحتها وهي :

1 – حادثة ابنة الملك (كونت جوليان)

كونت جوليان حاكم مدينة سبته الذي أصبح تحت حكم العرب المسلمين .كان من عادة النبلاء والحكام إرسال أولادهم إلى قصر الملك في مدينة (طليطلة) العاصمة من أجل تعليمهم أمور السياسة والآداب والفروسية وفي أحد المرات رأى الملك لوذريق ابنة الملك (كونت جوليان) التي اسمها (فلورا) فأعجب بها لجمالها فأراد أن يتزوج بها إلا أن (فلورا) رفضت فأعتدى عليها الملك ... وأرسلت الخبر إلى والدها فذهب إلى

العاصمة (طليطلة) وجلبها ، وفيما بعد حث العرب على دخول الأندلس إذ اتصل الملك جوليان ب (طارق بن زياد) (موسى أبن نصير) وهون عليهم فتح الأندلس ... إلا أن هذه الرواية غير صحيحة لعدة أسباب منها:

1-لم تكن علاقة الكونت جوليان بلوذريق حسنة بعد قطع الإمدادات عنه التي كان يرسلها غيطشة فكيف يرسل ابنته

2- أن الكونت جوليان لم يكن تابعا إلى لوذريق بل إلى الدولة الرومانية فكان يرسل ابنته إلى روما 3-كيف بالسلمين أن يعرضوا بالجيش من أجل ابنة الملك جوليان وهو مسيحي . مع العلم أن لجوليان دور مؤثر في فتح الأندلس التقى بمصالح العرب ورأى أن المستقبل سوف يكون لصالح العرب وليس للقوط وخصوصا بعد أن قطع الملك (لوذريق) الإمدادات عنهم .

3 – أولاد غيطشة :

يذكر المؤرخين أن أولاد غيطشة بعد أن سيطر لوذريق على الحكم ذهبوا إلى طارق بن زياد في (طنجة) بعد أن أخذ منهم الأموال . وكان حاكم طنجة هو طارق بن زياد لحثه على فتح الأندلس وكانوا يعتقدون بدخول طارق بن زياد إلى الأندلس سوف يأخذون الغنائم ويرجعون . حيث ذكر المؤرخون بأن حدث لقاء بين أولاد غيطشة مع طارق بن زياد ولكنه لم يحدث في الحقيقة في طنجة وإنما حدث قبل المعركة الفاصلة علم أولاد غيطشة أن الانتصار لا محال ل (طارق

بن زياد) فذهب أولاد (غيطشة) إلى طارق يعرضون عليه المساعدة بأنهم ينسحبون مقابل أن يعطيهم (صفايا الملك ثلاثة آلاف ضيعة) وكانوا يعتقدون بأن طارق بن زياد سوف يأخذ الأموال والغنائم ويرجعون .

4 – الدافع الاقتصادي : كان المستشرقون (سموا بهذا الاسم لأنهم غربيون وكتبوا عن الشرق) حيث كانت جميع كتاباتهم عدائية ضد الاسلام حيث ذكروا بأن العرب في شبه الجزيرة الايبرية هو هدفهم اقتصادي والحصول على الأموال وليس هدف لنشر الاسلام هذا غير صحيح هدفهم نشر الاسلام والحصول على الأموال تحصيلا حاصل لأن المنتصر يحصل على كل شيء.

5 – دافع اليهود : بالغ المؤرخون الاسبان في قولهم أن لليهود دور مهم وكبير في مساعدة العرب في الدخول إلى شبه الجزيرة الايبرية من أجل إلحاق صفة الغدر باليهود ،ومما يذكر لهم دور ولكن ليس مؤثر في شبه الجزيرة الايبرية بل فقط كان دورهم في مساعدة العرب في إعلامهم عن أماكن القوط وحتى اليهود أنفسهم أنكروا هذا الدور.

المحاضرة الرابعة – أوضاع الأندلس من الفتح وحتى معركة شذونة:

ظهرت هذه الفكرة في فترة الوالي موسى بن نصير حيث بدأت الاستعدادات بفتح شبه الجزيرة الأيبيرية لتأمين حدودهم حيث جهزوا أمورهم وبعد ذهاب كونت جوليان إلى طارق بن زياد وطرح عليه فكرة الفتح فذهبوا إلى القائد العام الذي كان في ذلك الوقت (موسى بن

نصير) إلى مقره في مدينة القيروان عاصمة المغرب فذهب ولكن موسى بن نصير لا يستطيع إعطاء رأيه فلا بد من موافقة الخلافة الأموية المتمثلة بالخليفة الوليد بن عبد الملك سنه 91 هـ فذهب موسى إلى الخليفة لعرض عليه فكرة الفتح ولكن الخليفة رفض في بداية الأمر وذلك خوفاً على أرواح المسلمين ولكن بعد الالحاح عليه وافق على شرط ارسال حملة استطلاعية ليقرروا ماذا يفعلون فتم تجهيز هذه الحملة بقيادة (طريف ابن مالك المعروف أبو زرعه) تكونت الحملة من خمسمائة شخص مئة فارس وأربعمائة من مشاة وذهبوا على مراكب مهيئة من قبل الكونت جوليان بمراكب تجارية لكي يبعدوا الشك عن انفسهم وايضاً حيث كانت هنالك علاقات تجارية بين شبه الجزيرة الايبرية والمغرب فذهبت تلك الحملة ونزلت بحراً جزيرة (بالمي) أو ما يعرف (لاس بالماس) وعند نزول (طريف أبن مالك) إلى الجزيرة سميت بـ (بجزيرة طريف) .

نزلت الحملة في جزيرة (طريف) وكان في أنتظار تلك الحمله المؤيدين الكونت (جوليان) لانهم لديهم خبر لوصول الحملة حيث كانوا أدلاء لطريف ومنهم اليهودي يعقوب ومكثت الحملة في جنوب اسبانيا ما يقارب الشهر واستطاع الحصول على العديد من الأمور في سنه 91 هـ رجعت تلك الحملة وكتبت تقرير مفصل إلى موسى بن نصير بما تمخضت عنه تلك الحملة من امور:

1 – التعرف على أوضاع مجتمع اسبانيا الذي تميز بالظلم والانحطاط .

2 – التعرف على طرق التجارة وطرقها الجغرافية . فقبل الحملة لا بد من معرفة طرقها .. وما هي اقصرها وأحسنها .

3 – التعرف على غنى شبه جزيرة الايبريه بما تحتوي من خيرات مختلفة .

4 – بين صدق نوايا الكونت جوليان .

ثم أرسل موسى بن نصير تقرير الحملة إلى الخليفة فوافق الخليفة على تهيئة الظروف لفتح الأندلس بعد أن أيقن أن جميع العوامل مهيئة لعملية الفتح فقرر طارق بن زياد وموسى بن نصير بتجهيز الحملة من خلال تجهيز السفن في دار صناعة السفن في تونس وأيضاً يشترط على ان تكون مراكب على شكل سفن تجارية ليبعد الشك فضلاً عن سفن الكونت جوليان ... بعد أن اكتملت الحملة استعداداتها وبلغ عدد أفرادها سبعة آلاف مقاتل أغلبهم من البربر فضلا عن أعداد من العرب ،وكان لا بد من اختيار قائد فكان أمام موسى بن نصير عدة أسماء لها دور في فتح المغرب الا أن موسى أختار القائد طارق بن زياد الذي كان يبلغ (20) عام من العمر ويعود اختيار طارق بن زياد إلى عدة أسباب :

1 – أن طارق بن زياد كان من البربر وأغلبية الجيش في الحملة كانوا من البربر .

2 – ليشعرهم أنهم متساوين مع العرب بأداء مناصب مهمة لديهم .

3 – كان طارق بن زياد قائد عسكري وله خبرة في الأمور العسكرية ولديه همه ونشاط ... فأحس موسى بن نصير أن الاختيار الأفضل هو طارق بن زياد .

بعد اختيار القائد الحملة لا بد من اختيار توقيت موقع الاختيار في شهر رجب أي في وقت الربيع وليس في الشتاء لأن في الشتاء تكون الأجواء باردة في اسبانيا ومعتدلاً في الربيع ... وفعلاً بدأت الحملة بالإبحار في مدينة (سبته) إلى الجزيرة الخضراء في رجب سنة 92 هـ إلا أنهم وجدوا مقاومة قوطية فرجعوا إلى سبته لاختيار المكان المناسب لنزول الحملة إلى اسبانيا فتوجهوا نحو جبل طارق هو منطقة صخرية تكثر فيه الاحجار ولا ترسو عليه السفن لكونها منطقة حجرية فعمل على القاء السلاسل الحديدية وبقايا فضلات الدواب التي معه من أجل رسو السفن فاستمرت عملية نقل الجند من سبته إلى جبل طارق أربعة أيام حتى تم نقلهم جميعاً وكان يسمى جبل طارق في السابق بجبل (كالبي) وسمي بالجبل المجوف وهي تسمية فينيقية تعني المغارة الكبيرة التي فيه ويسميه الأسبان باسم القديس ميخائيل والإنجليز باسم مغارة القديس جورج ويعرف بغار الأقدام لوجود آثار أقدام فيه من العصور الجليدية بعد نزول طارق بن زياد اليها أصبح يسمى (جبل طارق)

نسبة إلى القائد طارق بعد ان استكمل في نقل الجنود قام لهم معسكر في جبل طارق وقام بتحصينه ومن هناك قام بإرسال حملة عسكرية هدفها السيطرة على الجزيرة الخضراء

وكما موضح في الخارطة أدناه:

وذلك لعدة أسباب أهمها ...

1 – حمايه خطوط المواصلات والامدادات بين الشمال الافريقي وشبه الجزيرة الايبيرية .

2 – حتى يؤمن من جبهته الخلفية للجيش في حاله تركه لتلك الجزيرة وتوغله في اسبانيا.

وكانت الحملة بقيادة (عبد الملك بن عامر المعافري) واستطاعوا من السيطرة على الجزيرة (الخضراء) فأمنوا مؤخرة الجيش وبعد السيطرة على جزيرة الخضراء توجهوا نحو الجنوب فكان الملك لوذريق منشغل بالقضاء على ثورات قبائل (البشكنس) فارسل لهم حمله بقيادة (الدوق تدمير) واستطاع طارق بن زياد من الانتصار عليهم وبعدها أرسل ابن أخيه (شنت أجنح بقوه عسكرية واستطاع الانتصار عليهم عند ذلك أيقن لوذريق أن هدف طارق بن زياد هو السيطرة على الأندلس لأنه كان يعتقد هدف المسلمين الحصول على الغنائم ثم يعودون إلى المغرب ،فرجع إلى العاصمة طليطلة ثم قام بمصالحة مع أولاد غيطشة والنبلاء من أجل توحيد صفوفهم ضد طارق بن زياد .فاستطاع لوذريق ذلك أن يكون جيش من مئة الف مقاتل وقيل خمسين ألف ،وبعد أن علم طارق بن زياد بعدد جيش لوذريق أرسل إلى القائد موسى بن نصير يطلي منه مدد فأرسل اليه جيش عددها خمسة الاف بقيادة طريف بن مالك المعافري ابو زرعة فاصبح الجيش أثنا عشر مقاتل ومع لوذريق مئة ألف مقاتل فتقدم لوذريق نحو الجنوب من أجل ملاقاة طارق بن زياد فمكث في شذونة وجرت المعركة في يوم (28) رمضان واستمرت

تلك المعركة 8 أيام وكانت هذه المعركة شديدة على الطرفين ... وسميت بعدة أسماء منها (وادي البرباط) و (وادي بكة) السواقي وفضلاً عن اسمها معركه (شذونة) وفي يوم الثامن من المعركة قرر طارق ابن زياد اختيار مجموعة معينه والتقدم نحو (الملك) بنفسه واستطاع السيطرة على (خيمه الملك) وقد هرب لوذريق ولم يعرف مصيره فقيل قد مات وقيل انه اختفي واستطاع طارق بن زياد من السيطرة على منطقة شذونة والقضاء على قوة القوط الرئيسية وسميت تلك المعركة بعدة أسماء لأنها وقعت في مناطق مختلفة.

نتائج معركة شذونة :

1 – بينت هذه المعركة ضعف الحكم القوطي وضعف العلاقات بين النبلاء وبين لوذريق وأولاد غيطشة إذ أنهم في أثناء المعركة هرب النبلاء وأولاد غيطشة لوذريق فضلاً عن العبيد

2 – اسقطت هذه المعركة حكم القوط الأندلس بعد أن أستمر حكهم ثلاث مائه عام .

3 – أصبحت مهمة طارق بن زياد سهلة في عملية الفتح لأنه قضى على القوة الرئيسية هم القوط وأصبحت مهمة الجيش سهلة ..

المحاضرة السادسة – أوضاع الأندلس بعد معركة شذونة :

بعد توجه طارق بن زياد إلى منطقة (مورو) استطاع السيطرة عليها وبعدها توجه نحو مدينة (أستجه) الا أن تلك المدينة قاومت

طارق بن زياد بسبب تجمع القوط المهزومين في هذه المنطقة الا أن بعد الحصار على (أستجه) وقطع عنها الامدادات استطاع طارق من دخول المدينة ووقع اتفاقية معهم التي ضمنت على :

1 –حرية الدين .

2 – دفع الجزية .

3 – أخذ أموال الذين قتلوا والذين هربوا من مدينه (أستجه) وبعد ذلك أتت الانباء إلى طارق بن زياد بوجود تجمع (طليطلة) من القوط واولاد غطيشه من أجل انتخاب ملك فرأى طارق بن زياد أن هذا الأمر يؤثر على عملية الفتح فقرر بتقسيم جيشه إلى قسمين .برأي من الكونت جوليان

الأول : بقيادة مغيث الرومي حيث توجهوا نحو قرطبة ومعه سبعمائة مائة فارس والثاني : بقيادة طارق بن زياد .

حيث أن جيش مغيث الرومي وجدوا في قرطبة الحامية القوطية ومنعوهم من دخول قرطبة وفرضوا الحصار عليهم . إلى ان وجد مغيث ثغرة في السور من الناحية الجنوبية الشرقية فدخلوا تلك المدينة وانتقل المحاصرين إلى كنيسة المدينة الا أن بعد حصارها وقطع الامدادات عنها هرب قائد الحامية فقتلوه في الطريق وأصبح مغيث الرومي هو المسيطر وأما جيش طارق بن زياد توجهوا نحو العاصمة حيث هربوا

من جيش طارق ولم يجد أمامه أي أحد حيث هربوا وأخذوا الاموال وغيرها فدخل تلك المدينة والعاصمة وسيطر عليها .

أستطاع أن يسيطر على (وادي الحجارة) حيث وجد فيه مائدة حيث يقول المؤرخون أنها تعود إلى نبي الله سليمان الا أن الرواية الصحيحة تقول أنها تعود إلى الكنيسة في مدينة (طليطلة) ولكن تركوه في الخريف وهربوا وايضاً تركوا الذهب والمجوهرات وأستطاع طارق بن زياد من السيطرة على طليطلة وبعدها توجه طارق إلى جنوب الأندلس ووسطها .. وأرسل طارق بن زياد الخبر إلى الوالي موسى بن نصير يبشره بالنصر فبدء البربر والعرب التوجه إلى الأندلس ثم بدء موسى بن نصير بالتجهيز لحملة كبيرة لمساعدة طارق بن زياد وهذه تعد الحملة الثانية لاستكمال عمليه الفتح.

وقبل ان ننهي الحديث عن حملة طارق بن زياد لابد من الإشارة إلى قصة إحراق السفن من قبل طارق بن زياد وهناك مؤيد لها ومعارض ولكل وجهة نظره تجاه الموضوع .

وأهم هذه الآراء :

1. ق

ام طارق بحرق السفن لكي يقطع الطريق على المسلمين للعودة وبالتالي يتفانى المسلمين في القتال للنصر أو الشهادة بدليل الخطبة التي قالها طارق (أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس

لكم والله الصدق والصبر ، واعلموا إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام) .

2. ر

فض عدد من المؤرخين هذه الرواية للأسباب التالية :

أ. أن قسم من هذه السفن كانت تابعة لجوليان وليس للمسلمين .

ب. إن المصادر القديمة التي تكلمت عن مراحل الفتح لم تتطرق لهذه الرواية .

ج. التشكيك في أسلوب الخطبة لبلاغته حيث إن طارق بربري الأصل ويشير العبادي أنه من الممكن أن يتكلم باللسان المغربي لأن الجيش أغلبه من البربر . ثم ترجمت إلى اللغة العربية بعد أن تم إضافة إليها محسنات أدبية .

د. عملية حرق السفن غير مقبولة بسبب ما تشمله من مخاطرة بأرواح المسلمين خاصة وانه يحتاج إليها في نقل المؤونة والعدة والسلاح والمقاتلين .

هـ. كتبت في هذه الرواية باللغة العربية الفصحى وأن أغلب الجيش كان من البربر فكيف قائد بربري يلقي خطبة حماسية اضافة إلى أن الخطبة تخلو من جميع الآيات القرآنية والأحاديث وأن أسلوبها كان سجع فكيف الخطبة تحث الجنود ولا يوجد فيها نص قرآني.

و. رغبة المسلمين في نشر الإسلام سواء العرب أو البربر يدفعهم في ذلك العامل الجهادي لأعلاء كلمة الله .

خامسا – قدوم موسى بن نصير إلى الأندلس :

أسباب توجه موسى بن نصير إلى الأندلس؟

1 – يذكر المغرضين من المؤرخين أن أسباب حملة موسى هو حسده لطارق بن زياد لعدة انتصاراته لذلك قرر تجهيز حمله ليكون له نصيب الا أن هذا القول خاطئ ووضعه المغرضين .

2 – أراد استكمال عملية فتح الأندلس وخصوصاً بعد أن اوغل طارق بن زياد مساحات شاسعة في الأندلس واصبح لديه جند قليل بسبب لأن كل منطقة يترك فيها حاميه فضلاً عن ان الجيش اصبح مرهقا ،فضلا عن ووجود حاميات قوطيه كبيرة مثل أشبيليه وسرقسطة وماردة مما يؤثر على الجيش الاسلامي في الأندلس .. فاذا استطاع القوط من تجميع قواهم فانهم سوف يقطعون الاعدادات عن طارق لذلك قرر موسى بالتجهيز لتلك الحملة من أجل حماية جيش طارق .

3 – النقص الذي حل جيش طارق لأنه مكث فيه فلا بد من إرسال أمدادات له أخرى لاستكمال عملية الفتح .

فبدء موسى بن نصير يستعد لإعداد عملية عسكرية كبيرة إلى الأندلس فأوعز إلى دار صناعة السفن في تونس وفضلاً عن إعلان النفير العام من أجل تجمع الجنود و تم تهيئة جيش بلغ (18) ألف مقاتل ... واختلفت حملة موسى عن حملة طارق بن زياد فكانت حملة طارق مكونة من القبائل البربرية أما حملة موسى حيث تكونت من العرب من قبائل قيسية ويمانية وغيرها ... وقد قام موسى بتقسيم جيشه إلى وحدات حيث قسمها إلى (20) وحدة مقاتلة ولكل وحدة رايه وقائد وكانت رايتان بيده وواحدة بيد ابنه عبد العزيز فرافقه في الحملة

أغلب أولاده ما عدا ابنه (عبد الله) الذي اصبح نائبا عن والده في القيروان أبحرت حملته من مدينة سبته ونزلت في (الجزيرة الخضراء) سنة 93 هـ وهناك التقى مع الكونت جوليان حيث تدارسوا الموقف في الأندلس حيث قرر بعدم التوجه في نفس طريق طارق انما أتخذ طريق مغاير لاستكمال عملية الفتح إذ توجد مدن مهمة تحت سيطرة القوط منها (أشبيلية , ومارده) وغيرها بعد أن رتب الجيش عمل موسى على إنشاء مسجد في الجزيرة الخضراء أطلق عليها (مسجد الرايات) نسبة إلى الرايات التي رفعت في الحملة .

أول عمل قام به موسى هو إعادة السيطرة على مدينة شذونة إذ رجعت فلول القوط إليها من جديد وتوجه بعدها إلى مدينة مهمة وهي (قرمونة) ففي البداية رفضت هذه المنطقة الاستسلام إلى موسى بن نصير , وبعد أن فرض عليهم الحصار وقرر استخدام الحيلة حيث كان معهم أتباع كونت جوليان فقرروا الذهاب إلى قرمونة بحجة أنهم هربوا من جيش المسلمين ففتحوا لهم الباب وفي الليل فتح الباب أمام جيش موسى فدخل المدينة ووضع اتفاقية معهم التي نصت على :

1 – ضمان حرية الدين : فمن دخل الاسلام دخل , أما الشخص الذي لم يدخل عليه دفع الجزية

2 – أخذ أموال النبلاء الذين هربوا والذين قتلوا بعد أن استكمل سيطرته على (قرمونة) توجه نحو (اشبيلية) التي تعد من أهم المناطق في الجنوب الغربي في اسبانيا فاستطاع من السيطرة عليها بعد أن فرض

الحصار الشديد الا أن المدينة رفضت دخول موسى .. واستطاع فيما بعد من الدخول بمساعدة اليهود الموجودين داخل المدينة وبذلك تمكن السيطرة عليها ، ثم توجه نحو ماردة وفرض عليها حصار شديد استمر عدة أشهر إلى أن طلب أهلها الصلح وذلك في سنة 94 هـ ومن بنود وثيقة الصلح :

بنود صلح مدينة ماردة :

1-عدم التعرض بالأذى للسكان المحليين سواء الباقين بالمدينة أو المغادرين .

2- إعطائهم الحرية الدينية لممارسة الطقوس الدينية والشعائر .

3- أعطت المعاهدة للمسلمين حقوق التملك للذين قتلوا في المعارك.

مكث فيها شهرا ثم توجهه نحو طليطلة وعندما علم طارق بن زياد بقدومه خرج إليه لإستقباله والتقيا في منطقة المعرض ثم توجها نحو طليطلة ومكثوا فيها فترة الشتاء وأرسلوا إلى الخلافة في دمشق وفدا يتألف من مغيث الرومي وعلي بن رباح التابعي ينقلون إليهم أخبار الفتح ،ثم بعد ذلك تحركوا نحو سرقسطة وفتحوها ثم لبلة وطركونة وبرشلونة ولاردة ووشقة .

وبعد ذلك قسم جيشه قسمين من أجل فتح قشتالة قسم بقيادة طارق بن زياد والقسم الثاني بقيادة موسى بن نصير ثم وصل في هذا الاثناء رسول الخليفة الوليد بن عبدالملك مغيث الرومي يطلب منه التوقف من إكمال الفتح لخوف الخلافة على أرواح المسلمين ولا سيما كان في نية موسى فتح اسبانيا ثم التوجه إلى فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية من

أجل محاصرة القسطنطينية من جهة الشرق والغرب إلا أنه استطاع من إقناع مغيث من إكمال العملية وأعطاه القصر في قرطبة ونصف حصته من الغنائم ،سار طارق بمحاذاة الجهة الشمالية لوادي نهر أبرو فهاجم مناطق الباسك فأفتتح ليون واسترقة واماية ، أما موسى بن نصير اخذ الجهة الجنوبية لنهرأبرو ووصل إلى صخرة بلاي على المحيط الأطلسي وفي هذه الأثناء وصل رسول الخليفة وهو أبو نصر يطلب منهم التوقف واخذ لجام فرس موسى بن نصير وايقافه بالقوة ،عندئذ رضخ موسى لهذا الأمر فرتب أمور الأندلس اذ ترك ابنه عبد العزيز واليا على الأندلس ،وأتخذ من أشبيليه مقر الولاية في الأندلس وذلك لعدة أسباب :

1 – لأن أشبيلية تمثل حلقة وصل بين الطرق في الأندلس لان موقعها في الوسط .

2 – قرب أشبيلية من البحر المتوسط .

3 – سهولة وصول الامدادات لها .

4 – كان سكانها من العرب لأنهم مقيمين فيها .

كل هذه الأسباب أدت إلى اتخاذ أشبيلية مركزا للأندلس. ثم بعد ذلك قام موسى بالتجهيز للرحيل عن الأندلس في ذي الحجة من سنة 95 هـ والرجوع إلى دمشق حيث أخذ معه الغنائم النفيسة والأموال والجواري وفي الطريق طلب منه الأمير ولي العهد (سليمان بن عبد

الملك) منه التريث قليلا لأن الخليفة الوليد كان على فراش الموت حتى يصبح هو الخليفة وينسب النصر إليه والغنائم تؤول إليه . فواصل مسيرته حتى وصل إلى الخليفة الوليد سنة 96 هـ وبشره بالنصر , وعاتبه الخليفة على تأخره وعدم إطاعة الأوامر بعد فترة توفي الخليفة الوليد وعندها عمل الخليفة سليمان على تجريد موسى بن نصير من جميع أموال ووضعه في السجن ... والسبب الذي جعل الخليفة سليمان يأمر بسجن موسى هو عدم تنفيذه لأوامر الخليفة ولتبديده أموال المسلمين . إلا أن الأمير (عمر بن عبد العزيز بن مروان) توسط له عند الخليفة سليمان وأطلق سراحه , وبعدها عادت علاقتهما بينهما وأصطحب الخليفة سليمان موسى بن نصير معه إلى الحج سنة 97 هـ وبعدها توفي موسى حيث يقال أنه توفي 97 هـ وقيل توفي 98 هـ .

يوعز المؤرخين إلى عدة أسباب التي فيها عزل موسى بن نصير من قبل الخليفة سليمان من هذه الأسباب هي :

أن الخليفة الجديد سليمان أراد تغيير الخلافة الأموية وجعلها خلافة عامة وتغيير القادة العسكرية ومنهم قائد جيش العربي الاسلامي في المشرق محمد بن قاسم الثقفي لأنه أراد سليمان سياسية الاستقرار وليس سياسة عسكرية

أما طارق بن زياد فأن أخباره اختفت حيث لا يوجد أي ذكر عنه سوى ذكر في رواية أن الخليفة سليمان أراد تعينه والياً على الأندلس إلا أن مغيث الرومي نصح الخليفة سليمان لعدم توليه هذا المنصب لأنه له

أتباع وأنصار كثر وقد يستقل بولاية الأندلس عن الخلافة وبذلك لم يتم تعينه والياً على الأندلس . وبعدها أختفي ذكره .

المحاضرة السابعة – نتائج الفتح :

1 – أن الفتح العربي للأندلس لم يكن ارتجالي حيث كان ذا تنظيم لذلك تم فتح الأندلس خلال ثلاثة سنوات ونصف حيث أنه وقت قصير إذا ما قورنت هذه العملية بعملية فتح المغرب التي استمرت ما يقارب 75 سنة .

2 – ان انتصار العرب على القوط لم يكن نتيجة ضعف القوط عسكرياً .وأنهم لا يهدفون للحصول على الأموال وإنما هدفهم هو نشر الاسلام وإقامة مجتمع إسلامي يقوم على أساس العدالة

3 – أن هذا الفتح غير من طبيعة المجتمع الاسباني حيث بعد أن كان القوط ورجال الدين والنبلاء مسيطرين على الأراضي والأملاك .. أصبحت الأراضي موزعة على المسلمين والاسبان وحيث حدثت نهضة اقتصادية زراعية وظهور الملاكين الصغار .

4 – ان النبلاء الذين بقوا تحت السيطرة العربية بقوا على أملاكهم ولم يتعرض لها العرب مقابل دفع الجزية أو الضريبة وتم ارجاع أراضي أولاد غيطشة لهم التي كانت تسمى (صفايا الملك) .

5 – نتيجة الحرية والتسامح الذي اتبعها المسلمين دخل على أثرها الكثير من العبيد إلى الدين الاسلامي .

6 – أصبح لليهود دور مهم من الناحية الاقتصادية حيث ان العرب سمح لليهود ممارسة الأمور التجارية وفضلا عن دورهم في التجارة ظهر الكثير منهم كمفكرين .

7– غير هذا الفتح أحوال المجتمع الاسباني بعد أن كان يعاني من الظلم والحرمان والتخلف أصبح مجتمع متقدم ومتطور.

سابعا –دور عبد العزيز بن موسى بن نصير في الأندلس وبداية عصر الولاة:

بدأ عصر الولاة في الأندلس، منذ مغادرة القائدين الفاتحين موسى بن نصير وطارق بن زياد لهذه الأندلس، وذهابهما إلى بلاد الشام، وذلك في ذي الحجة سنة 95هـ، وينتهي بقدوم الأمير الأموي الطموح عبد الرحمن بن معاوية، المعروف بالداخل، وذلك في يوم عيد الأضحى سنة 138هـ، حيث امتد هذا العصر لمدة 42 عاما.

كان لعبد العزيز دور في الفتوحات إذ كانت له وحدة قتالية من الجيش و له راية بعد دخول المسلمين إلى الجزيرة (الخضراء) فأوكل إليه ابيه فتح مناطق مهمة حيث فتح مناطق جنوبية وجنوبية شرقية من الأندلس وهي تعد من أهم المناطق هي (غرناطة – والمرية – وبلنسية) ثم بعد ذلك توجه إلى شرق الأندلس التي تركزت فيها المقاومة القوطية وبالتحديد إلى كورة تدمير نسبة إلى حاكمها (الدوق تدمير) وكان رجلا شجاعا وحازما ومحبوبا من قبل السكان وهي في منطقه (مرسيه) وقد دافع عنها أهلها دفاع بليغ بالرغم من حصار عبد العزيز له الا أنه لم

يتمكن من الدخول لها عندئذ رأى الدوق تدمير هو من الأفضل له الدخول في طاعة العرب لأن العرب سيطروا على جميع أنحاء الأندلس فلابد من توقيع معاهدة حيث حصل على شروط الصلح عرفت بـ(اتفاقية دوق تدمير) تم توقعيها في رجب من سنة (94)هـ ونصت هذه الاتفاقية على :

1 – ان يبقى الدوق تدمير حاكما على تلك المنطقة المتكونة من سبع مدن تحت حكم المسلمين.

2 – دفع جزية مقدارها عن كل شخص حر دينار ذهبي وكميات من الحبوب أو شعير أو القمح .. ونصف ذلك عن النساء والعبيد .

3 – أن لا يؤو عدواً للمسلمين في منطقة واذا اقرت ذلك سوف يتعرضون للقتل وتنقض شروط الاتفاقية .

أما المهمة الأخرى التي تولاها في عهد ابيه هو القضاء على ثورة اشبيلية بعد أن أستطاع موسى بن نصير من السيطرة على (أشبيلية) إلا أن قوة استطاعت من القوط السيطرة على اشبيلية والقضاء على حاميتها الاسلامية عند ذلك أوكل إليه أبيه مهمة السيطرة على اشبيلية وفعلاً توجه بقوة عسكرية تمكن من إعادة السيطرة على اشبيلية كما استطاع من السيطرة على العديد من المدن في وسط البرتغال ابرة ولشبونة وقلمرية وشنترين.

دوره في الولاية : بعد أن ترك طارق وموسى بن نصير الأندلس جعل عبد العزيز والياً على الأندلس في نهاية سنه 95 هـ وأن سبب اختيار عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس هو :

1 – كان لعبد العزيز ابن موسى خبره في المجال الاداري والعسكري لأنه كان مساعد أبيه في جميع الحملات سواء في الأندلس أو في المغرب كذلك اكتسب خبره ادارية ناجحة وأصبح ضابطاً لأمور ولايته ... حيث استطاع من تنفيذ عدة أعمال في ولاية الأندلس بالرغم من قصر فترة ولايته وانشغاله في الفتوحات التي كانت حوالي سنة وستة أشهر .

و قام بأعمال مهمة منها :

1 – جعل للأندلس ديواناً أي ضبط أمور الأندلس . كذلك أنشأ محكمة بتطبيق القوانين الاسلامية مع مراعاة أصحاب الديانات الأخرى .

2 – إهتم بدخول الأعداد الجديدة في الاسلام من خلال استخدام أسلوب الاقناع وليس القوة ودعي المسلمين بتعامل معهم بالتسامح والحرية والتزاوج منهم فقدم عبد العزيز بن موسى على الزواج من أرملة لوذريق (اليجونا) اذ شجع المسلمين على الزواج بالإسبان وفعلاً تزوج العديد من الاسبان فأصبح يطلق على أم عاصم .

3 –العمل على تعيين من اليهود والنصارى اشخاص منهم ليجبون الخراج والجزية ليشعرونهم أنهم متساوين مع المسلمين كل هذا شجع على زيادة الانتاج الزراعي وانصهارهم جميعاً من أجل بقاء المجتمع .

4 – عمل عبد العزيز بن موسى بن نصير عدم السكن في قصور أشبيلية انما اتخذ من الكنيسة كنيسه (يفينيا) حيث اتخذ قسم منها مسكن وقسم منها مسجد.

5–عمل على ابقاء الأراضي الزراعية لدي اصحابها مقابل الخراج عليها لانهم الاعرف بزراعتها .ألا أن هذه الاجراءات لم تعجب الكثير من القادة العرب لأنهم اعتبروا هذا الأمر مخالفاً لذلك قرروا قتله .. فقتلوه وهو يصلي صلاة الفجر في الجامع سنه 97 هـ .

وقد ذكر المؤرخون أسباب قتله يعود إلى أسباب حقيقية وأسباب غير حقيقية ... الا أن السبب الأكيد منها هو سبب السياسة التي اتبعها لم تعجب القادة العرب الذين كانوا يفضلون الحصول على غنائم والمكاسب اكثر فضلاً عن السياسة الحسنة التي اتبعها مع القوط ، والتكتلات بين زعماء القبائل ،والقادة الذين قتلوه هم (حبيب بن ابي عبيد الفهري) الذين عينه موسى وزيراً لابنه عبد العزيز مع (زياد بن عذرة البلوي) وغيرهم .

اما الروايات الغير الصحيحة:

1 – يذكر المؤرخون أن عبد العزيز بن موسى بدء يتسمى بأخلاق الملوك حيث لبس التاج ويطلب من الجميع أثناء الدخول الانحناء إليه

2 – يقول المؤرخون في أحد رواياتهم أنه قتل بطلب من الخليفة سليمان بن عبد الملك الا أن هذا الطلب غير صحيح . لأنه لو أراد تغيره لعزله .

المحاضرة الثامنة : الأندلس في عصر الولاة من ولاية أيوب بن حبيب وحتى ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي:

بمقتل عبد العزيز موسى بن نصير بدء عهد جديد يمتد من نهاية 97 هـ إلى سنة 138هـ بدخول عبد الرحمن الداخل وتلقب بهذا اللقب (الداخل) لأنه أول من دخل من أمراء بني أمية في الأندلس في هذا العهد حكم من الولاة (20) والي الا أن الولاة أغلبهم من العرب سواء كانوا ولاة أو قادة عسكريين لأن الامويين أرادوا أن يكون طابع ولاية الأندلس طابع عربي لأن الدولة الأموية تميزت بأنها دولة عربية خالصة ... وأن مسلمة بن عبد الملك بن مروان كان أبرز شخصية عسكرية من بني أمية ولم يصبح خليفة لأن أمه ليست عربية لذلك اراد الأمويين أن يبقى طابع عربي وأن جميع الولاة يكونوا على مستوى واحد في الادارة والقيادة .. فكان بهم القوي وكان بهم الضعيف وكذلك شهد تلك فترة تكتلات لقبائل عربية في عهد الولاة حيث كانوا يرون أنهم أحق بإدارة الأندلس , وظهور تكتل آخر هو البربر حيث بدأت النزاعات مع العرب لأنهم يرون أن الفضل يعود لهم في فتح الأندلس لذلك حدثت هذه التكتلات ... أما تعيين الولاة كانت بطرق مختلفة فبعضها من قبل

الخليفة وبعضها عن طريق والي أفريقيا وبعضها عن طريق أهالي الأندلس .

1 –عن طريق الخليفة : حيث يتم التعين عن طريق الخليفة مباشرة تصبح الولاية تابعة لدمشق كما حدث في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث تم تعين السمح بن مالك الخولاني والياً على الأندلس سنه 100 هـ .

2 – أو عن طريق والي أفريقيا : أي تصبح الولاية تابعة إلى والي افريقيا (محمد ابن يزيد الثقفي) سنه 97 هـ مثل تعيين الحر بن عبدالرحمن الثقفي واليا على الأندلس.

3 – أو عن طريق أهالي الأندلس : حيث تم من قبل الأهالي ويتم عن طريقين كما حدث في عهد (عبد الرحمن الغافقي) ... أو يختار الوالي من قبل القبائل المتواجدة سواء بربر أو عرب كما حدث في عهد (عبد الملك بن قطن الفهري , وبلج بن بشير القشيري .

تولى (أيوب بن حبيب اللخمي) ولاية الأندلس بعد مقتل عبد العزيز سنه 97 هـ هو ابن أخت القائد موسى بن نصير ومما يذكر أنه حدثت خلافات حول من يخلف عبد العزيز في الولاية عند إذن استقر الرأي على أيوب لإدارة الأندلس وبقى ستة أشهر في الولاية .. وفي عهده حدثت عدة إنجازات أهمها:

1. قاد حملات عسكرية في المناطق الشمالية الغربية وتحرير القلعة التي اصبحت تطلق عليها قلعة (أيوب) .

وأيضاً قام بنقل العاصمة من أشبيلية إلى قرطبة وكان سبب نقلها يعود إلى عدة أسباب أهمها :

أ – كانت العاصمة قرطبة أكثر توسطاً من اشبيلية.

ب – وإنها أقرب إلى مضيق جبل طارق والجزيرة الخضراء الا أن هذا الاختيار خاطئ كان لا بد من اختيار مدينة قريبة من المناطق التي بقيت تحت السيطرة القوطية وهي طليطلة حتى تكون قريبه لأرسال الحملات إلى المناطق لتحريرها .

ج – وفي بعض الروايات أن اختيار قرطبة يعود إلى عهد (الحر بن عبد الرحمن الثقفي) .

ولاية الحر بن عبدالرحمن الثقفي:

تم تعيين الحر واليا على الأندلس من قبل والي افريقيا محمد بن يزيد القرشي فدخل إلى الأندلس سنة 98 هـ ومعه 400 رجل وسميت بالطالعة الأولى وذلك لخوفه من القادة بأن لا يقبلوا بولايته .

بدء عبد الرحمن الثقفي بتهدئة النفوس في الأندلس بعد مقتل (عبد العزيز بن موسى بن نصير) من خلال الاصلاح بين القبائل ،وعمل ترتيب شؤون الأندلس إدارياً من خلال انشاء العديد من الدواوين ،

ويقال أيضا انه هو الذي نقل العاصمة من أشبيلية إلى قرطبة، وعمل على انشاء جيش منضم من أجل اتمام عمليات الفتح .

وفي هذه الأثناء توفي الخليفة (سليمان بن عبد الملك) سنة 99هـ وتولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز .والذي أول أعماله اعفاء جميع ولاة (سليمان بن عبد الملك) . وعمل على تنظيم الدولة بشكل إداري منظم وأمر بإيقاف الفتوحات والعمل على الاستقرار وإدخال الناس إلى الدين الاسلامي عن طريق المعاملة الحسنة . وأيضاً أسقط ضريبة الجزية للذين دخلوا الاسلام .. وصلت إجراءات الاصلاح إلى أفريقيا والأندلس .. ففي الأندلس عزل الوالي الحر والذي استمر في ولايته حتى سنه 100هـ وبلغت سنتان وستة أشهر. و عين بدلا عنه **السمح بن مالك الخولاني** فكان الخليفة عمر لا يعين أي والي الا عندما يتأكد من نزاهته .. وكان السمح متدين ونزيه وعرف بشجاعته وإدارته فأوكل اليه مهمة أندلس التي أصبحت تابعة لدمشق ادارياً .

أوكل الخليفة عمر بن العزيز إلى السمح بن مالك الخولاني عدة أمور :

1 – معاملة أهل البلاد معاملة حسنة ليدخلهم إلى الاسلام .

2 – طلب منه أن يستعرض أحوال المسلمين في الأندلس إذا كانوا لا يستطيعون البقاء في الأندلس فعليهم ترك الأندلس والرجوع إلى المغرب .

3 – أن يكتب إليه تقرير عن أحوال الأندلس في جميع الجوانب.

4 – العمل على تنظيم الأرض خمس الدولة . اي تنظيم أندلس مالياً وتنظيم ديوان الأندلس .

ذهب السمح بن مالك الخولاني إلى الأندلس ودرس الأوضاع هناك فقد وجد أن العرب أقوياء فبدء بتنظيم شؤون إدارة الأندلس حيث نظمها مالياً حيث اختلطت الأراضي التي فتحت صلحا والأراضي فتحت عنوة فأرسل إليه الخليفة (مولاه جابر) الذي عرف بخبرته في الشؤون المالية فضلا عن اشتراكه بفتح الأندلس فنظم شؤونه المالية، في هذه الأثناء بدء الناس بالدخول إلى الأندلس إلا أن سكان المناطق من المسلمين لم يسمح لهم بالسكن فيها لذلك ناقش السمح الخليفة لإسكان هؤلاء الوافدين في خمس الدولة فوافق وأيضاً عمل على اصلاح القنطرة الموجودة على نهر قرطبة التي تهدمت أثناء المعارك بين العرب والقوط التي تربط بين الجهة الشمالية والجنوبية لقرطبة وأهتم بالشؤون الدينية بإدخال القوط إلى الاسلام بحسن المعاملة ،فضلا عن اهتمامه بالجيش من خلال تكوين جيش قوي من أجل إكمال عمليات فتح الأندلس والجنوب الفرنسي .

بعد أن أكمل السمح بن مالك الخولاني استعداداته توجه إلى المناطق الشمالية المحاذية للجنوب الفرنسي يقال لها بلاد (غال) التي تفصلها عن الشمال الاسباني جبال (البرانس) بلاد غال المكون من عدة أقاليم المحاذية لإسبانيا أهمها (سبتماية وعاصمتها أربونا) وإقليم (برغنديا الواقعة في الشمال الغربي وعاصمتها ليون) وفي

الشمال الشرقي إقليم أكتونيا وعاصمتها بوردو والاقليم الآخر التي تعد من المقاطعات المهمة هو إقليم (بروفانس) يذكر أن أول من دخل تلك المناطق هو طارق بن زياد وموسى بن نصير الا أن هذه رواية غير صحيحة لأن الخليفة استدعاهما وفضلاً عن هذا أن هذه المناطق لم تخضع للعرب ويعد أول من دخل إلى هذه المناطق هو القائد السمح بن مالك الخولاني و بعد أن اكمل السمح استعداداته انطلق من قاعدة المسلمين في برشلونة ثم توجه من برشلونة إلى سرقسطة . وقسم العرب اسبانيا إلى ثلاثة ثغور الأعلى يكون عاصمتها مدينة سرقسطة و الأوسط ويكون عاصمتها مدينة طليطلة والأدنى عاصمتها (قورية) أو (سالم) نحو جنوب فرنسا فاستطاع السيطرة على إقليم (سبتماية) وعلى عاصمتها (أربونا) بعد أن فرض الحصار عليها 28 يوماً وثم توجه نحو مدينة (تولوشة) وفرض عليها الحصار من جميع جهات وكادت أن تسقط بيد المسلمين .. لولا تقدم (الدوق أودو) إليها بجيش كبير أكبر من جيش السمح ودارت معركة بين جيش السمح وجيش (الدوق أودو) وانتهت بخسارة المسلمين واستشهاد السمح وتولى قيادة الجيش نائبه القائد (عبد الرحمن الغافقي) في يوم عرفة سنه 102هـ واستطاع عبد الرحمن الغافقي من ارجاع الجيش إلى العاصمة قرطبة وبذلك أصبحت مدينة (أربونة) قاعدة الجيوش المتوجهة نحو جنوب فرنسا لعدة أسباب :

1 – قربها من البحر المتوسط مما يؤدي إلى سهولة وصول الامدادات عن طريق البحر المتوسط لأن من الصعوبة وصولها عن طريق الجبال .

2 – أن مدينة أربونة قاعده تحكم جهة في جنوب فرنسا .

3 – أن أربونة شبيه بمناطق العرب .

4 – تكثر في أربونة الأشجار المثمرة والزراعة أي وجود المواد الغذائية لذلك بقيت مدينة (أربونة) قاعدة المسلمين .

المحاضرة التاسعة –الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي:

س / كيف تعين والي جديد (عنبسة ابن سحيم الكلبي) ؟

تم اختياره من قبل والي أفريقيا اي أصبحت الولاية تابعة لأفريقيا الذي عينه (بشر بن صفوان كلبي) , ذهب عنبسه إلى الأندلس و كانت في هذا الوقت تمر في ظروف صعبة سنه 103 هـ بتناحر قبلي وأثار الهزيمة ظهرت عليها ومقتل السمح بن مالك لذلك كان أمام عنبسة عدة أمور أهمها :

1 – تهدئة النفوس عن طريق فض النزاعات بين القبائل .

2 – العمل على إعادة تنظيم البلاد .

3 – العمل على إزالة آثار الهزيمة التي لحقت بالسمح بن مالك الخولاني ... وكما موضح بالخارطة أدناه .

فعمل عنبسة على تنظيم البلاد وتكوين جيش كبير من أجل الانتقام والأخذ بثأر (السمح بن مالك الخولاني) فبدء بإعداد العدة واستمر لمدة 4 سنوات بعد أن أكمل جميع الاستعدادات قرر عنبسة أولا تطهير المنطقة الشمالية الغربية التي أصبحت ملاذاً للقوط الذين تجمعوا هناك فاصبحوا أعداداً كبيرة يهددون وجود المسلمين في هذه المناطق كذلك قرر عنبسة التوجه إلى المناطق الشمالية الغربية التي كانت مناطق جبلية تعرف بمنطقة (كودو فونجو) كان يقودهم شخص اسمه (بلاي) حيث اختلف المؤرخون في تحديد أصله فقالوا ابن لوذريق وقالوا أنه من أصل قوطي ... فقرر عنبسة بالتوجه نحو هذه المنطقة واستطاع

من السيطرة على أغلبهم وقضاء عليهم وبقى بها فاعتصموا هؤلاء في المنطقة الجبلية يقال لها (كودو فونجو) وقطع عنهم الامدادات وبقوا محاصرين ولم يبقى لهم سوى العيش على العسل فبقوا محاصرين أكثر من عشرة أشهر إلا أنهم فكوا الحصار وكان هذا القرار خطأ لو بقوا محاصرين لما استطاعوا من تكوين إمارات في الأندلس ... واستطاعت فيما بعد من القضاء على الوجود العربي في الأندلس وتعود أسباب رفع الحصار إلى الاضطرابات التي حصلت داخل قرطبة وفضلا عن نزاعات بين القادة حول الحصار.

توجه عنبسة نحو الجنوب الفرنسي للانتقام لمقتل السمح بن مالك ، وأبقى على قاعدة المسلمين مدينة (أربونة) وعمل على استعادة المدن التي سيطر عليها السمح واستطاع من السيطرة على مدينة تولوز وعلى (قرقشونة) الذي وقع اتفاقية مع أهلها أن تكون لهم حرية دينية وفرض الجزية عليهم وأن يكون للمسلمين نصف المدينة وما حولها ،ثم أكمل مسيره إلا أن عنبسة لم يمر بإقليم (أكتونيا) , اذ وقع مع (الدوق أودو) معاهدة صلح عند ذلك غير طريقه وذهب نحو إقليم (برغنديا) وبعدها توغل في الجنوب الفرنسي إذ استطاع من السيطرة على جميع غالة القوطية مثل (أفيون –ليون وشالون– لانس) وغيرها من المدن الواقعة في الجنوب الفرنسي حتى استطاع (سانس) التي لا تبعد عن باريس سوى 30كم وهذا أقصى ما وصل إليه (عنبسة ابن سحيم) مع جيش المسلمين ولم يصل أي قائد من المسلمين ما وصل إليه عنبسة ... في هذه الأثناء أتت الأنباء بوجود فتن في قرطبة وقرر

الرجوع إليها وفي طريقه إلى قرطبة هاجمته جموع من الفرنجة وبعض من جماعة (الدوق اودو) فحدثت معركة أصيب على أثرها عنبسة بجراح شديد ووصل إلى قرطبة ومات هناك سنة 107هـ ... مما تقدم يتبين لنا أن عنبسة استطاع التوغل في مساحات شاسعة في الجنوب الفرنسي إلا أنه لم يكن يرمي للفتح المنظم إنما كانت محاولاته هي فقط استطلاعية للذين يأتون بعده .. ولو كانت حملات منظمة لترك في المدن التي سيطر عليها حاميات . لذلك تعد حملته حملة استطلاعية فقط .

أهداف حملة عنبسة بن سحيم الكلبي ..

1 – هدف من حملته هو جمع معلومات الذي يأتون من بعده .

2 – حتى يبين بعد خسارة المسلمين في (تولوشيا) قوتهم حيث استطاعوا من ايقاف الفرنجة من الجنوب الفرنسي .

3 – للحفاظ على ما حرره السمح بن مالك وما سيطر عليه من مدن في الجنوب الفرنسي .

من تاريخ استشهاد عنبسة بن سحيم سنة 107هـ حتى سنة 112 تولى سبعة ولاة إلا أنهم لم تكن لهم أي انجازات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية بسبب الاضطرابات التي حدثت في الأندلس، إذ بدأت الخلافات بين القبائل العربية والبربر وعدم وجود قائد عسكري يقضي على هذه الخلافات، فضلاً عن الاضطرابات التي حصلت في القيروان

والتي أدت إلى حدوث اضطرابات سياسية في الأندلس فضلاً عن الاضطرابات داخل العاصمة الأموية دمشق حتى تولى عبد الرحمن الغافقي ولايته الثانية الذي يعد من أبرز ولاة الأندلس .

عبد الرحمن الغافقي 112 – 114 هـ :

تولى ولاية الأندلس القائد (عبد الرحمن الغافقي) وكانت هذه الولاية الثانية له سنة (112 هـ) إذ أن الولاية الأولى في اواخر سنة 102هـ بعد استشهاد السمح بن مالك الخولاني ومما يذكر أن والي أفريقيا (عبد الله بن الحبحاب) وافق على تعينه إذ نصبوه أهالي الأندلس واليا عليهم وأسباب تعيينه هي :

1 – كان عبد الرحمن محبوباً من قبل أهالي الأندلس ويعد من التابعين .

2 – كان من رواة الحديث عن (عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

3 – كان منعزلاً عن الصراعات القبلية وهو يعد من الأوائل الذين دخلوا الأندلس وله دور كبير في فتح الأندلس .

4 – كان قائد شجاع وإداري محنك وحازم ولا يميل إلى العصبية ولم يشترك في جميع النزاعات في الأندلس لأن همه هو الجهاد ونشر الاسلام .

استهل ولايته أنه وحد صفوف القبائل العربية وأزال عامل التفرقة فيما بينهم وقام بتنظيم شؤون الأندلس الإدارية ، وقام بجولة في أنحاء الأندلس لمعرفة أحوال الناس وعمل على تغيير الولاة الغير أكفاء وتعيين الولاة الصالحين، وعامل أهل الذمة معاملة طيبة ورد إليهم أموالهم وكنائسهم، وعدل نظام الضرائب حيث شملت الجميع بالتساوي.

وقام بتنظيم الجيش وقسم الفرق العسكرية إلى وحدات وعمل على إدخال عناصر جديدة في الجيش مؤهلة ومدربة وقام بتحصين الثغور.

بعد أن أكمل جميع أعماله في الأندلس من خلال ترتيب أوضاعها الادارية والعسكرية . قرر التوجه نحو الأعمال العسكرية في الجنوب الفرنسي التي كانت تسمى بلاد (غاله) بعد أن أكمل الاستعدادات إذ استطاع تجهيز جيش مكون من سبعين ألف مقاتل وكانت حملته تختلف عن حملة عنبسة بن سحيم الكلبي إذ كانت حملة منظمة ، واهتم بقاعدة المسلمين (أربونة) وشحنها بما تحتاجه من أموال وأسلحة فأتته الأخبار بأن حاكم المنطقة الشمالية الغربية (منوسة البربري) له علاقات مع (الدوق أودو) فتزوج منوسة من احدى بنات الدوق أودو فطلب منه مهاجمة أراضي الدوق أودو لكنه ماطله في تنفيذ الأمر، عندئذ أرسل له عبد الرحمن جيش بقيادة (ابن زيان) فاستطاع من أن ينتصر على منوسة ويقتله عندئذ علم (الدوق أودو) بأن (عبد الرحمن الغافقي) قرر القضاء عليه ودخول مقاطعة (اكتونيا) قرر الوالي عبد الرحمن ايهام الدوق اودو بأنه لا يقصده إنما إعادة السيطرة

على (قلعة ارل) الجبلية التي أعلنت العصيان ثم من هناك إلا أنه سلك طريق الجبال طريق مختصر الذي يقال له (ممر روزنفال) الذي يؤدي إلى قلب العاصمة (اكتونيا) (بوردو) وهو بذلك لم يسلك الطريق الذي سلكه (عنبسة والسمح بن مالك). فتوغل في مدينة (اكتونيا) وأستطاع من السيطرة على العاصمة بوردو بعد معركة قصيرة بين (أودو وعبد الرحمن الغافقي) بالقرب من إلتقاء نهر (الجاورون) نهر (الدردوني) وانتهت بانتصار عبد الرحمن الغافقي عندئذ استطاع من السيطرة على (اكتونيا) وبدء يتوجه نحو مناطق الجنوب الفرنسي إلا أن هذه الفترة حدث فيها تبدل حيث دخل في الأحداث (شارل مارتل حاجب الدولة الكارولنجية) حيث توجه إليه الدوق أودو بالرغم من العداء الشديد بين (شارل مارتل والدوق أودو) حيث كان شارل يحاول السيطرة على مناطق الدوق أودو لكنه لم يستطع ولكن الظروف جمعتهم سوية من أجل الوقوف بوجه المسلمين حيث عملوا على تكوين جيش قوي دعوا له من جميع انحاء أوربا وبالدعم من البابا جريجوري السابع الذي أعلنها حربا صليبية ضد المسلمين ، لم يحاول شارل مارتل إيقاف تقدم جيش عبد الرحمن الغافقي لسببيين هما :

1 – أراد شارل مارتن انهاك قوى الجنوب الفرنسي لأنه يكن لهم العداء لذلك أراد تدمير مناطقهم .

2 – أراد شارل من عبد الرحمن الغافقي أن يتقدم في مناطق شاسعة في الجنوب الفرنسي حتى تصعب وصول الامدادات إلى عبد الرحمن سواء كانت من (قرطبة أو القيروان أو دمشق) .

عندئذ بدء (شارل مارتل) بإرسال دعوات إلى أوربا من أجل تجميع الجيوش ويعاونه البابا (جريجوري) السابع وفعلاً استطاع (شارل مارتل) من تكوين جيش كبير لمواجهة (عبد الرحمن الغافقي) كان عبد الرحمن قد سيطر على مناطق شاسعة حتى عبر الجنوب الفرنسي ووصل إلى مدينه (تور) وكانت مدينة تور تكثر فيها الغابات توجد فيها العديد من الكنائس وأهمها كنيسة (سان مارتان) فتفاجئ عبد الرحمن بوجود جيوش كبيرة يقودها (شارل مارتل) عندئذ تراجع عبد الرحمن مسافه 20 كليو متر فوقعت معركة بين الطرفين سنة 114هـ في رمضان واستمرت عشرة أيام وسميت معركة (البلاط) . حيث في الأيام الثلاثة الأولى من المعركة استطاع العرب من تقديم شجاعة نادرة ضد جيش شارل مارتل لكن في اليوم الرابع تغير الوضع حيث استطاع (الدوق أودو) أن يلتف حول المعسكر الذي توجد فيه العوائل فادل ذلك إلى حدوث ارتباك في صفوف الجيش . إلا أن عبد الرحمن كان يعمل على اعادة ترتيب الجيش وأصيب بسهم فاستشهد إلا أن العرب بقوا يقاتلون لمدة ستة أيام ولكنهم انسحبوا فيما بعد انسحاب منظم حيث اتفقوا على هذا الأمر ليلاً وأبقوا النيران مشتعلة حتى يتوهم (شارل مارتل) بأنهم موجودون وعندما أصبح الصباح وجد شارل مارتل بأن العرب المسلمين قد انسحبوا إلا أن شارل لم يحاول ملاحقتهم خوفاً

من أن العرب قد نصبوا كميناً له وسميت هذه المعركة معركة (بلاط الشهداء) لكثرة الشهداء المسلمين أو البلاط السيوف اي صوتها وتسمى في المصادر الغربية معركة تور أو بواتيه .

أسباب خسارة المسلمين :

1 – أن شارل مارتل والدوق أودو استطاع بتجميع جيش من جميع أنحاء أوربا و ساعده البابا (جريجوري) السابع وكان عددهم يفوق عدد جيش المسلمين .

2 – أن العرب توغلوا في مساحات واسعة في أوربا لذلك كان من الصعوبة ارسال الامدادات لهم .

3 – الطبيعة الجغرافية حيث حدثت المعركة في منطقة لم يتعود العرب على القتال فيها . حيث كانت شديدة البرودة والثلوج والغابات حيث العرب كانوا يقاتلون في مناطق مفتوحة .

4 – جغرافية المنطقة حيث كانت جيوش شارل متعودة على القتال في تلك المناطق .

5 – سهولة وصول الامدادات إلى شارل مارتل .

6–تميز المقاتلين الألمان بالصبر والشجاعة والقوة فكانوا لا يقلون عن العرب شراسة في الحروب مما أدى عدم اختراق صفوفهم .

7–استشهاد عبد الرحمن أدى إلى حدوث ارتباك بين صفوف الجيش فقرر قادة الجيش الحفاظ على أرواح المسلمين والانسحاب ليلاً .

وعلى أثر تلك المعركة سمى البابا شارل مارتل المطرقة لأنه انتصر على المسلمين .

ومن نتيجة معركة (بلاط الشهداء) أنها وضعت حد لنشر الاسلام في أوربا . حيث ذكر المؤرخون الأوربيون حث تحدثوا عن المعركة لو استطاع العرب من الانتصار في معركة (بلاط الشهداء) لتقدمت أوربا قبل قرون

المحاضرة العاشرة – أوضاع الأندلس بعد معركة بلاط الشهداء :

إلا أن العرب انسحبوا من المعركة بعد استشهاد عبد الرحمن الغافقي سنة 114هـ تولى الولاية من بعده (**عبد الملك أبن قطن الفهري**) سنة 114 هـ وفي عهده بدأت تضطرب الأوضاع في الأندلس حيث حدثت اضطرابات بين القبائل القيسية واليمانية وكان عبد الملك من القبائل اليمانية وانتقل هذا الاضطراب القبلي من دمشق ومن ثم إلى المغرب وثم إلى الأندلس وكان هذا الضعف سبب في سقوط الدولة الأموية وخاصة ان (الخليفة هشام بن عبد الملك كان يقرب القبائل اليمانية فاضطهد القبائل القيسية لذلك ظهرت هذه الخلافات وأضطهد البربر فساءت أوضاع الأندلس إلا أن في عهده هناك أعمال عسكرية أهمها ... ارسال حملات عسكرية في مناطق شمالية وشمالية غربية إلى اقليم (الباسك ونافار) لأنهم بدأوا يثيرون الفتن مستغلين خسارة العرب في معركة (بلاط الشهداء) وارسال حملات إلى الجنوب

الفرنسي لتثبيت الحكم العربي وأيضاً أقام خطوط دفاعية هجومية كالقلاع للمسلمين وشحنها بالأسلحة والرجال من أجل مقاومة أي اعتداء على أراضي المسلمين إلا أن (عبد الملك أبن قطن الفهري) حكمه لم يدم وعهده طويلاً بسبب سياسة العصبية التي اتبعها والاضطرابات التي حصلت في الأندلس حيث تم عزله وتعين والي جديد هو (**عقبه بن الحجاج السلولي)** والذي خيره وإلى افريقيا بأن يكون والياً على الأندلس أو على مصر فاختار الأندلس لأنه يحب الجهاد فهو قائد مجاهد وكان من طراز الفاتحين من القادة الأربعة الكبار في الأندلس (السمح بن مالك الخولاني , عنبسة بن سحيم الكلبي , عبد الرحمن الغافقي , عقبة بن حجاج السلولي)، حيث كان من آخر رجال فتح في الأندلس وكان مجاهداً واداري وشجاع ... وعمل في ولايته على تهدئة الأوضاع في الأندلس والعمل على سجن الذين يثيرون الفتن والاضطرابات . وأيضاً صالح بين القبائل ونظم الشؤون الادارية في الأندلس . وقرر بعدها القيام بعمليات عسكرية شمالية وشمالية غربية بعد أن استكمل تنظيم شؤون الولاية وقرر الانتقام لمقتل (عبد الرحمن الغافقي) والأخذ بثأر المسلمين بعد خسارتهم في معركة (بلاط الشهداء) ... ثم توجه نحو الجنوب الفرنسي وتوغل في مساحات شاسعة واستطاع من السيطرة على اقليم (أفيون) إلا أن حملته أثارت انزعاج (شارل مارتن) لذلك أوكل (شارل مارتن) الأمر إلى ابن أخيه (شارل براك) من أجل مهاجمة الحصون الإسلامية وفعلاً حدثت معارك وثورات وأصيب (عقبة بن حجاج السلولي) بجراح فعاد بعدها إلى

العاصمة (قرطبة) سنة 121هـ واستشهد وفي رواية تقول أنه قد قتل ومن قتله هو (عبد الملك بن قطن الفهري)، بعد ذلك تولى الولاية (عبد الملك بن قطن الفهري) سنة 123هـ إذ أصبحت الاضطرابات والنزاعات القبلية كل هذا أدى إلى تدهور الأوضاع وفضلاً عن تشكيل الإمارات الاسبانية التي تحاول الإغارة على الحدود الإسلامية مستغلين ضعف المسلمين وعدم وجود والي قوي على الأندلس في هذه الفترة فقرروا تعين والي هو (عبد الملك بن قطن الفهري) الذي أيضاً أتبع السياسة القبلية أي تفضيل قبيلة على قبيلة وأيضاً لم يدم عهده طويلاً بسبب ثورات البربر فامتدت آثار هذه الثورات حتى الأندلس وكانت هذه الثورات في المغرب وامتدت إلى الأندلس وأسبابها هي :

1 – أسباب سياسية : حيث أن البربر يرون أن لهم الفضل في فتح الأندلس فيجب أن يكون لهم مناصب في الدولة .

2 – أسباب اقتصادية : حيث أن البربر يعيشون في مناطق جبلية ومعدومة وأيضاً كانت حياتهم معدومة وفرض عليهم ضرائب باهظة وعدم مساواتهم مع العرب .

3 – أسباب اجتماعية : حيث يرون البربر أنهم ليس متساوون مع العرب في الحقوق والواجبات جميع هذه الأسباب أدت إلى قيام ثورات في الأندلس وأول الثورات التي قامها البربر في الأندلس كان لها تنظيم مسبق .

بعد تجمع الأسباب لقيام الثورة قام البربر بثورات عدة أسوة مع اخوانهم البربر في المغرب حيث كانت ثوراتهم منظمة وارتكزت ثوراتهم في الشمال وفي الجنوب وخاصة في مناطق تواجد العرب حيث طردوا العرب من تلك المناطق ثم عملوا بعدها على تنظيم صفوفهم بشكل مرتب وتقدموا نحو السيطرة على العاصمة بالرغم من أن الوالي (عبد الملك ابن قطن الفهري) أرسل عدة جيوش للقضاء على ثورات البربر ولكن لم تستطيع هذه الجيوش عن مقاومة البربر بسبب قوتهم ... حيث قرر البربر الزحف نحو قرطبة وذلك من ثلاث جهات بإرسال ثلاثة جيوش إلى مناطق مهمة وهي (طليطلة , قرطبة , الجزيرة الخضراء) يساندوا ثورة البربر ضد والي المغرب ... فضلاً عن منع المحاصرين في مدينة سبته بقيادة (بلج بن قشير قشري) من الدخول إلى الأندلس فضلاً عن قطع الامدادات لذلك كانت هناك ثلاثة قيادات الأولى بقيادة (ابن هودين) نحو مدينة طليطلة لأنها تعد العاصمة وأيضاً يوجد العرب بأعداد كثر, أما الجيش الثاني تقدم نحو مدينة (قرطبة) بقيادة (ابن زقطرنيق) , أما الثالث كانت بقيادة شخص يدعى (الزناتي) من قبيلة زناته حيث تقدموا نحو الجزيرة الخضراء ... وبدأت هذه الجيوش تتقدم بسرعة كبيرة وقد قرر (عبد الملك ابن قطن الفهري) الإسراع بالاستنجاد بـ (**بلج بن بشر القشيري**) في سبته بعد أن كان (بلج) قد طلب من (عبد الملك بن قطن) بالسماح له لدخول الأندلس إلا أن الوالي (عبد الملك) قد رفض وذلك بسبب عداوته للشاميين وبذلك اضطر (عبد الملك) بالاستنجاد (ببلج) .

عندئذ تم توقيع اتفاقية بين (بلج) وبين عبد الملك بن قطن التي نصت على الابقاء سنة واحدة وأن يأخذ منهم عشرة رهائن من أشراف القوم ليبقوه ضماناً حتى وقت تنفيذ الاتفاقية في الجزيرة الخضراء . و فضلاً على أن (بلج) وأصحابهم كانوا متلهفين للقتال ضد البربر بسبب خسارتهم في معركة (بقدورة) ... فدخلوا البربر نحو الجزيرة فاشتبكوا مع جيش (بلج) بمعركة كبيرة انتهت بانتصار (بلج بن بشر القشيري) . وبعدها تقدم (بلج) إلى مدينة قرطبة واشتبك أيضاً مع البربر وحيث انضم مع جيش بلج في قرطبة قوات (عبد الملك) واستطاع هذا الجيش المشترك من الانتصار على البربر ثم تقدموا نحو طليطلة وانتصروا على البربر وهكذا استطاع بلج وعبد الملك من القضاء على ثورات البربر في سنة(124 هـ) حيث قضوا على الثورات في الأندلس والمغرب وبعد أن هدأت الأوضاع عادت الأحقاد من جديد بين الشامين والحجازين والعداء يتجدد بعد مهلة السنة بين عبد الملك وبين بلج حيث طلب عبد الملك من بلج مغادرة الأندلس وعلى سفن (عبد الملك يتم المغادرة) إلا أن بلج رفضت الخروج لأنه عاش في نعيم الأندلس وخيراتها ويعتبر (بلج) له دور كبير في تثبيت حكم عبد الملك في الأندلس عندئذ نشبت مشاكل بين (بلج) (وعبد الملك) لذا قرر (بلج) بالهجوم على قصر الوالي (عبد الملك) واستطاع (بلج) من سجن عبد الملك وبفعل الوالي (عبد الملك) واستطاع (بلج) من سجن عبد الملك و بالقوة أصبح الوالي على الأندلس هو (بلج ابن بشر القشري) وفيما بعد تم قتله من قبل اتباع بلج بعدما قتل صاحب

الجزيرة الخضراء احد الرهائن من أشراف الغساسنة، وهنا بدء الصراع ما بين (بلج) وأولاد عبد الملك . حيث بعد ضغط (بلج) قرر اولاد عبد الملك كل من (أمية وقطن) الهروب إلى مدينة (ماردة) و (سرقسطة) من أجل تجهيز جيش واستطاعوا فعلاً من تجهيز جيش وتقدموا أولاد عبد الملك نحو مدينة قرطبة ومعهم حاكم (أربونة) عبدالرحمن ابن علقمة اللخمي , وعبد الرحمن بن حبيب الفهري , فتقدم الجيوش نحو قرطبة بأعداد كبيرة وقرب قرطبة وحدثت معركة كبيرة وانتهت بانتصار الشاميين سنة 124هـ , وعلى أثرها أصيب بلج بجراح . وبعد رجوعه مات بلج تم تعين والي جديد على الأندلس سنة 124هـ هو (**ثعلبه أبن سلامه العاملي**) الذي تولى ولاية أندلس بعد(بلج) . بدء ثعلبة بتهدئة الأوضاع وكان إدرايا إلا أن أولاد عبد الملك بدأوا بتجهيز جيش جديد وتقدموا بهذا الجيش إلى مدينة (ماردة) وانتهت بانتصار (أولاد عبد الملك بن قطن) ودخل ثعلبة مدينة (ماردة) وتم حصارهم فيها فأرسل ثعلبة طلب إلى مدينة قرطبة طالباً العون والامدادات وفي هذه الأثناء حدث عيد الأضحى فكان جيش أولاد عبد الملك منشغلين بالعيد فضلاً عن فرحتهم في الانتصار .. فوصل المدد من قرطبة إلى ثعلبة فقام بهجوم مفاجئ نحو معسكر أولاد عبد الملك فهجموا عليهم وانتهت بانتصار ثعلبة ففي هذه الأثناء رأوا أهل الأندلس لا بد من وضع حد لهذه الصراعات فكتبوا إلى والي أفريقيا (حنظلة بن صفوان الكلبي) والخليفة (هشام بن عبد الملك) .

المحاضرة الحادية عشرة – عصر الولاة من الوالي أبو الخطار الكلبي وحتى نهاية عصر الولاة:

تم تعين والي جديد هو (**أبو الخطار الحسام أبن ضرار الكلبي**) فأصبح والياً على الأندلس سنة 125هـ .

جاءت تولية أبو الخطار الحسام أبن ضرار الكلبي بعد الموافقة من والي أفريقيا . عند ذلك ذهب ابو الخطار إلى الأندلس وكانت معه الطالعة الثانية والبالغة (30) شخص . وقد تفاجئ من رضى جميع أهالي الأندلس وسكانها عليه به لأن أهل الأندلس ملوا من النزاعات التي أدت إلى حدوث الاضطرابات وافق أيضاً الشامين عليه لان ابن الخطار كان شامي وانه سوف يحافظ على مصالحهم وان أهل الأندلس استبشروا خيراً بقدومه واول عمل قام به هو..

1 – عمل على اطلاق سراح الأسرى والسبايا وارجاعهم إلى ديارهم .

2 – العفو عن جماعة الشمال المتحالفة مع (أولاد عبد الملك) .

3 – عمل على نفي واخراج اللذين كان لهم دور في الفتنة في الأندلس ومنهم الوالي وأتباعه منهم (ثعلبة ابن سلامة العاملي) سنة 125هـ , أما البلديين فقد ألقى العفو عنهم وقدموا لهم فروض الطاعة والولاء .

4 – أدرك أبو الحسام أن أوضاع الأندلس ستبقى مضطربة إذا بقي الشامين في قرطبة لذا عمل على اسكانهم في مناطق تسمى (الكور المجندة) وأن لا يسكنوا مع البلديين (البلديين الذين دخلوا مع الفتح أي

السكان الأصليين للبلد سواء العرب والبربر) . واسكانهم في أراضي أهل الذمة أي تابعة إلى أراضيهم للدولة) .

5 – عمل على اسكانهم في مناطق شبيهة جغرافياً وبيئياً مع المناطق التي خرجوا منها في بلاد الشام لذلك أسكن في مناطق (جند حمص في أشبلية وأسكن قادمين في الأردن من قرطبة لذلك حتى التسمية نفسها مثل (حمص اشبيلية) وغيرها .

6 – بعد ذلك عمل على اصلاح الأمور الإدارية والمالية للأندلس والاهتمام بها بسبب الأوضاع المضطربة التي أدت إلى إفقار الأندلس وحيث ترك الناس الزراعة والتجارة , لذلك عمل على إصلاح الأوضاع .

7 – عدم ادخال العصبية القبلية ما بين القبائل وذلك فقد عاملهم معاملة واحدة .

إلا أن أبو الخطار لم يستمر على هذه السياسة لأنه رجع وعاد إلى عصبيته القبلية وخصوصاً بعد مقتل صديقه اليماني (سعيد ابن حواس) الذي أتهم بقتله القيسية و استخدام أشد وسائل العنف ضد القيسية وبدأت سياسته تتغير اتجاه القبائل في الأندلس , وأيضاً عندما تقدم إليه رجلان يمني وآخر قيسي فقد اعتدى اليماني على القيسي إلا أن أبو الخطاب حكم اليماني ضد قيسي مما أثار اليمانية وقد ذهب القيسي إلى زعيمهم (**الصميل بن حاتم الكلابي**) من أجل ان يرجع حقه وماذا فعل به الوالي . ومن أجل تذكيره بأن الحق للقيسيين وليس لليمانيين إلا

أن أبو الخطار قابله مقابلة سيئة فخرج الصميل غاضباً فقرر الانتقام من أبو الخطار ورجعت الاضطرابات من جديد في الأندلس وبدء الصميل يعمل بجمع الأتباع والعمل العسكري ضد أبو الخطار إلا أن الصميل وجد أن اليمانيين أكثر من القيسيين وأن اليمانيين لديهم السلطة والمال لذلك علم الصميل منذ البداية أن المعركة خاسرة لذلك عمل على اشراك اليمانيين معه ضد أبو الخطار وفعلاً استطاع الصميل من شق صفوف اليمانيين عن طريق إستمالة قبيلتي (جذام ولخم) اليمانية وتعهد لهم باعطاءهم الحكم بعد القضاء على (أبو الخطار) فجهز جيش نحو قرطبة جرت معركة انتهت بانتصار الصميل سنة 128 هـ وتم إلقاء القبض على (أبو الخطار) وإيداعه السجن عندئذ تم تعين والياً جديداً هو (**ثوابة بن سلامة الجذامي**) سنة 128هـ والياً على الأندلس إلا أن ثوابة كان واقع تحت تأثير الصميل أي أن إدارة الأندلس تحت سيطرة (الصميل) في هذه الأثناء بدأت جماعة (أبو الخطار) تجهيز أنفسهم من أجل القضاء على (الصميل وثوابة) فاستطاعت جماعة أبو الخطار من الدخول إلى قرطبة وإخراجه من السجن والتوجه نحو الجنوب من هناك دعا أبو الخطار الكلبي أبناء قبيلته من الكلبيين خاصّة واليمنيين عامة لمحاربة ثوابة بن سلامة الجذامي والصميل بن حاتم وقد استجابت له أعداد كبيرة منهم وتوجه بهم إلى مدينة قرطبة وفي هذه الأثناء كانا ثوابة والصميل قد تجهز لقتاله، اذ التقوا ودار قتال بين الطرفين، وفي أثناء سير المعركة برز رجل مضري من أصحاب الصميل ونادى على أتباع أبي الخطار الكلبي من اليمانية قائلا لهم

:(يا معشر اليمانيةَ! ما بالكم تتعرضون للحرب على أبي الخطار وقد جعلنا الأمير منكم يعني ثوابة، فإنه من اليمانية ، ولو أن الأمير منا لقد كنتم تعذرون في قتالكم لنا، وما نقول هذا إلاّ تحّرجا من الدماء، ورغبة في العافية العامة، فلما سمع الناس كلامه قالوا: صدق والله ، الأمير منا فما بالنا نقاتل قومنا ؟ فتركوا القتال وافترق الناس، فهرب أبو الخطار ملتحقا بمدينة باجة، ورجع ثوابة إلى قرطبة) .

بعد وفاة ثوابة بن سلامة الجذامي في سنة 129هـ والذي لم تدم ولايته سوى سنة واحدة وبوفاته دخلت الأندلس مرحلة جديدة من الفوضى والاضطراب متمثلة بالتنازع على ولاية الأندلس ، ويعود سبب ذلك التنازع إلى ضعف بني أمية في المشرق والمغرب أيضا، وبقيت الأندلس مدة أربعة أشهر بلا والٍ ، ويرجع ذلك إلى عدم اتفاق قادة القبائل العربية في الأندلس على رجل يتولى أمرها، ولكنهم اتفقوا على اختيار رجل من اليمانية يتولى النظر في الأحكام وإمامة الصلاة وهو عبد الرحمن بن كثير اللخمي إلى أن يتم اختيار والٍ جديد على الأندلس فبدأت صراعات حول من يتولى الولاية سنة 129 هـ فحدث خلاف بين يحيى بن حريث مطالباً بالولاية لأن ابن عمه كان الوالي والشخص الثاني **عمرو بن ثوابه** الذي كان أبوه والياً على الأندلس والشخص الثالث هو أبو الخطار الذي طالب بالولاية لأنه يرى نفسه الأحق لأنه كان الوالي السابق وهنا يبرز دور الصميل بن حاتم زعيم القيسية في الصراع على ولاية الأندلس ،والذي لم يقدم نفسه والياً على الأندلس على الرغم مما كان يتمتع به من النفوذ في الأندلس، والسبب

في ذلك لأنه فـــي حالة تنصيب نفسه واليا على الأندلس فإنه سوف يفقد تأييد معظم القبائل اليمنية التي وقفت إلى جانبه وبدأت بذلك النزاعات واستطاع الصميل أن يخرج يحيى من اللعبة واعطاه أحدى ولايات الأندلس وكذلك اخراج عمرو بن ثوابة فبقى أبو الخطار وأستطاع من إبعاد أبو الخطار وأخيراً تم الاتفاق على أن يكون الحكم بالتناوب سنة للقيسيين وسنة لليمانيين .

ولكن ظهر خلاف من جديد حول من يتولى الحكم أولا ، فأقترح الصميل بدهائه أن يكون الوالي في العام الأول بعد الاتفاق قرشيا وهكذا تمكن الصميل بن حاتم من إبعاد اليمانية عن حكم الأندلس ، إذ تم اختيار عليها **يوسف بن عبد الرحمن الفهري** واليا للأندلس سنة129هـ/746م ،وكان الصميل يهدف من تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري ،حتى يخفف من حدة التناحر والصراع بين القبائل العربية، هكذا أصبح يوسف واليا على الأندلس الذي كان أحد أحفاد عقبة بن نافع وكان مبتعداً عن الاضطرابات إلا أن الذي كان يقود هذه المرحلة الصميل اتّبع والي الأندلس يوسف الفهري سياسة جديدة تهدف إلى إبعاد اليمانية من خلال عزل **يحيى بن حريث الجذامي** عن ريه فغضب يحيى وقرر الوقوف ضد يوسف الفهري والصميل بن حاتم ، و ذلك لتجريد رجال اليمانية من مناصبهم وعدم الاستعانة بهم في حكم الأندلس وفي هذه الأثناء انقضى عام على تسلم يوسف الفهري السلطة ،فجاء اليمنيون لاستلام السلطة حسب الاتفاق بين الطرفين ،إلا أن يوسف والصميل رفضا تسليم السلطة لهم ،عندئذ كتب يحيى بن حريث

إلى أبي الخطار الكلبي يدعوه إلى مساندته والتحالف معه في قتالهما لم فعملا على تجهيز جيش من أجل التقدم نحو قرطبة والقضاء على يوسف إلا أن الصميل استطاع ان يفرق عنه أغلب اليمانية في الشمال الذين لم ينظموا إليه لأنهم كانوا منشغلين في مواجهة المماليك الاسبانية ، وبعد أن تجمعت القوات عند أبي الخطار الكلبي وحريث الجذامي اليمانية توجهوا بهم إلى شقندة على الضفة اليسرى لنهر قرطبة لملاقاة يوسف بـن عبد الرحمن الفهري والصميل بن حاتم وأتباعهم , الذين عبروا النهر والتقى الطرفان بعد صلاة الفجر ودار بينهم قتال لم يكن مثله في الأندلس قبـل هذا التاريخ في سنة 130هـ ولشدة هذه المعركة , دعا الصميل بن حاتم أهل السوق في قرطبة , بعد أن لاحظ رجحان كفة اليمانية بعد هذا القتال , وكان قصده استدعاء الفلاحين والجزارين في سوق قرطبة , فبعث إليهم أحد أعوانه فأتى بهم إذ أقبل منهم حوالي أربعمائة راجل ولم يكن معهم من السلاح باستثناء بعض الأسلحة الخفيفة التي يستعملها الجزارون في عملهم , وكانت فكرة الصميل بن حاتم في استدعائهم من سوق قرطبة لأنه في حالة انضمامهم إليه سوف يغير نتيجة الحرب لصالحه، وبعد مشاركة أهل السوق في هذه المعركة إلى صفوف الصميل بن حاتم , حسمت المعركة لصالحه بعد أن استمرت هذه المعركة ليوم واحد , وأسر أبو الخطار الكلبي، أما ابن حريث فأنه هرب من المعركة , وأختبأ على مرأى من أبي الخطار الكلبي تحت سرير الرحى في مكان لبيع الخشب, وعندما وقع أبو الخطار الكلبي أراد أتباع الصميل بن حاتم قتله, أراد أن يشاركه هذا

المصير حليفه يحيى بن حريث الذي سبق وأن حرضه على قتال يوسف والصميل , اذ قال : (ليس علي فوت ولكن عندكم ابن السوداء (ابن حريث) فدل عليه , فأُخرج وقتلا جميعا) .

بعد القضاء على أبو الخطار بدء الصراع بين يوسف والصميل على السلطة لأن يوسف اراد التخلص من الصميل بسبب تسلطه عليه لذلك قرر تعين الصميل حاكماً على سرقسطة134 هـ بالرغم من أنه لديه القوة لرفض القرار إلا أنه وافق على قبول منصب حاكم سرقسطة وذلك لعدة أسباب :

1 – موقعها المتقدم حيث يمثل منطقة الثغر الاعلى ومنطقة مهمة .

2 – كذلك أن سرقسطة تتمتع بخيرات كثيرة وخصوصاً أن الأندلس تمر في أزمة وحالة مجاعة .

فبدء الناس يتوجهون نحو مدينة سرقسطة حيث أصبح له أتباع كثر ويتفوق على يوسف بن عبد الرحمن .... وبعد فترة حدثت ثوره من قبل اليمانيين سنه 136هـ في سرقسطة حيث قرر اليمانيين من الانتقام من الصميل بسبب ما فعله معه فقرر الهجوم على مدينة سرقسطة وفعلاً استطاعوا من محاصرة مدينة سرقسطة . وطلب في هذه الأثناء المساعدة والعون من يوسف وأراد التخلص من الصميل فرفض يوسف من ارسال المساعدات إلى الصميل لفك الحصار على سرقسطة بحجة أنه منشغل بالقضاء على الثورات في الجنوب ، إلا أن الصميل

إستطاع من فك الحصار بوصول الإمدادات من القيسيين إليه وبالرغم من الاضطرابات التي تعيشها الأندلس فكان يوسف يقوم بعديد

من الاصلاحات منها:

1- الاصلاحات الإدارية حيث قسم ولاية الأندلس إلى خمسة مناطق إدارية لتسهيل إدارتها.

2 – عزل الولاة : حيث أتبع يوسف النظام اللامركزي أي إعطاء حرية تعرف لحكام الولاة واعطاءهم صلاحيات واسعة .

3 – اهتم بالجيش : لأنه أعد الجيش القوة الضاربة للدولة إلا أن إصلاحاته لم تجدي نفعاً لأن أوضاع الأندلس كانت مضطربة وحلت بدخول المجاعة اليها وأدى ذلك إلى دخول (عبد الرحمن) إلى الحكم سنة 138 هـ والقضاء على عهد الولاة في الأندلس .. وانتهى عهد الولاة في الأندلس بسقوط آخر والي هو (يوسف بن عبد الرحمن الفهري) الذي استمر حكمه من سنة 129 – 138 هـ – حكم أكثر من تسعة سنوات وبدء عهد جديد هو بني أمية وتكوين الإمارة الأموية في الأندلس .

طبيعة المجتمع الإسلامي في الأندلس في عصر الولاة :

أن تحرير الأندلس كان وفق خطة مدروسة ومعدة ومسبقة لكن السكن لم يكن وفق أي خطة فكل من أراد أن يختار مكان يسكن به فيلجأ إليه ويسكن فقد اختار العرب المناطق السهلية وتركزوا في

الجنوب الشرقي وهي مناطق ليس فيها جبال وأراضي منبسطة ... أما البربر فقد سكنوا مناطق جبلية شمالية وشمالية غربية وتمثلت بسرقسطة وطليطلة ... وقد يركز المؤرخون أن العرب هم الذين فرضوا على البربر بإسكانهم في مثل تلك المناطق إلا أن هذه الرواية غير صحيحة فكل منهم سكن في المنطقة التي أرادها وأختارها ...

أفراد المجتمع في الأندلس : يقسم إلى عدة أقسام :

1 – البلديون : هم سكان البلاد الأصليين الذي وقع على أيديهم فتح الأندلس الذين قدموا مع طارق بن زياد وموسى بن نصير في فتح الأندلس كل من العرب والبربر.

2 – الطوالع : الذي دخلوا مع الولاة مثل (طالعة الحر) المكون من 400 شخص وطالعة الخطار المكون من (30) شخص الذين دخلوا بشكل رسمي مع الولاة .

3 – الشاميون : الذين دخلوا مع بلج عشرة آلاف مقاتل هم أكثر من دخل الأندلس بعد طارق وموسى وعندما أستنجد بهم عبد الملك بن قطنن الفهري وفي زمن أبو الخطار أسكنهم في مناطق عرفت بـ(الكور المجندة) فتم توزيعهم في مناطق الأندلس وكانت كل قبيلة تجبي غلة ناحيتها, وتأخذ منها عطاءها, وترسل الزيادة إلى بيت المال, سواء في المغرب أو إلى مقر الخلافة في دمشق ، وأقطع أيضا القبائل العربية الشامية ثلث أموال أهل الذمة من الروم الباقين في الأندلس .

4 – المولدون : نتجوا هؤلاء من امتزاج دماء عربية بدماء نصرانية عن طريق التزاوج المسلمين بالنصرانيات و أصبح لهم دور مؤثر في الأندلس.

5 – المستعربون : الذين بقوا على نصرانيتهم لكنهم تعلموا اللغة العربية وأخذوا التقاليد العربية و قاموا بعدة ثورات في عهد الإمارة .

أهم مميزات عهد الولاة :

1 – نشر الدين الإسلامي : حيث دخل في هذا العهد أعداد كبيرة من النصارى إلى الإسلام لأنهم وجدوا في هذا الدين المساواة وحقق المساواة بين النصارى والمسلمين حيث جعلوا الذين يأخذوا الجزية هم من النصارى .

2 – استمرار عمليات الفتح : حيث استمرت عمليات الفتح في عهد الولاة حيث في مناطق الشمالية والشمالية غربية وهي مناطق جبلية التي لم يتم فتحها في عهد طارق بن زياد وموسى بن نصير ولكنها فتحت في عهد الولاة فقد بقيت منطقة (صخر بلاي) التي أصبحت مقراً لفلول القوط وبعدها أصبحت للممالك الإسبانية.

3 – إرسال الحملات : إرسال الحملات في عهد الولاة حيث كانت هذه الحملات جهادية وعرفت تلك الحملات بـ(صوائف والشواتي).

4 – فتح مناطق جديدة : حيث فتحت مناطق جديدة هي منطقة الجنوب الفرنسي المعروف بـ (بلاد غاله) ووصل المسلمين على بعد 30 كم من باريس .

5 – انتشار مذهب الأوزاعي : انتشار مذهب الإمام الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي) في الأندلس الذي كان الغالب على الدولة الأموية . ويتميز هذا المذهب كان حربي وكانت بلاد الأندلس في حالة حرب لذا لقي انتشاراً واسعاً في الأندلس .

6 – قيام الإصلاحات الإدارية : حيث قام في عهد الولاة القيام بإصلاحات إدارية ومالية كما حدث في عهد (السمح بن مالك الخولاني وعنبسة بن السحيم الكلبي وعبد الرحمن الغافقي) عندما قاموا بتنظيم الأمور المالية وجباية الضرائب والأرض والجزية وتخميس الأراضي .

7 – الإهتمام بالناحية العمرانية : حيث أنشأوا العديد من المساجد في الأندلس كما في عهد (السمح , وعنبسه , وعبد الرحمن) مثل اصلاح القنطرة الواقعة على النهر الكبير الذي ربط بين شمال وجنوب مدينة قرطبة في عهد السمح بن مالك الخولاني .

8 – انتشار اللغة العربية : حيث انتشرت اللغة العربية بين سكان الأندلس لأنها تعد لغة القرآن الكريم ومن أجل التعليم بالتعاليم الإسلامية .

9 – وجود الاضطرابات : حيث حدثت الاضطرابات في عهد الولاة بين العرب والبربر الأمر الذي أثر بشكل سلبي على ولاية الأندلس وأدى إلى ظهور الممالك الإسبانية الذين استغلوا فترة الضعف والخلافات التي مرت بها الأندلس .

10– تميز هذا العهد بأن الدولة الأموية طبعته بطابع عربي أي أكثر قيادة الدولة أصبحت بأيدي عربية أغلبهم كانوا من العرب ... تولى ولاية الأندلس أكثر من عشرين والي وهؤلاء الولاة لم يكونوا على صفة واحدة فمنهم القوي ومنهم الضعيف ومنهم من حكم فترة طويلة ومنهم من حكم فترة قصيرة ... إلا أن أبرز الذين حكموا في عهد الولاة هم (السمح بن مالك الخولاني وعنبسة بن سحيم الكلبي وعبد الرحمن الغافقي وعقبة بن الحجاج السلولي) .

تأسيس الممالك الإسبانية في الأندلس :

إمارة اشتوريش : مملكة اشتوريش أو جيليقية مؤسسها بلاي الذي استطاع من التوسع على حساب العرب مستغلين الاضطرابات التي حدثت بين العرب وأدت إلى ضعف موقفهم واستطاعت هذه الإمارة من السيطرة على مناطق شاسعة حتى وفاة (بلاي) سنة 119 وتولى ابنه (فاقله) الذي دام سوى سنتان وبعدها قتله (دوب) ... وتولت الحكم أخته من بعده التي عرفت (أرمندة) وفي هذه الأثناء نشأة مملكة أخرى هي (كانتبرية) إلا أن هذه المملكة كانت معرضة لهجوم من قبل العرب لأنها تعد الطريق التي تمر منه الحملات العربيه إلى الجنوب

الفرنسي التي أدت إلى أنكماشها ... وبعد وفاتها تولى ابنه (الفونسو) الذي استطاع الزواج من ملكة (اشتوريش) أرمندة وبهذا استطاعوا الاتحاد بين مملكتين (كانبتريه) و (اشتوريش) وعرفت بمملكة (ليون) التي امتدت على مساحات شاسعة في الأندلس ... وظهرت مملكة أخرى هي (نافار) في الجنوب الغربي من جبال (برتال) وحيث استطاعت هذه المملكة من السيطرة على مساحات واسعة ... وظهرت مملكة أخرى هي (قشتالة) التي تقع بين (ليون , ونافارا) وسميت (قشتالة) لكثرة الحصون والقلاع فيها حيث كانت تسمى ولاية (البة والقلاع) واستطاعت أن تفرض سيطرتها على جميع اسبانيا حيث سيطرت على (ليون – ونافار) واستطاعت من اسقاط دولة العرب في الأندلس في عهد (ايزابيلا – وفرناندوا) سنه 897 هـ .

أهم الأمور التي أدت إلى قيام الممالك ...

1 – عوامل سياسية : بسبب الاضطرابات التي كانت بين العرب والبربر أدى إلى التوسع على حساب العرب وكذلك الخلافات بين الولاة التي كان لها أثر كبير في قيام تلك الممالك .

2 – عوامل اقتصادية : حيث تميزت مناطق الشمالية الغربية بقلة الموارد فعمل العرب والبربر على ترك تلك المناطق وبذلك استطاعوا المماليك من السيطرة على تلك المناطق .

3 – عوامل عسكرية : نتج عن ضعف الجيش العربي الإسلامي في بعض الفترات مما أدى إلى سيطرة وظهور الممالك لتتقدم وتحتل تلك المناطق .

4 – حدوث مجاعات في الأندلس : أدت إلى هجرة العرب والبربر إلى مناطق شمالية وشمالية غربية والتوجه إلى جنوب والوسط .

المحاضرة الثانية عشر– الجانب الحضاري في عصر الولاة :

الجانب العمراني :

من المعالم الحضارية الأولى في الأندلس خلال عصر الولاة هو مسجد الرايات أختط قبل أن يغادر موسى الجزيرة الخضراء، إذ أمر بإرساء الحجر الأساس لبناء مسجد هناك تخليداً لذكرى حملته هذه، سمي بمسجد الرايات

وكذلك أسس حنش بن عبد الله الصنعاني الذي عرف بـ (مهندس المساجد في الأندلس) ومن بينها مساجد مدن البيرة وقرطبة وسرقسطة وغيرها وكما هو معروف عن دور المسجد، الذي يتجاوز مراسيم العبادة، إلى دورِهِ العلمي والثقافي في نشر تعاليم الإسلام قبل ظهور المدارس ، وقد وردت إشارة إلى المعلمين في عصر الولاة الذين يعلمون الصبيان قراءة القرآن، مما يدل على اهتمام واسع بنشر الإسلام.

وأنشأ السمح قنطرة قرطبة الشهيرة، على نهر الوادي الكبير، تحقيقا لرغبة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وأبدى في جميع أعماله حزما

ورفقا وعدلا، فالتف الزعماء حوله، وخبت الفتنة وهدأت الخواطر، واستقر النظام والأمن وكان السمح فوق كفايته الإدارية جندياً جريئاً وقائداً عظيماً .

وكما مبين هنا مشهد حضاري لقنطرة قرطبة .

قنطرة قرطبة

كما عرف عن هذا العصر بعدم الاستقرار السياسي وذلك بسبب الصراعات القبلية الكثيرة فيه، والذي أدى إلى تعاقب أربعة وعشرين والياً لحكم هذه الولاية ، فأدى هذا الأمر إلى عدم استقرار المجتمع الأندلسي مع الأخذ بنظر الاعتبار أن أكثر الداخلين إلى الأندلس في هذه الفترة كانوا جنوداً وحكاماً، اهتموا بالأمور السياسية والعسكرية بالدرجة الأولى فقد عرفت الأندلس في عصر الولاة نوعاً من الثقافة، كانت اللبنة الأولى

لبناء صرح حضارة العرب فيها فقد دخل الأندلس في فترة الولاة مجموعة من الصحابة والتابعين، رافقوا عمليات الفتح أو بعدها ، وكان واجبهم الأول بعد الجهاد تفقيه الناس بأمور الدين، وتخطيط المساجد في أمهات المدن الأندلسية المفتوحة، والتركيز على علوم الدين واللغة أولاً.

ويبدو لنا أن أماكن التعليم في هذا العصر كانت لا تتجاوز حلقات المساجد أولاً، والكتاتيب التي ورد لها ذكر في أواخر عصر الولاة ثانياً وفي هذا العصر ظهرت البوادر الأولى للأدب العربي المتمثل في الشعر والنثر والخطابة ، ذكرت بعض المصادر عن بعض الشعراء في عصر الولاة ونماذج من شعرهم، ويأتي في طليعتهم: أبو الأجرب جعونة بن الصمة الذي هجا الصميل بن حاتم زعيم القبائل القيسية ومن ثم مدحه بعد ذلك، وكذلك بكر الكنائي، وقد سأل أبو نواس عباس بن ناصح عندما التقى به في العراق عن هذين الشاعرين وعن نماذج من شعرهما.

ومن شعر جعونة:

ولقد أراني من هواي بمنزل ... عال ورأسي ذو غدائر أفرعُ

والعيش أغيد ساقط أفنانه ... والماء أطيبه لنا والمرتع

ومن شعراء هذا العصر أيضاً، الوالي أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي(125 – 128 هـ/743 – 746 م) ، والذي كان يلقب بعنترة الأندلس ، ومن شعره:

فليت ابن جواس يخبر أنني ... سعيت به سَعْيَ امرئ غير عاقلِ

قتلتُ به تسعين تحسب أنهم ... جذوع نخيل صُرِّعت في المسايل

والكتابة كانت ضرورية تقتضيها ظروف الفتح وإدارة البلاد، وإعطاء المواثيق وكتابة المعاهدات. ومن أشهر كتابات هذا العصر عهد موسى بن نُصير إلى تُدمير، وعهد بنبلونة، ورسالة يوسف الفهري آخر ولاة

الأندلس إلى عبد الرحمن الداخل ومن أشهر كتاب هذا العصر خالد بن يزيد كاتب يوسف الفهري، وكذلك أمية بن زيد الذي دخلَ الأندلس مع جنود بلج بن بشر، واتصل بخالد بن يزيد فجعله كاتباً معه وفي الوقت نفسه لم يتوفر لفاتحي الأندلس التأثر بالثقافة القوطية المحلية، نظراً لضعف هذه الثقافة، وضيق أفقها، واقتصارها على المجال الديني بصورة خاصة إضافة إلى أن ظروف الأندلس السياسية في عصر الولاة، أوجدت فيها جواً لا يلائم أي تقدم في مضمار الثقافة، لانهماك الناس بالمنازعات الكثيرة التي سيطرت على مسرح الأحداث، لذا اقتصر اقتباس الأندلسيين من الثقافة في هذا العصر على ما هو ضروري من المشرق العربي ، لتمشية أمور الحياة وفق أحكام الدين الإسلامي. أما في مجال العلوم الصرفة، فكان أهل الأندلس منذ الفتح حتى بداية عصر الإمارة يعتمدون في الطب على كتاب مترجم من كتب المسيحيين يقال له الإبرشيم .

ومن المعروف أن الحضارة الأندلسية لم تنشأ فجأة، بل مرت في أدوار مختلفة، وخضعت لمؤثرات حضارية مشرقية تربطها بالوطن الأم باعتبارها جزءاً منه، كما خضعت أيضاً لمؤثرات حضارية محلية بحكم البيئة التي نشأت فيها ففي عصر الولاة كانت الأندلس تابعة للسيادة الأموية سواء في بلاد الشام أم في قرطبة، ولهذا كان من الطبيعي أن تتأثر بالمظاهر الحضارية الشامية جميعاً، وهو ما يسمى بالتقليد الشامي: فمن الناحية الدينية، اعتنق الأندلسيون في هذه الفترة مذهب الإمام الأوزاعي ، الذي كان من المجاهدين الذين رابطوا في مدينة بيروت لصد غارات العدو البيزنطي البحرية، ولهذا اهتم مذهبه

بالتشريعات الحربية وأحكام الجهاد، وهذا الاهتمام كان يناسب وضع الأندلسيين في هذه الفترة من حياتهم القائمة على حروب الجهاد، ولهذا اعتنقوا هذا المذهب.

المحاضرة الثالثة عشر – الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وابنه هشام:

أولا – الأوضاع الداخلية:

عندما تمكن العباسيين من القضاء على الدولة الأموية عملوا على ملاحقة بني أمية وقتلهم وقتل جميع أتباعهم والبحث عنهم عندئذ بدء بني أمية الهروب من بلاد الشام نحو البلدان المختلفة .. و عمل العباسيين على تدبير حيلة وأظهروا أنهم أوقفوا ملاحقة بني أمية فدعوهم على وجبة غذاء فوافقوا بني أمية على هذه الدعوة والتي كانت في قرب نهر (أبي فطرس) وبذلك خدعوهم وقاموا بقتل أمراء بني أمية ،وفي هذه الأثناء كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك مختبئا في إحدى مدن الشام مع أخيه (يحيى) إلا أن الطلائع العباسية كانت مستمرة في عملية البحث على الأمويين وعندما علموا بقدوم العباسيين إليهم هربوا فكان أمامهم نهر الفرات فألقى عبد الرحمن وأخيه نفسهما في النهر حيث أن يحيى بقى في وسط النهر لم يستطع اكمال عبور النهر فرجع لأن العباسيين أعطوه الأمان إلا أنهم قتلوا أخيه يحيى ولكن عبد الرحمن استطاع من أن يكمل المسير .

وكلف أخته أن ترسل له مولاه (بدر) إلى فلسطين وتمكن من الهروب من فلسطين إلى مصر بزي الحجاج وبعدها هرب إلى المغرب الأدنى فيما بعد لأن وإلى إفريقيا عبدالرحمن الفهري بدء بتعقب الأمويين وقتلهم لأنهم سوف يشكلون خطراً عليه فاستقر في المغرب الأقصى ويرجع سبب إختياره المغرب الاقصى حيث كانت أمه بربرية من قبيلة (نفزه) فأقام بينهم .

ولد عبد الرحمن في دمشق سنة 113هـ توفي أبوه وهو كان غلام فتولى رعايته جده الخليفة (هشام بن عبد الملك بن مروان) حيث عمل الخليفة على تربيته تربية حسنة وعلمه الفنون العسكرية والإدارية إذ كان يحبه كثيراً وكان جده يتنبأ له بمستقبل زاهر .

ثم بعد ذلك بدأت أنظاره تتجه نحو الأندلس ولاسيما أنه كان يعلم أن لديهم موالي في الأندلس مؤيدين لهم وقد تحدث عن ذلك ابن عذاري بقوله:)فخرج عبد الرحمن بن معاوية مختفيا من موضع إلى موضع ،وهمه الأندلس ، لما كان في نفسه من أمرها ومن الأثر المروي عنه منها ، فوصل إلى مصر، ثم سار منها إلى برقة، فبقى فيها مستترا مدة ، ثم رحل عنها ، فأوغل في المغرب) , ولذلك أرسل مولاه بدر إلى قرية طرش في أواخر سنة 136هـ / 754م للاتصال بموالي بني أمية يطلب منهم مساعدة سيده عبد الرحمن بن معاوية وعند ذلك اتصل بدر بأبي عبدة (حسان بن مالك) مبيناً له الظروف التي مر بها عبد الرحمن بن معاوية .

عند ذلك قرر زعماء الموالي في الأندلس ومن أبرزهم يوسف بن بخت , وعبيد الله بن عثمان , وعبد الله بن خالد , تقديم العون لعبد الرحمن بن معاوية ظنا منه انهم سيحصلون على النفوذ في ظل حكمه , واتصلوا بالصميل بن حاتم وكانت نتيجة الاتصال بالصميل في بداية الأمر تضمنت موافقة على ما طلبوا منه فوافق الصميل بدخوله وذلك للانتقام من يوسف لأنه لم يرسل إليه المساعدة في فك الحصار عنه في مدينة سرقسطة المفروض من قبل اليمانيين فوافق بدخول عبد الرحمن في بداية الأمر , إلا أنه عندما فك الحصار عنه , لكنه تراجع بعد ذلك حيث أدرك خطورة دخول عبد الرحمن إلى الأندلس لأنه من أسرة تعودت على الحكم وأن عبد الرحمن في حال حصوله على إمارة الأندلس سيقضي على الزعامات القبلية ومن هذه الزعامات زعامة الصميل ونتيجة لما تعرض له الموالي على يد الصميل والمضرية بشكل عام , اتصلوا بزعماء القبائل اليمانية الذين أرادوا أخذ ثأرهم من المضرية , وأنضم الموالي إلى جانب اليمانيين في تهيئة الأمور لعبد الرحمن الداخل.

عاد بدر مولى الأمير عبد الرحمن الداخل إلى المغرب الأقصى في بداية عام 137هـ / 754م وهو يحمل معه أخباراً عن القبائل اليمانية , وقد اقترح عليه عبدالرحمن الداخل أن يأتي إليه بعض زعماء اليمانية ليتأكد من ولائهم له , عند ذلك رجع بدر إلى الأندلس وسلم أبا عثمان إجابة عبد الرحمن الداخل, وقد وفد على عبد الرحمن الداخل أحد عشر رجلاً مع مولاه بدر لحثه على عبور الأندلس , وكان من ضمنهم عبد

الغافر بن حسان بن مالك والذي أرسله أبو عبدة لكي يطلعه على أمور الأندلس ويخبره استعداد الموالي لتقديم العون له وبعد اطمئنان عبد الرحمن الداخل إلى ولاء أهل الأندلس قرر العبور إلى الأندلس ونزل ميناء المنكب(,في عام 138هـ / 755م وذهب إلى قرية طرش والتقى بابي عثمان عبيد الله بن عثمان وجاءت الوفود إلى عبد الرحمن الداخل لمناصرته من مدن أندلسية مختلفة ،فضلا أن عبد الرحمن الداخل بدء يتنقل بين مدن الأندلس من أجل كسب الأتباع والمؤيدين له ، إذ توجه إلى كورة البيرة , لكنه غادرها ولم يستقر فيها لفترة طويلة وذلك لعدم وجود مؤيدين له عند ذلك قرر هو ومن معه من الأمويين التوجه إلى أجناد اليمن في رية وشذونة واشبيلية أي أجناد الأردن وفلسطين وحمص وذلك في رمضان سنة 138هـ / شباط – اذار 765م ساروا ومعهم ستمائة فارس إلى كورة رية , مقر جند الأردن , وفي أول أيام عيد الفطر طلبوا من خطيب جامع أرشذونة قاعدة ريه أن يخلع الوالي يوسف الفهري , ويخطب لعبد الرحمن بن معاوية كأمير للبلاد واقسموا يمين الولاء له .

وهكذا لحق بابن معاوية أعداد غفيرة من أهل اليمن وبني أمية من أهل قرطبة في صراعه مع يوسف الفهري , وفي هذه الأثناء كان يقوم يوسف بحملة في المناطق الشمالية والشمالية غربية ورجع إلى مدينة قرطبة ومعه الصميل عند ذلك تشاورا الصميل والفهري على كيفية مواجهة الأمير عبدالرحمن فنصحه الصميل بن حاتم بالتوسل إليه بالمكر والخديعة للإيقاع به، فهو شاب حدث لا خبرة له ، وهو قريب

عهد بزوال النعمة، مما يساعد على سهولة خداعه، وعندئذ يتحكم فيه ومن معه سعى له من موالي بني أمية، ومن أيده من اليمانية ، أما الطريقة التي نصحه بانتهاجها فهي تزويجه ابنته (ابنة يوسف الفهري) وأن يسكنه في أي الجندين شاء، جند دمشق أو جند الأردن، أو يسكن بينهما، ويعهد إليه أمر الكورتين ويبعث إلية بكسوتين ومطيتين وخمسمائة دينار.

فقام عبد الرحمن بأخذ الأموال إلا أنه رفض بقية الشروط وقام عبد الرحمن بتجهيز جيش وتقدم به إلى قرطبة وكان يبلغ ثلاثة آلاف جندي فالتقى مع جيش كل من يوسف والصميل فكان بينهما نهر الوادي الكبير الذي كانت مياهه مرتفعة ولا يستطيع أحدهما العبور عندئذ عمل عبدالرحمن على حيلة إذ أرسل وفدا إلى الصميل ويوسف بالموافقة على الشروط السابقة وطلب منه السماح بالعبور إليه من أجل انجاح المفاوضات فوافق عبد الرحمن الفهري على ذلك فعبر جيش الأمير عبدالرحمن فسكن في منطقة تكثر فيه الزيتون حيث كان يعصر فيها (زيت الزيتون) في منطقة (المصارة) وفي الصباح هجم الأمير عبدالرحمن على جيش يوسف والصميل الذين كانوا غير مستعدين للمعركة وهنا حدثت معركة شديدة بين الطرفين وكانت نتيجتها اندحار يوسف الفهري ومن معه , الذي انهزم إلى سفح جبل قرطبة , وأستولى الأمير عبد الرحمن الداخل على الملك في الأندلس وإرجاعه إلى بني أمية والتي سميت بـ (معركة المصارة) ثم دخل إلى مدينة قرطبة واخذت له البيعة العامة وأصبح عبد الرحمن الداخل الحاكم الفعلي في

الأندلس, وكان دخول الأمير عبد الرحمن الداخل إلى قرطبة في يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة 138هـ / 14 ايار 756م .

وفي هذه الأثناء بدء يوسف والصميل بتجهيز جيش من جديد في الهجوم على مدينه قرطبة وايضاً حدثت معركة أخرى وانتهت بانتصار عبد الرحمن وبعدها تم التوقيع على اتفاقية التي نصت على :

1 – إطلاق سراح أسرى كل من الجيشين .

2 – أن تبقى الأموال والأراضي بيد الصميل ويوسف وعدم التعرض إليهما .

3 – أن يمثل يوسف إلى القصر . أي يوقع كل يوم لتأكيد حضوره في الأندلس وبدأت في هذه الأثناء القبائل القيسية واليمانية بتحريض يوسف على بالخروج وأستطاع يوسف من الهروب من قرطبة سنة 141هـ إلى طليطلة أما الصميل فقد شجع يوسف ايضاً على الهروب ليبقى وينفرد لوحده وأستطاع من تكوين جيش وحاول من السيطرة على أشبيلية التي حكمها (عبد الملك بن عمر المرواني) حيث حاصره يوسف ولكن يوسف لم يستطيع دخول المدينة توجه الامير عبدالرحمن إلى اشبيلية لفك الحصار فرفع الحصار يوسف توجهه لملاقاة الأمير عبدالرحمن عندئذ أصبح بين جيش الأمير عبدالرحمن وجيش عبد الملك بن عمر إلا أنه قرر مقاتلة جيش عبد الملك بن عمر فهرب جيش يوسف وهو حاول الهروب لكن تم القبض عليه وقتله , أما الصميل أيضاً تم قتله في قرطبة عن طريق أحد أتباع عبد الرحمن وبذلك صفي الوضع إلى

عبد الرحمن وتخلص من معارضيه في الحكم وهما يوسف والصميل واستطاع بذلك السيطرة على قرطبة وبقية المناطق.

ومما يذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل سمي بهذا الاسم لأنه أول أمراء بني أمية الذين دخلوا الأندلس .

وقد واجه هذا الأمير في بداية حكمه ثورات عديدة هي:

-1 تـ

مرد العلاء بن المغيث اليحصبي: وظهر هذا المرد سنة 146هـ في منطقة باجة شرق الأندلس وبمساعدة الخليفة العباسي المنصور حيث أشارت المصادر على أن أبا جعفر المنصور المحرض لهذا التمرد فأعلن العلاء عصيانه وجمع حوله من الأنصار وقد أرسلت الخلافة العباسية شعار الخلافة له وعده المنصور بولاية الأندلس في حالة انتصاره. وقد جرت عدد من المعارك كان النصر فيها حليفاً للعلاء وسيطر على العديد من المناطق، أما عبد الرحمن تقدم له بجيش كبير إلا أن في البداية أستطاع العلاء من الانتصار وحاصر عبد الرحمن في مدينه (باجة) .. ولكن عبد الرحمن تمكن بعدها من الانتصار بـ (700) فارس على جيش (العلاء) بالرغم من أن جيش العلاء كان أكثر من جيشه وقطع رأسه وأرسله مع قافلة من الحجيج إلى بيت الله حين كان المنصور في الحج ونتيجة لهذا الموقف قال المنصور كلمته الشهيرة (الحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحراً) .

-2

مرد سعيد اليحصبي: وقد ظهر هذا سنة 149 هـ في كورة لبلة محرضا لليمانية وذلك انتقاما لمقتل العلاء بن مغيث ومن قتل معه من اليمانية ، فانظمت إليه أعدادا كبيرة من أهل إشبيلية فتمكن الداخل من صد هذا الهجوم والانتصار عليه .

-3

ما التمرد الذي واجه عبد الرحمن في الأندلس هو تمرد (**شقيا بن عبد الواحد البربري**) سنة 152هـ وأصله من بربر مكناسة كان فقيها يعلم الصبيان ، والذي ادعى انه سليل النبي (صلى الله عليه وسلم) وسمى نفسه (عبد الله بن محمد) ذاعت دعوته بين خصوم الداخل حيث امتدت هذه الثورة للكثير من مناطق الأندلس وتمكن شقيا من السيطرة على عدة مناطق بالرغم من ان عبد الرحمن أرسل له عدة جيوش لكنه لم يستطيع من القضاء عليه ... ولكن تمكن بعدها عبد الرحمن من القضاء على (شقيا) وثورته وذلك بتعين (هلال بن عمر المديوني) أيضاً الذي كان بربري حيث كان قائداً للجيش وعمل الهلال على معاقبة كل من يدخل في حركة شقيا واعطاءهم مقابل ذلك الأموال الذين يتركون شقيا، حيث تمكن عبد الرحمن من تجريد (شقيا) من جميع أتباعه وبذلك سهل في عملية قتله والقضاء عليه من قبل أتباعه سنة 160هـ ..

ثانيا – الثورات الخارجية في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل :

من الثورات الخارجية التي واجهها عبد الرحمن الداخل هي الثورة التي قامت في مدينة سرقسطة سنة (157هـ) حيث كان حاكم مدينة سرقسطة هو الصميل ... وكانت الثورة من قبل أشخاص يمانية هما (**سليمان بن يقضان الاعرابي و حسين بن يحيى الأنصاري**) اللذان رفضا عبد الرحمن...أرسل لهما عبد الرحمن جيش بقيادة (ثعلبة بن عبيد الجذامي) فاستطاعوا من الانتصار على جيش ثعلبة واستطاعوا من أسر قائد الجيش(ثعلبة) وذلك في سنة (158هـ /775 م) ... عندئذ أحس بأنهم في حالة خطر لا سيما عندما قرر عبد الرحمن الاستعداد إلى معركة كبيرة لإرجاع الحكم لذلك قرر كل من الانصاري والاعرابي الاستعانة بـ (شارلمان) حاكم دولة الكارولنجية ليكون بجانبهم ضد عبد الرحمن وأن (شارلمان قد وافق وذلك لعدة أسباب :

1 – أنه إستطاع من العمل على استقرار الأوضاع في بلاده وخاصة بعد القضاء على ثورة السكسون في بلاده .

2 – دافع أوربي من أجل كسب سمعة داخل أوربا ليصبح له نفوذ كبير .

3 – كرهه للمسلمين بسبب كثرتهم وامتداد نفوذهم في مناطق واسعة فوجد شارلمان هذه فرصة للقضاء على حكم المسلمين بعد أن كانوا المسلمين هم الذين يرسلون ويخرجون حملات فأصبحوا هم يؤدون هذه المهمة ، فاستغل شارلمان هذه الأوضاع وجهز جيش كبير وتوجه بهم إلى سرقسطة وقسم شارلمان الجيش إلى قسمين الأول بقيادته والثاني بقيادة (دوق برنار) فتوجه بهم شارمان إلى الجنوب الفرنسي حيث

كانوا يعتقدون انه سوف يستقبلونه النصارى حيث أول مدينة إليها هي (بنبلونة) ورفضوا دخول المدينة ولكنهم استطاعوا الدخول بعد فرض الحصار حيث عمل على تخريب المدينة وبعد أن سيطروا على (بنبلونة) تقدم إلى مدينه (سرقسطة). وفي هذه الأثناء رفض الحسين الانصاري بفتح أسوار مدينة سرقسطة لشارلمان وذلك بسبب إعتقاده أن شارلمان سوف يسيطر على المدينة وجميع أنحاء الأندلس فقام شارلمان بفرض الحصار على مدينة سرقسطة لفترة طويلة وبعدها فك الحصار عنها سنة (161هـ) وذلك لعدة أسباب هي:

1 – عودة ثورة السكسون في بلاده فعاد إليها تاركا الأندلس ورأى أنه من الأولى حماية ممتلكاته في بلاده.

2 – أعياه وأتعبه الحصار هو وجيشه .

3 – بعد المواصلات بين ألمانيا وسرقسطة .

4 – بدأت المؤن تنفذ من الجيش .

فعندئذ قرر شارلمان بفك الحصار والرجوع إلى المانيا .سالكا طريق الممرات الجبلية عند ذك واجهته مشكلة العبور فلا يستطيع الجيش بالعبور على شكل كتائب إلا بصورة منفردة فهذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل لعبور الجيش وأن أهالي مدينة (بنبلونة) قرروا مهاجمة الجيش وأيضاً خروج المسلمين إلى مقاتلة الجيش مع أهالي مدينة (بنبلونة) فبدأوا بمقاتلة مؤخرة الجيش لأنهم كانوا بعيدين عن مقدمة الجيش ولا

يستطيعون العودة لمعاونتهم فاستطاع كل من المسلمين وأهالي بنبلونة من مقاتلة الجيش واستولوا على الغنائم واطلاق سراح سليمان ابن يقضان الأنصاري وقتل قائد الحامية (رولان) هو قائد حامية مؤخرة الجيش، أما شارمان فلم يرجع إلى مقاتلته والأخذ بثأر مقتل قائد الحامية وذلك لأن المنطقة كانت ضيقة فلا يستطيع القيام بأي عمل عسكري وأيضاً أن شارلمان كان يتقدم بسرعة للقضاء على ثورة السكسون لذا أن شارلمان لم يقرر الرجوع وهكذا قد تخلص منه عبد الرحمن فبدء عبد الرحمن العمل على قضاء والايقاع بكل من الاعرابي والأنصاري واستخدم الحيلة وقتل الاعرابي في سنة (165هـ) في الجامع أما (الحسين بن يحيى الأنصاري) فقد سيطر على سرقسطة فقرر عبد الرحمن من قياده جيش والتوجه نحو مدينه سرقسطة واخضاعها إلى نفوذه وذلك خشية من الأنصاري ليقوم بالاستنجاد بـ (شارمان) مرة أخرى وبذلك استطاع عبد الرحمن من القضاء على كل من (حسين بن يحيى الأنصاري وسليمان بن يقضان الاعرابي) .

ثالثا – مميزات عهد الأمير عبد الرحمن الداخل :

أهم ما تميز به عهد الأمير عبد الرحمن الداخل :

1 – القضاء على نفوذ القبائل , بعد أن كانت القبائل هي المسيطرة على إدارة الحكم عمل على إحلال السلطة المركزية محل سلطة القبائل .

2 – اهتم اهتماماً بالغاً في الجيش لاعتقاده أنها الوسيلة للحفاظ على الأمن ، وأنه سوف يواجه ثورات عديدة فعمل على تكوين الجيش الذي

بلغ مئة ألف مقاتل وقام بتنويع الجيش من عدة أصناف حيث كان مكون من العبيد والسودان والصقالبة .

3 – إنشاء جهاز الشرطة الذي كان مكون من أربعين ألف مقاتل وأول من تولى هذا المنصب في الأندلس هو عبد الرحمن بن نعيم الكلبي وذلك لوضع حد للاضطرابات التي قامت بها القبائل اليمانية في الأندلس لذلك عمد على إنشاء هذا المنصب .

4 – فتح أبواب الأندلس أمام الذين فروا من الدولة العباسية فدخل الكثير من القادة والأمراء وغيرهم في الأندلس الذين أصبحوا لهم ثقل في إدارة الدولة .

5 – عمل على قيام ألفه بين أهل الأندلس والتعاون بين أبناء المجتمع من أجل النهوض بواقع الأندلس فرضت عنه جميع الأفراد فاستبشر اليمانية به خيراً وكذلك البربر وفضلاً عن الموالين لبني أمية .

6 – اهتم بالجوانب الإدارية في الأندلس حيث عمل على تنظيم أمور الولاية بعد أن كانت الأوضاع مضطربة اقتصادياً وادارياً والعمل على تنظيمها واستعاده منصب الدواوين منها ديوان الجيش والمال وتطوير العمل الإداري .

7 – كان عبد الرحمن يخطب للخلافة العباسية في بداية الأمر وبقي لمدة 10 أشهر .. ولكن بعد اصرار بني أمية على إلغاء اسم الخلافة

العباسية وذلك للتنكيل الذي تعرضوا له بني أمية من قبل الخلافة العباسية .

8 – أطلق على نفسه لقب الأمير ولم يطلق لقب (الخليفة) وذلك لعدة أسباب منها :

أ –لا يجوز خليفتين في آن واحد على بلاد المسلمين .

ب – وأن الخليفة لا بد له من أن يحكم المدينة المنورة ومكة ليصبح خليفة.

9 – أطلق عليه عدة ألقاب هي :

أ – الداخل : لأنه أول من دخل من أمراء أمية إلى الأندلس .

ب – صقر قريش : هو اللقب الذي أطلقه عليه أبو جعفر المنصور .

ج – ابن الخلائف : لأنه من أبناء خلفاء بني أمية .

د – عبد الرحمن الأول : لأنه سوف يظهر الثاني من بعده .

رابعا –علاقته مع المماليك الاسبانية :

عمل عبد الرحمن في فتره حكمه على مهاجمة الممالك الاسبانية بالرغم من أنه كان مشغولا بتثبيت أركان الدولة والقضاء على الثورات الداخلية والخارجية في الأندلس ، حيث عمل عبد الرحمن على إرسال حملات عسكرية لإظهار قوة الدولة وحماية الانجازات التي عملت في الدولة خلال فترة حكمه فأرسل حملة بقيادة (عمر بن عبد

الملك) نحو مملكة (اشتوريش) والحملة الثانية سنة 168 وأنه لم يرسل سوى حملتين وذلك بسبب انشغاله بظروف داخلية وكذلك أن الممالك الاسبانية لم تحاول التدخل في شؤون الأندلس منشغلين بالاضطرابات الداخلية وأنهم لم يدخلوا الصراع معهم لذا كانت علاقتهم مد وجزر وتوفي عبد الرحمن الداخل سنة 172هـ

خامسا – الأندلس في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن :

أ- طريقة توليه الإمارة:

بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل تولي من بعده **ابنه الحكم (هشام عبد الرحمن)** واستمرت فترة حكمه من سنة (172 – 180هـ) الذي أحدث تبدلات مهمة .. وأهم ما تميز به عهده هو دخول مذهب الإمام مالك إلى الأندلس .. وكان هشام رجل دين وتقي وعادل ...

عندما توفي عبد الرحمن ترك ثمانية أولاد منهم سليمان ابن عبد الرحمن وكذلك هشام بن عبد الرحمن ولكن بوفاته لم يعهد إلى أي من أولاده سواء سليمان أو هشام إنما طلب من ابنه عبد الله ايهما يصل إلى قرطبة أولا يصبح الأمير لكن نعتقد أن عهد إلى هشام الإمارة ، سليمان كان في هذا الوقت حاكماً على مدينة (طليطلة) وأما هشام فكان يحكم مدينه (ماردة) , أما الأمير عبد الرحمن فقد أراد أن يكون الحكم لابنه هشام وذلك لأن هشام كان رجلاً تقياً وأكثر تدنياً من سليمان وأن

سليمان لم يكن لديه خبرة .. فأصبح **هشام هو الأمير** لقد تولى هشام الحكم سنة 172هـ وقد واجهته في فترة حكمه ثورة من قبل أخويه (سليمان وعبد الله).. حيث كان سليمان يرى أنه أحق بالإمارة لأنه الأكبر وعلى هذا الأساس قرر سليمان وأخيه عبد الله القيام بالثورة ضد هشام فتقدم سليمان من مدينة طليطلة بجيش باتجاه مدينة (قرطبة) فخرج إليه هشام والتقى به في مدينة (جيان) التي تقع وسط الأندلس حيث استطاع هشام من الانتصار على جيش سليمان وعبد الله لذلك قرر الأخوين الهروب إلى طليطلة تحصناً فيها فذهب هشام وحاصر (طليطلة) وبعدها استطاع سليمان من الهروب إلى مدينة (قرطبة) إلا أن هشام لم يطارد ويلحق أخيه (سليمان) لأن في حالة سقطت قرطبة بيد سليمان سوف يسقط حكم هشام فلم يقم بملاحقة اخيه سليمان في مدينة قرطبة ؟ .

لأن هشام كان لديه ثقه بمقاومة أهل قرطبة لسليمان وفعلاً قام أهل قرطبة بمقاومة سليمان ... وفي هذه الأثناء استطاع هشام من دخول مدينة طليطلة وعندئذ تصالح الاخوة إلا أن الأمير نفاهم إلى المغرب .

ثانيا – اهتمامه بالرعية: اهتم بالفقراء حيث يوزع عليهم اعانات شهرية وخصص يوم للمظلومين مما زاد من محبته للشعب . وكذلك قام بتوجيه جيوشه في حملات عسكرية إلى مملكة (جليقية) سنة 176 هـ وكذلك 179 هـ وقد انتصر فيها العرب المسلمون توفي هشام سنة 180 هـ. واستمر فترة حكمه من (172 – 180 هـ) .

المحاضرة الرابعة عشر: الأندلس في عهد الأمير الحكم :

أولا- توليه ولاية الأندلس:

بعد أن توفي الأمير هشام بن عبد الرحمن سنة 180هـ عهد إلى أكبر أولاده هو **(الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن)** وفي عهده حدثت تبدلات مهمة .. حيث اختلف (الحكم بن هشام) عن أبيه في إدارة الدولة حيث كان شبيه بجده عبد الرحمن بحزمه وإدارته لكنه لم يكن تقياً وورعاً لذلك حدث تبدل مهم في إدارة الدولة حيث كان في عهد هشام وعبد الرحمن يهتمون بالفقهاء وعلماء الدين وذلك لعدة أسباب ..

1 – من أجل إضفاء الشرعية على حكمهم في الأندلس لأنهم انفصلوا عن الدولة العباسية الذي لا يجوز في الشريعة.

2 – الدولة كانت غير مستقرة فلا بد من دعم الفقهاء .. لكن في عهد الحكم فقدت أهمية الفقهاء وقرر الحكم من تحجيم دورهم في الدولة لكن بعمله هذا أدى إلى الدخول في عدة مشاكل وثورات

ثانيا- الثورات الداخلية:

أ- ثورة أعمامه: وأول هذه الثورات هي ثورة عميه التي قام بها عميه (عبد الله , سليمان) حيث عبد الله تزعم ثوره في مدينة (ماردة) وبلنسية .. وفي هذه الأثناء رجع سليمان من المغرب فعملا سوية من أجل إنهاء حكم (الحكم بن هشام) لكن الحكم استطاع من القضاء

على ثورتها فقرر قتل سليمان أما (عبد الله) لم يقتله لكن أرجعه إلى مدينة (بلنسية) وأصبح حاكماً عليها ،

ب- ثورة الفقهاء : وهذه الثورة قام بها الفقهاء سنة 181هـ حيث قرر الفقهاء العمل على إنهاء حكم الحكم بن هشام وتعين أحد أفراد البيت الأموي أميراً على الأندلس وفعلاً اتفق الفقهاء على مفاتحة أحد أفراد البيت الأموي (محمد بن قاسم) واتفقوا على تعينه من أجل تولي السلطة ... لكن (محمد بن قاسم) عمل على إفشاء سر هذه الاتفاقية لأميره (الحكم بن هشام) لخوفه من الحكم فقال له الحكم ابقى لكي يعرف بقية الفقهاء فحددوا يوم لاجتماع جميع الفقهاء فألقى القبض عليهم وقام بإعدامهم الذين بلغوا عددهم حوالي (70) فقيه من أبرزهم علماء الأندلس (طالوت بن عبد الجبار , وعيسى بن الدينار الغافقي وغيرهم .

إلا أن هذه العملية بقت في نفوس الفقهاء فقرروا العمل لإيجاد الفرصة من أجل الانتقام من حكم (الحكم بن هشام) وفعلاً في سنة 192هـ قرر الأمير الخروج بعملية عسكرية نحو الممالك الاسبانية فقرر الفقهاء من استغلال فرصة خروج الأمير الحكم وقيام تلك الحركة واستطاع الأمير من الرجوع وإنهاء تلك المؤامرة سنة 192هـ .

ج- ثورة المولدين : أما الثورة الأخرى هي ثورة (المولدين) التي قامت في طليطلة ضد الأمير (الحكم بن هشام) سنة 181هـ وسبب اختيار الثورة في مدينة طليطلة هي :

1 – إنها مركز لتجمع المولدين .

2 – وجود المستعربين .

3 – بقيت مدينة طليطلة لها أهمية خاصة باعتبارها كانت عاصمة القوط ومركز الكنيسة الكبرى.

4 – موقع طليطلة الاستراتيجي المهم في الأندلس لأنها تعد الثغر الأوسط ... فقرر المولدين القيام بالثورة بعد اختيار موقع المدينة ضد الحكم حيث تمكنوا من القضاء عليه وقتله وتعين (عبيدة بن حميد) حاكماً على طليطلة وشق عصا طاعة الأمير حكم ... وكان الحكم ذكياً حيث عين عمروس بن يوسف إلا أنه كان يدين بالولاء للأمويين فدخل المدينة وقتل (عبيدة بن حميد) وبعدها أظهر للمولدين عدائه الشديد للأمويين .. وفي هذه الأثناء قرر الحكم من الانتقام من أهل طليطلة بإرسال جيش بقيادة ابنه عبد الرحمن نحوهم لتأديبهم إلا أنه ذكر الجيش متوجه نحو الممالك الاسبانية . وفي هذه الأثناء قرر عمروس ببناء قلعه خارج المدينة ثم طلب من اهلها العمل على إعادة العلاقة بين الأمير الحكم وأهل طليطلة من خلال الضيافة الأمير عبدالرحمن فوافق أهل طليطلة وثم العمل على مؤامرة حيث تم حفر حفره في القلعة ودعوه وجهاء مدينة طليطلة فقرروا قتلهم فالدخول من باب والخروج من آخر يتم قطع رأسهم ووضعهم في الحفرة فسميت تلك بـ (**واقعه الحفرة**) واستطاع من القضاء على جميع المعادين وإعادة الحكم إلى طليطلة ..

ثالثا – أهم حدث في عهد الحكم بن هشام هو (واقعة الربض) سنة 202هـ وكان لهذه الحادثة عدة أسباب :

اضطهاد الفقهاء والقضاء على ثورة المولدين .

الربض : وهي قرية قرب مدينة قرطبة تقع على نهر وادي الكبير , وهو حي شعبي سكني يسكنه التجار والعلماء وحرفين ومهنين تضم جميع فئات أهل الأندلس هؤلاء ناقمين على حكم الحكم بن هشام كان العداء للحكم بن هشام موجود حيث ذهب أحد أفراد حراس الأمير لإصلاح سيفه فوقعت مشاجرة بينه وبين أحد الصناع فعمل على قتل الصانع وهرب إلى قصر الأمير .. وبقتله بدء الناقمين لحكم الأمير بتهييج الوضع العام في (الربض) فقروا الزحف على قصر الحكم وأن الحكم بن هشام كان جيشه يقاتل الممالك الاسبانية فلا يوجد في القصر حرس إلا قليل فتقدموا بأعداد كبيرة نحو القصر فلما علم الحكم بن هشام بذلك قرر مقاومتهم فعمل على خطه لمقاومتهم ، فأرسل جيش إلى منطقة الربض لإحراقها من أجل ارجاع البقية لإنقاذ أسرهم وأموالهم واستطاعوا التسلل واحراقها فعندئذ أستغل الحكم هذه الفرصة فقضى عليهم وأستطاع الحكم من القضاء عليهم وطاردهم وقتلهم وكان لهذه الثورة نتائج على مدينة قرطبة . وتشير الروايات بأنه وضع عطراً يسمى الـ (الغالية) وعندما سأل خادمه عن السبب الذي فقال له إذا اشتدت الحرب ومات الحكم ابن هشام سوف تقوم الرعية بالتعرف عليه من خلال عطره .

نتائج حادثة الربض:

1 –أحرق هذا الحي بأكمله وحرثه وزراعته بعد أن استشار مجموعة من له في السلطة فتم تقديم اقتراح حرق الربض لكي لا تقوم قائمة للمتآمرين عليه مرة ثانية لقب الحكم بن هشام نتيجة هذه الحادثة بالحكم بالربضي الحكم أحراق وتدمير ناحية الربض نهائياً.

2 – قتل كل من أشترك في هذه الثورة فقام بقتل الكثير من العلماء والفقهاء .

3 – على أثر هذه الثورة قرر الحكم بناء أسوار حول مدينة قرطبة خصوصاً حول القصر لتحصينه خشية من حدوث حركات مفاجئة .

4 – عمل على تشريد أهل الربض انقسم أهالي الربض إلى ثلاثة أقسام فذهب القسم الأول إلى مدينة طليطلة والقسم الثاني إلى مدينه الاسكندرية وقاموا بتأسيس حكومة أندلسية في الاسكندرية وبعدها تم طردهم من الاسكندرية وسيطروا على جزيرة (الكريت) بقيادة (أحمد بن عيسى بلوطي) وإقامة إمارة أندلسية فيها أما القسم الثالث استقبلهم إدريس الثاني أمير الأدارسة في المغرب في مدينة فاس وأسكنهم في العدوة الشرقية لقد أطلق على الحكم لقب (الحكم الربضي) وأيضاً لقب (الحكم الأول) ، وقد تميز في عهده هو سقوط مدينة برشلونة بقيادة (لويس بن شارلمان) حيث أنهم كانوا منشغلين بالاضطرابات حيث كانت برشلونة من المناطق الشمالية المهمة حيث حاول شارلمان من سنة 183 – 184هـ من أسقاطها والسيطرة عليها ولم يستطيع شارلمان

من اسقاطها بسبب المقاومة التي أبداها المسلمين. وفي سنة (185هـ) أرسل ابنه لويس المعروف بالمتعجرف لديانة المسيحية بحملة كبيرة من أجل اسقاط مدينة (برشلونة) فقام لويس بتقسيم الجيش إلى ثلاثة فرق .. الفرقة الأولى تحاصر المدينة والفرقة الثانية تقوم بتخريب ما حول المدينة والفرقة الثالثة تمنع وصول الامدادات إلى مدينة برشلونة ... وبفرض الحصار عليها قاومت المدينة فترة ما يقارب سنة حيث ذهب قائد الحامية (سعدون بن رعين) إلى الأمير الحكم بن هشام يطلب منه العون والمساعدة فهرب من مدينة برشلونة سراً وعند رجوعه تم القاء القبض عليه وقتله سنة 185هـ و بمقتله تم سقوط مدينة برشلونة بيد لويس وأصبحت برشلونة تابعه لـ(شارلمان) بالرغم من أن الحكم قد حاول من إرسال حملات عسكرية لاستعادة السيطرة عليها إلا أن جميع الحملات التي أرسلها الحكم فشلت لأن مدينة برشلونة كانت محصنة .وتعتبر برشلونة أول مدينة سقطت بيد الممالك النصرانية سنة 185هـ

بالرغم من أن الحكم كان حاكماً ظالماً مع الظلمة لكن متسامحاً مع المظلومين واستمر الحكم والياً على الأندلس إلى سنة (206) حيث تولي من بعد ا **المحاضرة الخامسة عشر – الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط:**

سياسته الداخلية :

عهد (عبد الرحمن الأوسط) الذي تولى الحكم سنة 206هـ يعد من أزهى العهود التي مرت بها الأندلس لأنه تولي الحكم والدولة كانت مستقرة حيث ازدهرت الأندلس في عهده ثقافياً وسياسياً وحضارياً

وأيضاً قامت علاقات كثيرة مع الكثير من الدول و سميت لذلك أيام حكمه بـ (أيام العروس) التي استمرت (32) سنة لأن الأندلس ازدهرت بهذه الفترة من جميع النواحي و كان (عبد الرحمن الأوسط) حمل جميع صفات أجداده حيث أخذ الحزم والشجاعة من أبيه وتقواه وعدالته وحبه للناس من جده لذلك تجمعت فيه جميع خصال بني أمية , وقد اختلف عن بقية أمراء بني أمية , أنه لا يؤمن بالحكم المطلق إنما عمل على توزيع الصلاحيات أفراد حاشيته،وأيضاً ازدادت في عهده الحركة العمرانية والحركة العلمية وبدأت الدول بإقامة علاقات دبلوماسية معه وأيضاً في عهده امتازت دولة الأندلس بالقوة وبدأت الدول تحاول التقرب منه وأصبحت قرطبة محط جميع نفوذ من أنحاء أوربا حتى بدأت الممالك الاسبانية تفض منازعاتها مع الأندلس وأن عبد الرحمن كان لا بد من أن يواجه مشاكل وثورات وأول مشكلة واجهته هي ثورة (عمه عبد الله) أخو جده هشام حيث قرر عبد الله قيام ثورة ضد عبد الرحمن الاوسط وقد استطاع من السيطرة على مدينة تدمير (مرسيا حالياً) لكن الأمير عبد الرحمن الأوسط أرسل إليه جيش وبعدها ركن عبد الله إلى الهدوء وترك الثورة وقد مات سنة (208هـ).

لكن أخطر حركة واجهت (عبد الرحمن الأوسط) هي حركة (الرهبان) المستعربين هم الذين أخذوا التقاليد العربية وكذلك اندمجوا مع المجتمع وتولوا مسؤوليات إدارية في الدولة مما يدل على انصهارهم مع المجتمع ولكن الأغلبية راضية أن يعيشون مع مجتمع إسلامي في الأندلس ولكن ظهور عدد من الرهبان والنصارى متزمتين الذين حقدوا

على العرب لأن أغلبهم نسوا لغتهم وأخذوا تقاليد العرب وأصبحوا لا يذهبون إلى الكنائس فكونوا جماعة نصرانية تزعمهم (اليخيو) كان من عائلة مستعربة غنية في قرطبة من الرهبان كان من أشد المتزمتين على العرب وانضم إليه مستعرب آخر (الفارو) ثم انضمت إليه (فلورا) من أب مسلم وأم نصرانية حيث كونوا نواة لمحاربة المسلمين حيث أثاروا القلاقل والمشاكل ضد المسلمين كسب النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحقير من شأن العرب , وقد حاول أحد حراس الامير (واسمه سانشو) سب النبي وجرح العرب بكلام سيئ فتم قتله, وقد ثار هؤلاء المستعمرين فعملوا على إثارة العرب أمام المساجد وقام عبد الرحمن الأوسط بمواجهتين وتمت بطريقتين :

أولهما : حيث أراد وضع الحل معهم بصورة سلمية حيث اجتمع بالنصارى في قرطبة وعقد مؤتمر فخرج هذا المؤتمر بقرارات أهمها :

1 – معاداة هذا الفكر.

2 – أن يعيشون بتسامح وبحرية في داخل الدولة العربية الاسلامية ... إلا أن هذه القرارات لم تجدي نفعاً فاستخدم الطريقة الثانية :

ثانياً : استخدم القوة وخصوصاً في عهد الأمير (محمد بن عبد الرحمن) وحيث استطاع القبض عليهم وقتلهم وسموا شهداء (حركة الرهبان).

أهم التطورات الادارية في نظام الحكم الأندلسي (إدارة الدولة) في عهد عبد الرحمن الأوسط؟

تميز عبد الرحمن الأوسط بأن ليس له نظرية الحكم المطلق أي تركز جميع المسؤوليات بيده لأنه شعر أنه لا بد أن تكون المسؤوليات موزعة على الجميع لأن الجميع مسؤولين عن ازدهار الدولة لذلك قرر عبد الرحمن الأوسط توزيع المسؤوليات على عدة أشخاص, وهذا النظام يختلف عن نظام المشرق الإسلامي حيث كان في المشرق وزير واحد يتولى هذه المسؤوليات وله ماضي في زمن الأمير عبد الرحمن الثاني وزع المسؤوليات فأن الجيش له وزير الجيش ووزير المرافق العمرانية يقال له صاحب (الأشغال) أما الأمن يقال له صاحب الأمن وهؤلاء كان لديهم رئيس يدعى (الحاجب) أما في المشرق فيسمى الوزير وكانوا يجتمعون في بيت مخصص لهم يتداولون أمور البلاد ، وكان الأمير لا يفرض عليهم رأيه إنما يتخذ قرار جماعي.

كذلك اهتم الأمير بالقضاء لأنه اعتبره من الأمور المهمة في ادارة الدولة وذلك إذا تحققت العدالة , ازدهرت الدولة فظهر مصطلح قاضي الجماعة , وهذا القاضي مسؤول عن جميع القضاة في قرطبة والأندلس بينما في المشرق سمي قاضي القضاة ، وقاضي الجماعة له أعوان من الفقهاء يساعدون في إدارة مجلس القضاء , كذلك هناك صاحب المدينة المسؤول عن الأسواق ونظافة المدينة ومحاسبة المحتكرين والذين يغشون السلع وكانت هذه الوظيفة يقابله في المشرق أسم المحتسب.

أما عن منصب الشرطة فقد اهتم بها اهتمام كبير لأن لها دور في حفظ النظام في الدولة وهي قسمين :

1 – الشرطة العليا : مسؤوليتها محاسبة علية القوم أي الوزراء والقادة .

2 – الشرطة السفلى : مسؤوليتها محاسبة عامة الناس من أجل حفظ النظام فيما بينهم.

وأهتم بالقضايا الادارية لأنها وسيلة التقدم في الدولة وازدهارها بحيث أصبح لكل وظيفة وزير يختص بها .

سياسته الخارجية:

أهم الأحداث الخارجية التي واجهت عبد الرحمن الأوسط ؟

ج / 1 – غزو النورمان للأندلس:

النورمان: هم أقوام ترجع أصولهم إلى الجرمان يسكنون في البلدان الإسكندافية (السويد والنرويج والدنمارك) أما سبب تسميتهم بالنورمان؟

ج / لأنهم سكنوا المناطق الشمالية من أوربا وكان يطلق على الشمال الأوربي النورمان لذلك أطلقوا عليهم هذا الأسم .

أما التسمية الثانية هي المجوس ؟ السبب :

ج / لأنهم كانوا يشعلون النار في القوارب .

أما التسمية الثالثة هي فيكنك ؟ السبب :

ج / معناها الخلجان أي سكان الخلجان سكنوا منطقة كثيرة الخلجان ويتميزوا بنظام حكم بدائي ومعيشه بدائية وذلك بحكم المنطقة يعيشون

فيها حيث كانت جبلية تكثر فيها الغابات والمستنقعات ولا توجد فيها سهول.

هذا الوضع أدى إلى امتهانهم مهنة ركوب البحر فتميزوا بذلك وصاروا أمهر رجال أوربا في ركوب البحر.

س / ما أسباب هجوم النورمان على الأندلس ؟

ج – 1 – عدم وجود موارد داخليه داخل بلادهم تكفي معيشتهم.

2 – حاول الكارولنجيين غزو مناطقهم واحتلالها لذلك قرر النورمان الهجوم على اراضي الكارولنجيين . ومن هناك هجموا على مملكة اشتوريش فتوجهت انظارهم نحو الأندلس فارسلوا حملة استطلاعية إلى مدينة (قابس) فوجدوا على سواحل الأندلس عكس ما وجدوه في اشتوريش القاحلة حيث وجدوا الأندلس تتميز بغناها وضعف السواحل الأندلسية حيث لا توجد حاميات أو أسطول بحري يدافع عنها عندئذ قرروا سنة (230 هـ) الهجوم على مدينة اشبيليه فاستطاعوا الدخول اليها بكل يسر لأنها لا توجد فيها حامية بحرية تحمي المدينة ودخلوا وعاثوا فيها40 يوماً فافسدوا في الأرض وقتلوا السكان وقتلوا الذين احتموا بمسجد اشبيلية لذلك سمي بمسجد الشهداء عندئذ وصلت إلى مسامع الأمير بما حدث لأهل أشبيليه فقرر إعلان النفير العام من أجل التوجه نحو اشبيلية من اجل طرد النورمان إلا أن تلك المحاولات لم تستطيع من طرد النورمان لأنهم يتميزوا بنظام خاص في الحرب وهو ضرب الجيش والرجوع إلى الوراء بسرعة ، لذلك قرر عبد الرحمن

إرسال القائد موسى بن موسى قائد الجيش في الثغر الأعلى هذا الجيش متعود على قتال الممالك الشمالية ويتميزون بالسرعة والخفة وفعلاً وصلت قوات موسى بن موسى وتمكنت من الانتصار على النورمان وتكبيدهم خسائر فادحة وكذلك أثناء القتال استخدموا المنجنيق لضرب السفن النورماندية فاوقعوا فيهم خسائر فادحة فقرر النورمان الانسحاب من اشبيلية بعد أن خسروا أكثر من 40 سفينه ومقتل أعداد كبيرة منهم عندئذ قرر عبد الرحمن الاوسط القيام بعدة إجراءات في الأندلس على أثر هجوم النورمان وجد الأمير عبد الرحمن أن سواحل الأندلس ضعيفة لذلك اهتم بصناعة السفن حيث انشأ دار صناعة السفن في مدينة مرية واشبيلية استطاعت دار السفن أنتاج أكثر من (200) سفينة وعمل على الاهتمام بمدن السواحل حيث عمل على تسوير تلك المدن بالأسوار وكذلك عمل على استخدام الأسلحة النارية أي الكرات النارية وعمل على وضع أجهزة الإنذار المبكر (كيف) هو عمل المنائر البحرية عندما يلاحظون وجود النورمان يشعلون النار أو يقرعون الطبول للإنذار بأن هناك قوة من الأعداد قادمة .

فضلاً عن أن عبد الرحمن الأوسط بذل الأموال الجزيلة لرجال البحر كونهم يعدون من الرجال المهمين للدفاع عن البلاد ولم يستطيع النورمان من معاودة الهجوم على الأندلس في زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط بل عملوا على التودد وعمل علاقات دبلوماسية مع الأمير عبد الرحمن حيث أرسل النورمان وفداً محملاً بالهدايا إلى عبد الرحمن الأوسط سفارة مماثلة إلى النورمان يقودها العالم والشاعر الكبير (يحيى

بن الحكم الغزالي) حيث أرسل معه الهدايا الثمينة وكانت مهمة يحيى جمع المعلومات عن النورمان وفعلاً وصل يحيى إلى ملك النورمان وكان من عادة النورمان أن الداخل إليهم لا بد أن ينحني للملك فقالوا للوفدان أن ينحنيا عندئذ رفضوا ذلك إلا أن النورمان عملوا حيلة حيث عملوا على تضيق الباب وجعل البلاط أعلى من الأرضية حتى ينحني ، وأعجب به الملك فارسلوا له الهدايا ورجع يحيى بمعلومات جغرافية مهمة عن بلاد النورمان.

أما عن حملاته الجهادية ضد الممالك الاسبانية : فقد تميزت بكثرتها واستطاع فيها من تحقيق انتصارات كبيرة على الفرنجة والممالك الاسبانية الا أنه بالرغم من كثرة حملاته لم يستطيع استرجاع مدينة برشلونة . حيث كانت حملاته كانت فاشلة تجاه برشلونة أما باتجاه الممالك الاسبانية كانت ناجحة واستفاد الكثير من المناطق والحصول على الغنائم الهائلة لذلك عملوا على التودد بعبد الرحمن الأوسط وعقد معاهدات سياسية واقتصادية من أجل تجنب جيش عبد الرحمن الأوسط.

علاقاته الدبلوماسية :

عملت الدول في ذلك الوقت التقرب والتودد من عبد الرحمن الأوسط لأنه كان قوياً وكانت الأندلس مزدهرة وكان الجميع يهابونها لذا اتجهت تلك الدول إلى عقد علاقات دبلوماسية مع عبد الرحمن الاوسط وخصوصاً الامبراطورية البزنطية ، وسبب ذلك هو العداء الشديد بين

العباسيين والبيزنطينيين لذلك حاول الطرفين التقارب فيما بينهم لان عدوهم واحد وهو الدولة العباسية فضلاً عن وجود تقارب بين الكارولونجيين والخلافة العباسية لذلك وجد هذا التقارب لضرب تقارب العباسيين والكارولنجيين . حيث كانت علاقه بين هارون الرشيد وشارلمان وبعد ذلك انتهى عهد عبد الرحمن الأوسط وتولي ابنه (محمد بن عبد الرحمن الحكم 238هـ).

لأمير الحكم ابنه الأمير (عبد الرحمن الأوسط) من أمراء بني أمية , وأيضاً سمي بـ(عبد الرحمن الثاني).

المحاضرة السادسة عشر- عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وبنيه المنذر وعبدالله:

في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ظهرت مشكلة ولاية العهد حيث أراد الأمير عبد الرحمن من البداية تعيين ابنه محمد ولياً للعهد الا أن زوجته طروب عملت على تعيين ولدها عبد الله ولياً للعهد إلا أن الأمير كان معجباً بولده محمد لأنه كان إدارياً ناجحاً فضلاً عن إرساله بعدة حملات عسكرية فنجح فيها , لذلك عملت طروب تعيين ولدها عبد الله حيث قررت وضع السم لمحمد وللأمير عبد الرحمن بالتعاون مع كبير الخدم (أبي نصر) حيث عمل أبي نصر على إقناع الطبيب الخاص لعبد الرحمن لعمل السم من أجل سم الأمير وابنه وكان الطبيب قادماً من حران في المشرق فوافق الطبيب على ذلك خوفاً من

أبي نصر لأنه إذا لم يوافقه سوف يقتله إلا أن الطبيب رفض أن يضع السم لعبد الرحمن الأوسط فكشف المؤامرة إلى أحدا جواري عبد الرحمن فأخبرته تلك الجارية بما جرى بين أبي نصر والطبيب وفعلاً اتفقا على إعداد السم إلا أن عبد الرحمن الذي كان من عادته أن يشرب الدواء في الليل , لم يشرب ذلك السم ويتركه حتى الصباح إلى أن جاء أبي نصر الذي اعتقد أن الأمير قد شرب السم ومات إلا أنه دخل عليه في الصباح ووجد الشراب في مكانه فقال له الأمير اشرب الشراب فلم يستطيع أبي نصر أن يرفض ويقول له فيه سم فشربه ومات أبي نصر وانتهت تلك المؤامرة .

الثورات الداخلية التي واجهته :

وبوفاة الأمير عبد الرحمن الثاني تولى ابنه محمد الإمارة سنة (238هـ) فبدأ عهد جديد من عهد الإمارة الأندلسية وهذا العهد يطلق عليه عهد التفكك والضعف الذي بدأ من عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن على الرغم من أنه كان إداري وقائد شجاع إلا أن الاضطرابات الداخلية والمشاكل التي كانت فوق طاقته حيث بدأ يواجه الثورات الأندلسية في كل مناطق الأندلس التي قام بها المولدين وكانت على النحو التالي :

1 – ثورة طليطلة: وهي أول ثورة واجهته في مدينة طليطلة لأنها كانت منطقة تجمع المولدون الذين ادعوا بأنهم أحق بالمناصب في الأندلس من غيرهم من سنة (239) هـ إلى سنة 259هـ اذ امتنعوا عن مبايعة

الأمير إلا أن الأمير محمد استطاع من القضاء على ثوراتهم بعد إرساله العديد من الجيوش ومنها قادها بنفسه وأنهى تمردها وأرجعها إلى طاعة الدولة سنة 259هـ.

ثورة ماردة: وهي ثورة مهمة قام بها عبد الرحمن بن مروان الجليقي أحد المولدين في مدينة ماردة سنة 254هـ وكان عبد الرحمن الجليقي أصله من البرتغال ثم بعد ذلك انحدروا إلى مدينة ماردة فأصبح أبيه مروان حاكماً على مدينة ماردة بعد تعينه من قبل الحكم فبقى حاكما لهذه المدينة إلى زمن عبد الرحمن الأوسط إلا أنه اغتيل فتولى ابنه عبد الرحمن الذي كان على عكس أبيه حيث كان يضمر العداء لبني أمية بينما كان مروان يضمر لهم الحب والتعاون لذلك قام عبد الرحمن الجليقي على شق عصا طاعة الأمير محمد وهذه الثورة كبدت الإمارة خسائر فادحة من حيث الأموال والجنود إلى أن استطاع من الانتصار على عبد الرحمن الجليقي والاتيان به إلى مدينة قرطبة ووضعه تحت حراسة مشددة.

3 – ثورة عمر بن حفصون: هذه الثورة مهمة جداً استمرت حوالي نصف قرن من سنة 267هـ إلى سنة 316هـ وهي ثورة عاصرت أربعة أمراء امتدت من عهد محمد والمنذر وعبد الله إلى عهد عبد الرحمن الثالث الذي استطاع القضاء على تلك الثورة التي قام بها عمر بن حفصون بدأت هذه الثورة في أواخر عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وكان عمر من أسرة فقيرة مولدية وكان عمر ذو أخلاق سيئة لا يتقيد

بالنظام ودائما كان ثوري على أي شيء فلم يعجبه حكم الأمويين على الأندلس فبدأ بقتل أحد الأشخاص في كورة الرية ، عندئذ قرر الذهاب والهروب إلى بلاد المغرب إلى مدينة تاهرت عاصمة الرستميين فاشتغل هناك خياطاً وفي أحد الأيام التقى بشيخ من العرافين والكهنة وقال له إنك سيصبح لك شأن كبير في الأندلس فقرر الذهاب إلى الأندلس إلى المناطق الجبلية فبدأ يجمع السراق وقطاع الطرق والهاربين من الجندية فاصبح لديه عدد كبير لذلك بدء يهاجم المدن الأندلسية وسيطر على عدة مناطق وأخذ من جبل ببشتر ومن حصن ببشتر مقرا له فارسل محمد ولده المنذر في سنة (273هـ) فاستطاع من الانتصار على جيش عمر ومحاصرته في الحصن في هذه الأثناء وصلت الأنباء بوفد الأمير محمد وكان المنذر هو ولياً للعهد فقرر فك الحصار والرجوع إلى قرطبة من أجل تولي مراسيم الحكم فرجع في سنة (273هـ) .

وفي عهده حاول النورمانديين سنة (245 هـ) اقتحام الأندلس إلا أنهم لم يستطيعوا الدخول إلى السواحل لأنها كانت محصنه بالأسوار فضلا عن وجود أسطول بحري اهتم به عبد الرحمن الأوسط وولد محمد الا أنهم استطاعوا من دخول الجزيرة الخضراء فعاثوا فيها فساداً إلا أنهم لم يبقوا فيها سوى فترة قصيرة لأنه أرسل اليهم جيش وأسطول قضى عليهم نهائياً بعد ذلك انشأوا مسجد من أخشاب السفن التي دمرت.

وفي سنة (273 هـ) توفي الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط فتولى بعده الحكم ابنه المنذر حيث عينه والده ولياً للعهد لأنه كان

يرسله في حملات مختلفة في البلاد من أجل فرض النظام فاظهر شجاعة ومقدرة في مواجهة تلك الظروف المختلفة فضلاً عن إنه كان إداري وعسكري كل هذه الأسباب أدت إلى تعينه ولياً للعهد وبعد وفاة أبيه سنة 273 هـ كان المنذر يحاصر عمر بن حفصون في قلعة الحامة , فترك الحصار ورجع إلى قرطبة فتسلم الحكم بكل هدوء إذ لم يعارضه أحد في بداية حكمه إلا أنه واجه عدت ظروف ومحن في دولته.

المشاكل الداخلية التي واجهته:

1 – لأنه ورث الكثير من الاضطرابات والفتن في عهد أبيه وخصوصاً ثورة عمر بن حفصون الذي سيطر على نصف بلاد الأندلس .

2 – أما المشكلة الثانية هي مشكلة المال حيث بدأ بيت المال ينقص لأن الحروب وسيطرة عمر بن حفصون على بعض المناطق لذا فإن المناطق المسيطر عليها لم تعطي جباياتها وكذلك توزيع المنذر للأموال الجزيلة على الحاضرين في البيعة والغى ضريبة العشور المفروضة على السكان أدى إلى أن تصبح خزينة الدولة خاوية .

إصلاحاته الادارية :

بعد ذلك عمل على إصلاحات إدارية حيث قرر تغير جميع وزراء أبيه وخصوصاً الوزير (هاشم بن عبد الرحمن) (الحاجب) حيث نكل به

وصادر جميع أمواله فضلاً عن إيداع عائلته في السجن بسبب الوشاية عليه .

موقفه من ثورة عمر بن حفصون :

وعمل بعد ذلك على مواجهة ثورة عمر بن حفصون وأن يقضي عليها حيث استطاع من أن يعيد جميع المناطق التي سيطر عليها عمر بن حفصون خلال سنة من حكمه وحاصره في قلعة غماره إلا أن عمر بن حفصون كان يتميز بالدهاء السياسي والخداع حيث عرض على الأمير المنذر الصلح لأن القلعة باتت على وشك أن تسقط بيد الأمير المنذر لذلك عمد إلى الصلح والذهاب إلى القلعة الرئيسية (قلعة بابشير) ليجلب عائلته ويذهب بعد ذلك إلى قرطبة فوافق الأمير على ذلك فأرسل له الأموال والهدايا .

إلا أن عمر بن حفصون عندما وصل القلعة نقض الصلح فعندئذ قرر الأمير المنذر الانتقام منه وأن يقطع رأسه فحاصره حصاراً شديداً وفي هذه الأثناء مرض الأمير المنذر سنة (275 هـ) وبعد شهر توفي الأمير المنذر إلا أن وفاته فيها شيء من الغموض إذ يذكر المؤرخين أن سبب وفاته هو السم الذي وضعه له أخيه (عبد الله) الذي كان مرشح بعد المنذر فتولى الإمارة وفك الحصار عن عمر بن حفصون فاستبشر عمر بذلك .

وتولى عبد الله بن محمد سنة (275 هـ) الإمارة وبتوليه دخلت الإمارة مرحلة الضعف لأن عبد الله ليس قيادي وليس إداري كأخيه إذ لو بقي

المنذر سنة واحدة لاستطاع فرض سيطرته على جميع أنحاء الأندلس وكان قد قضى على ثورة عمر بن حفصون إلا أن عبد الله واجه ثورات واسعة في الأندلس فلم يبقى تحت حكمه سوى قرطبة إذ سيطر عمر على كل الأندلس عدا قرطبة وكان عمر قد سيطر على قلعة بالقرب من قرطبة وقد واجه الأمير عبد الله مشكلتين في إدارة الأندلس وهما :

1 – تركيبة المجتمع الأندلسي : حيث يتميز المجتمع الأندلسي بأنه خليط من العرب والبربر والمولدين واليهود وكل فئة تحاول أن تحكم المنطقة التي تتواجد فيها إذا لم يوجد حاكم قوي يسيطر على تلك الفئات سوف تخرج كل فئه عن حكم الدولة لذلك فلم يسيطر الأمير عبد الله على تركيبة المجتمع الأندلسي عند ذلك واجه ثورات جمة خلال فترة حكمه.

2 – العلاقة مع الممالك الاسبانية : حيث عملت الممالك الاسبانية بتغذية الفتن الداخلية بين عناصر المجتمع لإحداث اضطرابات في الداخل ويتم ذلك عندما يكون الحاكم ضعيف , وفي زمن عبد الله بدأ تتدخل الممالك الاسبانية لضعف عبد الله فانتشرت الثورات وخصوصاً ثورة عمر بن حفصون الذي سيطر على أجزاء كبيرة في الأندلس إلى ثلاثة أقسام في الأندلس :

1 – موالي المشرق (بنو أمية) دخلوا الأندلس أثناء عمليات التحرير الأولى.

2 – موالي المغرب (البربر) دخلوا الأندلس مع طارق وموسى وغيرهم .

3 – موالي المولدين الذين ظهروا في الأندلس واحتموا بالقادة العرب.

هؤلاء قاموا بثورات عدة في الأندلس والتي من أبرزها ثورة ابن حفصون وعبد الرحمن الجليقي وهذه الظروف مجتمعة أدت إلى تدهور أحوال الأندلس تدهوراً كبيراً وخصوصاً في السنوات الأخيرة من حكم الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط حيث بدأ الضغط على مدينة قرطبة إذ لم تبقى لديه سوى قرطبة ، إلى أن توفي في ربيع الأول من سنة (300هـ/912م) الأمير عبد الله من محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس فخلفه في اليوم نفسه على العرش حفيده عبد الرحمن بن محمد، غير متجاوز الثانية والعشرين من عمره، وذلك بالرغم من وجود أعمامه وأعمام أبيه. وكان الأمير عبد الله قد اختار محمداً أكبر أولاده لولاية عهده، فوجد عليه أخوه المطرف وقتله وأضحى ترشيحه لولاية العهد وذلك بأن دفع بخاتمه إليه حينما اشتد عليه المرض إشارة منه باستخلافه.

أهم مميزات عهد الأمارة :

1 – إحلال السلطة المركزية بدل من السلطة القبلية .

2 – حدوث تمازج بين المجتمع الأندلس وخصوصاً بين العرب والمستعربين والمولدين مما أثر على تطور الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وتقدمها.

3 – يتميز الجانب الديني في الأندلس باتخاذ مذهب موحد وهو المذهب المالكي بدلاً من المذهب الاوزاعي.

4 – تميز عهد الإمارة بتعرضها إلى هجمات خارجية متمثلة بهجوم شارلمان والغزو النورماندي .

5 – شهد عصر الإمارة الاهتمام بالمدن الساحلية أي الثغور وبالأسطول البحري وذلك ببناء السفن واهداء الأموال الجزيلة للبحرية وذلك لدورهم في صد أي هجوم تتعرض به الأندلس بحكم أن

الأندلس مطلة على البحار ومحاطة بها من ثلاث جهات .

6 – دخول التأثيرات الحضارية العراقية للأندلس.

7– تميز عهد الإمارة بأنه يمثل فترتين , الفترة الأولى من 138 هـ – 238 هـ حيث تمثل عصر القوة والازدهار , أما الفترة الثانية من 238 هـ – 300 هـ حيث ت **المحاضرة السابعة عشر – الجانب الحضاري لعصر الإمارة في الأندلس:**

أولا –الجانب الثقافي :

شهد هذا العصر دخول التأثيرات الحجازية بـ (مكة , المدينة) وكان سبب دخول التأثيرات الحجازية هو العداء بين الأمويين والعباسيين ولا يرغبون إلى أي تأثير عباسي في الأندلس لذلك توجه هشام إلى الحجاز وأول التأثيرات التي بدأت هو دخول المغنيين (علون – وزرقون) إلى الأندلس .. ولكن أهم تأثير دخل إلى الأندلس في عهد هشام هو دخول مذهب (الإمام مالك بن أنس) إلى الأندلس وكان في هذه الفترة مذهب أهل الأندلس هو المذهب الأوزاعي وهو نسبة إلى الفقيه عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي المولود بمدينة بعلبك سنة 88 هـ وكان هذا مذهب

أهل الشام فقد رأى الداخل اتباع هذا المذهب لأنه كان يناسب أحوال بلاد الأندلس وخاص وأنه ينص في أحكامه على التشريعات الجهادية وتحول من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي ويعد وراء هذا التحول عدة أسباب أهمها .

أ – شهرة الإمام مالك بن أنس في الآفاق حيث كان عالم الحجاز ومفتيها ودرس الإمام (مالك بن أنس) على يد الإمام شافعي (محمد بن إدريس الشافعي) .

ب – أن أجواء الأندلس قريبة ومشابهه لأجواء الحجاز حيث يلائم هذا المذهب أهالي الأندلس . وأيضاً انتشر في المغرب .

ج – بدأت الرحلات العلمية لطلبة العلم الذين يطوفون العالم الإسلامي سواء في المغرب أو الحجاز والمغرب او الأندلس للنهل من العلوم المختلفة . وأول رحلة علمية في المشرق هو التوجه إلى مكة والمدينة للحج لأنها منطقة التقاء جميع العلماء وخصوصاً في موسم الحج لأنه يصبح مركز تجمع العلماء ... وفي هذه الأثناء كان الأندلسيون في مكة والمدينة ودرسوا المذهب المالكي وأول من درس مذهب المالكي هو (يحيى بن زياد الليثي , وعبد الرحمن بن يحيى) بعد أن أكمل رحلتهم رجعوا إلى الأندلس وفي هذه الأثناء بدأوا ينشرون علمهم منها الدروس التي تعلموها ونقلوا إعجاب الإمام مالك بهشام لتقواه ولعدالته حيث كان يلقب هشام (بالرضي) لتقواه ومحبة الناس إليه فنقلوا إليه إعجاب الإمام بهشام وبعدها أعجب هشام بالإمام مالك .

د – عدائه للعباسيين حيث كان إمام مالك معادي للعباسيين حيث أفتى بعدم شرعية حكم العباسيين وناصر ثورة (محمد بن نفس الزكية العلوي) .

هـ – المحبة المتبادلة بين (هشام الرضي) و (مالك ابن أنس) حتى قرر مالك بن أنس قيام زيارة إلى الأندلس إلا أنه توفي الإمام مالك سنة (179هـ) .

أما في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط فقد شهد عهده ازدهار الحضارة الأندلسية أما عن سبب اهتمامه بالجانب الحضاري والعلمي لأن عبد الرحمن الأوسط كان عالماً اهتم بالجانب الحضاري والعلمي لأن عبد الرحمن الأوسط كان عالماً في العلوم الشرعية لذلك اهتم بالحركة العلمية داخل قرطبة وفي عهد عبد الرحمن حدث تبدل مهم هو دخول التأثيرات العراقية بعد ان كانت مرفوضة من الأمراء الذين سبقوه إلا أن الحضارة هي التي تفرض نفسها فلا بد من دخولها إلى الأندلس وكانت بغداد هي قبلة العالم والعلماء حيث كانوا يأتون إليها العلماء من أنحاء العالم حتى قال الإمام الشافعي (هل زرت بغداد)؟ قال : لا قال : (اذن لم تأخذ شيء من العلم) حيث كان عبد الرحمن منفتحاً كان عالماً وتأتي الحضارية العراقية في مقدمة الحضارات التي تأثر فيها وخصوصاً كان عبد الرحمن الأوسط معاصراً للخليفة المأمون أدى هذا إلى انتقال الحضارة إلى الأندلس وكان أسباب انتقال هذه الحضارة هي :

1 – حب الأمير عبد الرحمن الأوسط للعلم واهتمامه بالناحية العلمية بقيام نهضة فكرية في الأندلس لتقدمها.

2 – بدء العلماء الهجرة من بغداد وبلاد المشرق وتحط رجالها إلى الأندلس لأن أوضاع المشرق كانت غير مستقرة وأوضاع الأندلس كانت مستقرة لذلك قرروا الهجرة .

3 – كان عبد الرحمن يرسل وفود إلى المشرق لحث العلماء للذهاب إلى الأندلس لإحداث نهضة فكرية .

4 اهتم بالكتب حيث بدء يرسل وفود إلى مختلف البلاد الاسلامية لشراء الكتب العلمية في مختلف الاختصاصات وبذلت لهذا الأمر أموال كثيرة وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط مهتما بالحركة العلمية وكان عالما بالشريعة والفلسفة ،وقد شبه بالخليفة العباسي المأمون في طلبه للكتب الفلسفية .

5 – اهتم بالتجارة حيث كان للتجارة دور مهم في نقل الحضارة العراقية فهناك خطوط تجارية بين العراق والأندلس والمغرب وكان التجار علماء وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط دخل كتاب العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي إلى الأندلس على يد تاجر أهداه إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وبدأ هذا الكتاب عسير الفهم على أهل البلاط ، وبعد أن أطلع عليه العالم عباس بن فرناس فسره وسهل فهمه لأهل الأندلس.

6 –الرحلات العلمية حيث بدء طلبة العلم من أهل الأندلس يسافرون إلى المشرق وخصوصاً إلى بغداد لأخذ العلم وبعد اكمال دراستهم يرجعون إلى الأندلس وينشرون العلم التي تعلموها .. جميع هذه الأسباب أدت إلى نقل الحضارة العراقية إلى الأندلس ... ولكن هناك شخص نقل الحضارة بصورة أوسع (علي بن حسن بن نافع) الملقب (بزرياب) (الطائر الأسود) لقب في العراق (الطائر الأسود) لأنه كان أسود وكان مغني في عهد هارون الرشيد ولجمال صوته كان يطلق عليه لقب (زرياب) هاجر من العراق إلى بلاد الأندلس وكان له الفضل الكبير في نقل الحضارة العراقية وأن أسباب هجرته كان أنه كان هناك خلاف بينه وبين إسحاق الموصلي استاذه أن ينافسه فقام بترحيله وهذه الرواية غير صحيحة ... أما الرواية الصحيحة فقد تبين انه خرج من بغداد يرجع في عهد الخلافات بين الأمين والمأمون لأنه كان مناصراً للأمين وبمقتل الأمين سنة 198هـ وأصبح المأمون خليفة وعندما رجع المأمون خاف زرياب على نفسه فهاجر من بغداد إلى بلاد المغرب وتم حثه الأمير عبد الرحمن الأوسط أن يأتي إلى الأندلس لأن بدخوله تحدث نهضة في الأندلس.

1–ادخاله طرق متطورة في الموسيقي وأدواتها والغناء وألوانه.

2–تغيرات في فنون الطهي وكيفية تقديم الموائد .

3–تغيرات في مجال الملابس وقصات الشعر وكانت هذه تسمى (بمراسيم زرياب).

ثانيا –الجانب العمراني:

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الداخل أولى اهتماما بالغا بالجوانب العمرانية فقد قام ببناء مدينة الرصافة في مدينة قرطبة فضلاً عن بناء المساجد مثل مسجد الجامع في قرطبة وذلك عام 169 هـ وقام ببناء السور الخارجي لمدينة قرطبة وكان شديد الشوق إلى موطنه الاصلي بدمشق فبنى قصر الرصافة شبيه بقصر جده هشام بن عبد الملك بدمشق .

وفي عهد هشام أيضاً زاد الاهتمام بالحركة العمرانية لأن عهده تميز بفترة هدوء واستقرار ، لذلك اهتم في مدينة قرطبة خصوصاً مسجد جامع قرطبة واهتموا ببناء أسوار مدينة قرطبة ، وأصلح قنطرة وادي الكبير التي تضررت بسبب الحروب التي دارت بين العرب والبربر .

وكذلك اهتم الأمير عبد الرحمن ببناء القصور والمساجد حتى إن جواريه كانت تنافس في بناء هذه القصور والمساجد وكانت المساجد تسمى بأسماء الجواري كذلك قام ببناء مدينة مرسية سنة 216 هـ وبنى سور حول اشبيلية وأنشأ بقرطبة عدد كبير من الحدائق الغناء وقام بإلغاء كافة مظاهر البعد عن الدين حيث أصدر قرار يمنع شرب الخمر وأزالت المنكرات وقد عرف عنه تطبيقه لحدود الله وهو أول من ضرب النقود في الأندلس وأنشأ دار لسك العملة.

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط اهتم بالجانب العمراني وقد تمثل بالإنجازات الآتية:

1 – أنه عمل على تحسين الثغور الأندلسية المواجهة للممالك الاسبانية .

2 – عمل على تشجيع أهل الأندلس على السكن في تلك الثغور.

3 – عمل على إنشاء مدينة مدريد التي كانت تسمى في السابق مدينة مجريط واهتم بعمارة الأسواق.

مثل فترة الضعف والانحلال التي مر بها عهد الإمارة ويسمى ذلك العهد بعهد دويلات الطوائف الأول.

محاضرات تاريخ الأندلس – الكورس الثاني – قسم التاريخ – المرحلة الثانية (للدراستين الصباحية – المسائية)

تدريسي المادة : أ.م.د حمد محمد نصيف

د. طه مخلف عبد الله

عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316- 422هـ)

-عهدي الخليفة عبد الرحمن الثالث وابنه الخليفة الحكم المستنصر سنة 300 هـ وحتى سنة 366هـ:

أولا – أوضاع الأندلس الداخلية حتى اعلان الخلافة سنة 316هـ :

بعد وفاة عبد الله تولى الإمارة الأمير عبد الرحمن الثالث الذي استطاع من إعادة الوحدة إلى الأندلس الذي سيطر على جميع أنحاء الأندلس

خلال (16 سنة) من حكمه وأن يعلن قيام الخلافة لأنه استطاع من توحيد الأندلس وقيام دولة مزدهرة استمر حكمه 50 عاماً أي من عام 300 – 350 هـ و قال حكمت خمسين سنة ولم اضق طعم الراحة سوى 14 يوم , إذ قضى معظم أيامه جهاد ومعارك .

بوفاة الأمير عبد الله تولى عبد الرحمن الثالث الذي لم ينازعه أحد من الأموين لأن جميع أفراد البيت الأموي عزفوا عن تولي الحكم وذلك لأن الأندلس كانت في حالة اضطرابات عامة وخوفهم من أن يتولوا الحكم وتسقط الإمارة على أيديهم فبايعوا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله .

كان للأمير عبد الله ولدين هما المطرف ومحمد المرشحين لتولي الإمارة بعد وفاة أبيها إلا أن المطرف عمل على قتل أخيه عن طريق دسيسة حيث قال المطرف لأبيه أن محمد يحاول الاتصال بالممالك الاسبانية من أجل قتل أبيه وتسلم السلطة فقرر عبد الله أن يقتل ابنه محمد ثم بعد فتره علم الأمير عبد الله أن ذلك حيلة ودسيسة قام بها المطرف عند ذلك قتل عبد الله ابنه الثاني المطرف وبعد ذلك حزن الأمير على ابنه محمد بعد أن قتله وعمل على تقريب ابن محمد عبد الرحمن منه لتكفير ذنبه بسبب قتله أباه ظلما ،وعمل على رعايته وعلمه الفروسية والسياسة والآداب ثم بعد ذلك بدأت ملامح القيادة تظهر على عبد الرحمن اذ كان يتميز بالذكاء الفطري وحب الاستطلاع فضلاً عن أنه كان شجاع وسخياً وهذه الصفات أهلته أن يكون حاكماً على الأندلس فلم ينازعه أحد على الإمارة وبعد وفاة عبد

الله لأنهم علموا أن الأندلس ستستعيد عافيتها بعد الضعف على يد عبد الرحمن فتولى الإمارة سنة 300هـ وأول عمل واجهه الثورات في الأندلس حيث رأى الأمير عبد الرحمن أن التودد والمهادنة مع أصحاب الثورات لا يجلب سوى الضعف للأندلس لذلك عمل على استخدام القوة لغرض سيطرة على الأندلس لذلك أول عمل قام به هو اصدار منشور عام عممه على أهل الأندلس يتضمن فقرتين :

1 – التسامح والمصالحة مع الذين يعودون إلى حظيرة الدولة وإبقاء الأموال لديهم عند رجوعهم إلى الدولة وهو لأصحاب الفتن والاضطرابات .

2 – العقاب الشديد والتنكيل به أشد التنكيل لمن لا يرضخ لأمر الدولة .

أصدر هذا المنشور حتى يبين أن الدولة عادت إلى قوتها ويعرف من هو مع الدولة ومن هو ضدها . فقرر الأمير الخروج بحملة عسكرية بنفسه حتى يبين لأهل الأندلس أن الأمير هو بنفسه يخرج لمقاتلة أصحاب الفتن والثورات ومن أجل أن ينتظم أهل الأندلس في حملته ويشحن الهمم لدى الجيش لرؤيتهم القائد معهم.

في هذه الأثناء خرج الأمير بحملة عسكرية إلى المناطق التي شقت عصا المدن فاستطاع أن يحرر سبعين قلعة وسميت هذه الغزوة بغزوة (المنتلون) سنة 301 هـ وهذا الحصن كان حصين على عبد الرحمن فاستطاع الحصول عليه لذلك سميت هذه الغزوة نسبة إلى ذلك

الحصن الذي كان عصيا استطاع الأمير من فتحه بعد مقاومة شديدة وحقق من هذه الحملة هدفين هما:

1-رفع معنويات الجند.

2-إثارة الفزع لدى قوات اعدائه.

وبعد ذلك جهز حملة في سنة301هـ لاسترجاع مدينة اشبيلية من بني الحجاج واستطاع من السيطرة عليها وكانت من أهم المؤشرات الايجابية التي أعطت الأمير قوة ودعامة في سبيل إعادة توحيد البلاد.

وبعد ذلك تفرغ الأمير عبد الرحمن لعمر بن حفصون حيث يعد المعارض الرئيسي لحكم الأمويين في الأندلس فقرر التوجه نحو عمر والقضاء عليه وعلى حركته , في تلك الأثناء حدث تبدل مهم في حركة عمر حيث أعلن النصرانية حتى يكسب الممالك الاسبانية والنصارى لينضموا في جيشه إلا أن محاولة عمر باءت بالفشل وجلبت له نتائج عكسية حيث انفض أتباعه فكيف يقاتلون تحت قيادة نصرانية ولم ترس إليه الممالك الاسبانية أموال وجنود لذلك باءت بالفشل .

قرر الأمير الخروج سنة 303 هـ لمقاتلة ابن حفصون فاستطاع السيطرة على جميع المناطق التي كانت تحت سيطرة عمر وحاصر حصن (بابشتر) عند ذلك قرر عمر توقيع اتفاقية والاعتراف بعبد الرحمن أميراً على الأندلس وأن يبقى له حصن بابشتر إلا أن عمر توفي سنة 305 هـ فترك أربعة أولاد وهؤلاء عملوا على نقض الاتفاق مع عبد الرحمن الناصر فقرر الأمير القضاء نهائياً على حركة عمر وأولاده فتم ذلك سنة 315 هـ حيث تم قتل واعدام أولاده وبذلك انتهت حركة عمر بن

حفصون وبعد ذلك قرر الأمير إعلان الخلافة في الأندلس في أواخر سنة 316 هـ .

ثانيا – إعلان الخلافة سنة 316هـ :

حيث أعلن الأمير قيام الخلافة الأموية في الأندلس واطلق عليه لقب (الخليفة وأمير المؤمنين والناصر).

أسباب إعلان الخلافة؟

1 – استعاد السيطرة على جميع أنحاء الأندلس خلال 16 سنة استطاع أن يعيد الوحدة إلى الأندلس.

2 – أصبح لقب الأمير لا يناسبه حيث رأى أنه أحق بلقب الخلافة .

3 – ضعف الخلافة العباسية حيث سيطر عليها الأتراك فأصبح الخليفة العباسي ليس له قيمة والأندلس هي أقوى من الخلافة العباسية وأقوى من بغداد وبذلك فهو أحق من غيره بالخلافة.

4 – إعلان الفاطمية الخلافة وأن الأمويين هم أحق بهذا اللقب لأنهم ورثة الخلفاء الأمويين.

5 – بدأ أهل الأندلس يطلبون منه إعلان الخلافة وبدأوا يلقبونه بألقاب خلافية . عندئذ قرر الأمير اصدار منشور وتعميمه على جميع أنحاء الأندلس بإعلان الخلافة الأموية في الأندلس.

وكما موضح في الخارطة أدناه الخلافة الأموية وعاصمتها قرطبة.

ثالثا- الإصلاحات الاقتصادية في عهد الخليفة الناصر:

الإصلاحات الاقتصادية: شهدت بلاد الأندلس فترة من الاستقرار السياسي الذي كان له اثراً ملحوظاً على الأندلس إذ بلغت موارد الأندلس كميات كبيرة من الأموال وذلك لازدهار الزراعة و التجارة والصناعة في عهد الخليفة الناصر والذي عرف عنه إتباعه سياسة اقتصادية ساهمت في رفع ايرادات جزيرة الأندلس فكانت الأموال في عهده تقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: كان يذهب إلى بيت المال.

القسم الثاني: كان يذهب إلى الجند.

القسم الثالث: كان يخصه الناصر إلى أهل الحاجة والعلماء والشعراء.

و ساهم في ضبط إيرادات جزيرة الأندلس فنتج عنه تحسن أحوال الرعية ولا سيما في الأمور الاقتصادية والمعاشية وبلغت الجباية السنوية للأندلس في عصر الخلافة من الكور والقرى خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألف دينار .

رابعا- الإصلاحات العسكرية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر:

تميزت إصلاحاته العسكرية أنه أدخل عبد الرحمن الناصر اصلاحات العسكرية عديدة شملت عدة جوانب ومنها ادخال عنصر الصقالبة الي الجيش وذللك لتحسينه والحد من المنازعات بين القبائل العربية والبربرية وايضا من اجل زيادة اعداد المقاتلين ,واصبح للصقالبة مكانة هامة داخل المجتمع الأندلسي، وعمل على انشاء أسطول بحري قوي في مدينة المرية وحرص على تزويده بأحدث القطع البحرية المتطورة وكان لقائد الأسطول منزلة خاصة لأهميته والحاجة إليه في مسؤولية الدفاع عن حدود الأندلس البحرية لكونها محاطة من ثلاثة جهات بالمياه وانشاء ايضا دور لصناعة السفن في طرطوش.

أما عن الحملات العسكرية :

كان أول عمل قام به الناصر بعد توليه الحكم هو السيطرة على الأوضاع الداخلية واخضاع المتمردين لسيطرته. وسار بنفسه لإخضاعهم إذ خرج في سنة300هـ بجيشه واستطاع في هذه الحملة من

ارجاع 70حصنا وعرفت هذه الغزوة بغزوة المنتلون واستطاع الأمير الناصر من القضاء على تمرد عمر بن حفصون إذ أرسل إليه الكثير من الجيوش لمحاربته واخضاعه وإحدى الحملات استطاعت من السيطرة علي حصن بابشتر في سنة 315هـ والذي ظل عصيا علي المسلمين ما يقرب من خمسين عاما.

وهكذا استطاع الناصر من استعادة الوحدة الى الأندلس ومكن السلطة المركزية من السيطرة على البلاد وجه الناصر حملات عديدة ضد الممالك الاسبانية الذين استغلوا فترة الفوضى والاضطرابات في الأندلس وانشغال الناصر في القضاء على المتمردين .فهاجموا البلاد الإسلامية إذ غزو مقاطعة ماردة وعاثوا بها وقد دفع ذلك الناصر إلى إرسال الجيوش للإيقاع بالغزاة والثأر لماردة ولقلاع المسلمين وذلك في سنة 303هـ.ثم سير جيشا ثانيا في سنة 306هـ إلى مملكة ليون واستولي على امنع قلاعها وأهمها. لكن المسلمون ارتدوا أمام جموع الاسبان آخر الأمر وخسر المسلمون الكثير، إلا أن الناصر قرر الخروج بنفسه للانتقام من الاسبان في سنة 308هـ والتي اجتمع فيها ملكي ليون ونبار لحرب المسلمين واستطاع الناصر أن يوقع خسائر فادحة بهم ، ثم عاد ملك ليون التحرش بالمدن الأندلسية فقرر الناصر تجهيز جيشا ضخما وبقيادته لمعاقبة ملك ليون وكان ذلك في سنة327هـ والنقي الجيشان بالقرب من طليطلة في موقعة سميت بموقعة الخندق تنويها بأهميتها في سحق الممالك الاسبانية .كانت المعركة عنيفة علي المسلمين تراجعوا بعدها وعاد الأمير إلى قرطبة

وكانت سبب الخسارة خيانة بعض القادة ومنهم نجدة الصقلبي الذي أعدمه الناصر وقبض أيضا على عدد من فرسان العرب وأعدمهم لما أبدوه من عدم حماس في القتال وكان لهذه الموقعة أثر كبير على الناصر والتي على أثرها قرر ألا يخرج بنفسه في الحملات الحربية.

خامسا- الجانب الدبلوماسي:

اتبع عبد الرحمن الناصر الاسلوب الدبلوماسي مع المماليك الإسبانية والتي أدركت هي الاخرى مدى قوة الناصر فقامت بإرسال عدد السفارات من أجل إقامة علاقة متبادلة ما بين الطرفين وكانت من أهم هذه السفارات سفارة 322 هـ التي أرسلها أمير مملكة نبارة إلى عبد الرحمن الثالث وسفارة 336 هـ من قبل أمير القسطنطينية وسفارة الصقالبة وسفارة مملكة جليقية وغيرها من الممالك الاسبانية والدول الأوربية ، وبذلك تبوأت الأندلس مركز الصدارة في العالم الاسلامي وغدت قرطبة مركزاً للجاذبية الدبلوماسية تتجه إليها أنظار الدول الاوربية المختلفة في معالجة ما يعصي عليهم من الأمور السياسية وكان نتائج هذا السفارات، وكذلك ازدهار الحركة الثقافية في الأندلس بسبب انتقال العلوم والمؤلفات ما بين العرب والممالك الاسبانية، تمتع الناصر ونتيجة لهذا السفارات بقوة مما ساهم في ازدهار الاقتصاد بالأندلس.

أما عن عهد الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ) :

أولا – سياسته الداخلية:

يعد عهده امتداد لعهد أبيه (الناصر) لم يكن كأبيه من ناحية الحزم و القوة بل كان معتدلا في أي شيء عرف عنه العلم و الأخلاق الفاضلة و الأدب إذ كان مؤرخا و عالم بالأنساب وعرفت دولة الحكم بدولة الآداب والحضارة بينما دولة الناصر دولة العظمة و الأبهة.

وتميز عهده عن أبيه الذي كان يعتمد على الحكم المطلق أي يتابع الأمور بنفسه إلا أن الحكم المستنصر عمل على إسناد بعض من صلاحياته إلى رجاله أي الوزراء

ج/ لأنه كان رجل علم وأدب إذ خصص جزء من وقته لقراءة الكتب ويقول العالمان : ابن حزم و ابن بشكوال أي كتاب يقرأه الحكم لأبد من أن نجد له تعليق . .

ثانيا– اهتمام الناصر و الحكم المستنصر بالأسطول البحري :

لمواجهة العبيديين الذين لهم اسطول بحري كبير لذا بنى (الناصر) مدينة المرية وأقام فيها دار لصناعة السفن ، و يعد ذلك اهتم بها الحكم المستنصر من أجل مواجهة خطر العبيديين مما يدل على الاهتمام بالأسطول البحري في الأندلس .

وأهم سمات عصره هو حدوث تبدل في علاقته مع الفاطميين بعد تحول الدولة الفاطمية إلى مصر وترك أنصارهم في المغرب وهم قبيلة صنهاجة وبذلك فرغت الساحة للحكم في المغرب الأقصى الذي سيطر عليه .

وفي عهد المستنصر عاد من جديد الغزو النورماندي بعد أن أقامت لهم قواعد في الجنوب الفرنسي على ساحل البحر الأبيض و عملوا الهجوم على الأندلس على شكل غارات وكانت في سنوات 351 / 355 / 360 / 365 هـ ولكن جميع الغارات فشلت بسبب :

(1) يقظة الأسطول البحري لأندلس.

(2) شجاعة قائد الأسطول ابن طرماحس .

(3) اهتمام الحكم بالأسطول البحري و تجهيزهم ما يحتاجونه .

(4) وتجهيز مدن السواحل بكل ما يحتاجونه من مال واسلحة . . . الخ

(5) إرسال جواسيس في عقر دارهم لمعرفة تحركاتهم .

وبذلك كل محاولاتهم فشلت في السيطرة على الأندلس .

-الأندلس في عهد الحجابة العامرية :

بعد وفاة الحكم 366هـ بعد أن حكم16عاما حافلة بالإنجازات ، إلا أنه بوفاته ترك مشكلة كبيرة كانت لها آثار كبيرة على الأندلس وهي أن

الخليفة الحكم عهد بالحكم لابنه الصغير بتأثير من قبل زوجة الحكم (صبح النافارية بالرغم من وجود أخوته الذين كانوا قادرين على إدارة الأندلس كأخيه المغيرة وعمل على تأسيس مجلس وصاية مكون من 4 اشخاص صبح النافارية زوجة الحكم محمد بن عامر وغالب بن عبدالرحمن قائد الثغر الأعلى جعفر بن عثمان (وزير حكم) : لإدارة دولة حتى يبلغ الرشد (هشام) .

عمل الصقالبة فلم يرضوا بهشام لأنه لا يصلح للخلافة لصغر سنه :* فقاموا بمؤامرة و أرادوا قتل هشام أو عزله و تعيين أخو الحكم أي عمه وهو المغيرة ابن عبد الرحمن كان شجاع قوي كان يتزعم مؤامرة الصقالبة بقيادة (جوذر _ فائق)هذه المؤامرة فشلت حيث أول عمل قام به مجلس الوصاية قتل المغيرة . وتخلصوا من منافس لهم كان قوي و بعد ذلك عملوا على إبعاد الصقالبة و إنهاء دورهم عسكري حتى في قصر الخلافة عملوا على قتل قادة الصقالبة منهم جوذر_ و فائق و قتلوا من أتباعهم من الصقالبة حوالي 1000 صقلبي تخلصوا من الصقالبة و أصبح هشام هو الخليفة .

أولا- الصراع داخل مجلس الوصاية:

بدأ صراع داخل مجلس الوصاية حول سلطة بين محمد بن عامر _ و الحاجب جعفر بن و عثمان المصحفي استطاع محمد بن عامر يستولى على قلوب العامة و ذلك عندما قاد حملة ضد الممالك الاسبانية سنة 367 هـ استطاع الانتصار عليهم و العودة إلى قرطبة

محمل بالغنائم أصبح قائد عام فضلا عن سلطات أخرى أعطيت له وبدأ الصراع من جديد بينه وبين جعفر بن عثمان إلا أن محمد كان أذكى وبدأ محمد يستقطب صقالبة على جانبيه من اجل ضرب المصحفي اما المصحفي ذهب إلى غالب عبد الرحمن يطلب منه ابنته أسماء لأحد أولاده فوافق غالب قائد على ذلك ، أحس ابن أبي عامر بهذا الاتفاق إذ سيقضي على نفوذه السياسي فذهب إلى غالب طلب ابنته له فوافق غالب وتزوج محمد بن عامر أسماء وحدث الاتفاق بين الأثنين ضد جعفر ومن :. علم جعفر أن نهايته قد اقتربت لأن محمد بن عامر بدأ نفوذه يزداد على نفوذه قرر محمد بن عامر تخلص من المصحفي بتدبير مؤامرة ضد المصحفي و يتهمه باختلاس أموال الدولة عند ذلك أودعه بالسجن تم قتله :و اصبح العامري هو الحاجب عمل على اسقاط ضريبة زيت الزيتون فاستبشر العامة به.

في هذه الأثناء بدأ صراع جديد بين محمد بن عامر و قائد الثغر الأعلى غالب بن عبد الرحمن لأن صبح النافارية ذهبت إلى غالب و توسطت عنده لكي يكلم محمد ليرفع الحجر عن إبنها إلا أن محمد رفض ذلك فبدأ الصراع بينهما

س/ ماذا عمل محمد بن عامر : عمل محمد على جلب جعفر بن علي بن حمدون قائد الجيوش الأندلسية من أجل ضرب غالب وحدثت معركة كان النصر لغالب في البداية و بعد ذلك ذهب غالب إلى معسكر محمد بن عامر لقتله لكن في الطريق سقط عن جواده (فرسه) ومات و لكن لم

يبقى أمامه من المنافسين سوى جعفر بن علي الذي وضع له السم في الشراب فمات جعفر عمل محمد على قتل الحارس حتى يموت الخبر واستطاع القائد السيطرة على الأندلس أصبح الحاكم القبلي حتى عرفت دولته بالدولة العامرية .

ومما يذكر أن محمد بن أبي عامر يرجع منه إلى جده محمد بن عبد الملك استطاع جده من السيطرة على الجزيرة الخضراء و يعد من البلديون تميز بعدة صفات كان فقيها و محدثا و كاتب وأصبح كاتب أمام القصر وأعجب الخليفة به و تم تعيينه في القصر و كذلك قاضٍ على مدينة الرية وأصبح مسؤول على شرطة و كذلك مسؤولا على سك نقود في الأندلس وأصبح مسؤول عن أموال ولي عهد هشام (المؤيد) كان محبوبا لدى نساء القصر . لماذا ؟

ج/ لأنه كان حلو الحديث و المحادثة حتى أن الخليفة خاف منه و عمل على إبعاده من القصر و بعد ذلك رجع إليه و تم تعيينه في مجلس الوصاية .

ثانيا –سمات العهد العامري :

سياسة أو إجراءات محمد بن عامر

1_ علاقته مع الخليفة :

ج/بدأت سلسلة من الإجراءات في سبيل تدعيم سلطته أول عمل قام به هو العمل على إنهاء الخليفة (هشام) عن طريق حجر هشام حيث عمل

على الهائه في اللعب مع الصبيان فبدأ هشام حتى لا يتفرغ لشؤون الحكم يعيش في حياة ترف و لذة فبدأ ضعيفا لا يستطيع اتخاذ اي قرار و عندما كبر أخذ يلتهي بمجالس الشرب و الطرب و عند ذلك أخذ يصاحب أصدقاء السوء وبذلك أخذت السلطة تنحصر بيد (محمد بن أبي عامر) فأصبح الخليفة في السابق ذو سلطة دينية و كان الخليفة هو الحاكم الديني و الدنيوي وعندما تولى محمد بن أبي عامر السلطة جعل اسم الخليفة يذكر في الخطبة و يطبع اسمه في نقوده ولكن السلطة بيد ابن أبي عامر : وبدأ يتلقب بألقاب الملوك أول لقب هو المنصور و لقبه السيد _ و الملك الكريم : فبدأت ام الخليفة هشام (صبح) حيث كانت في البداية متفقه مع محمد بن عامر ولكن بدأت تتململ من سلطة ابن ابي عامر و بذلك عملت بقيام مؤامرة بالاتفاق مع حرس من اجل قتل محمد إلا أن وصل الخبر لدى محمد بن عامر فعمل على زيادة الحراس: و بذلك أصبح العامر الرجل الأوحد وأراد أن يسقط الخلافة الأموية واستشار الفقهاء و الوزراء بذلك وافقوه على ذلك خوفا منه إلا أن ابن حزم لم يوافقه على ذلك قال (الشعب يحبون بني أمية هم الآن يطيعونك فإذا عملت على ذلك سوف لا يطيعونك لأنهم يحبون بني أمية وكان العامري في داخله متردد لأن الشعب سوف يغضب عليه عند ذلك تراجع عن إسقاط الخلافة الأموية .

علاقته مع الفقهاء:

أي أن المنصور عرف عنه أنه كان عالما و محدثا و فقيها عمل على تقرب من الفقهاء من أجل إضفاء شرعية على حكمه لعمله على حجب الخليفة عن العامة : ـ ولكي لا يتدخلوا في أمور السياسة وشؤون الحكم كما قام بجمع و حرق جميع الكتب الفلسفية التي جمعها الخليفة الحكم المستنصر.

ثالثا– تعرض ابن أبي عامر إلى عدة مؤامرات للقضاء عليه:

1ـ تعرض لمؤامرة من قبل صبح النافارية أم هشام المؤيد وحراس القصر أرادوا قتله إلا أنه كشف المؤامرة و قام بالقضاء عليها و زاد من حجره على الخليفة وأمه .

2– مؤامرة ولده عبد الله بتحريض من أشخاص لكن مؤامرة فشلت وهرب ولده إلى الممالك الاسبانية وبذلك ذهب محمد إلى الممالك الاسبانية و قام بحملاته ضدها و تمكن من ارجاع ولده وقتله لأنه خانه كان محمد قاسيا حتى في أحد المرات كان هناك استعراض للجيوش فكان أحد الجنود قد مال رمحه ولاحظه محمد بن أبي عامر قال له لماذا فعلت ذلك لضعف بي فقال للجند اقطعوا رأسه ذلك مما يدل على قوة محمد بن أبي عامر.

3–وهناك مؤامرة قادها اتباع جعفر المصحفي و معهم زياد بن أفلح ، قاموا بمؤامرة لكنها فشلت وتم قتلهم لأنه كانت لديه استخبارات قوية .

رابعا– الإصلاحات:

- **الإصلاحات عسكرية :**

أ :- عمل على تشكيل فرق عسكرية منظمة قسمت إلى وحدات و تلك الفرق مكونة من عدة قبائل و الهدف منها السيطرة على الجيش و تقويته في السابق الجيش في السابق مقسم إلى قبائل كل قبيله وحدة خاصة.

ب :- اهتم بالنوعية على حساب الكميه أي باختيار الجنود الأشداء والشجعان وإلغاء التجنيد الإجباري .

ج :- اهتم بنظام الفروسية له دور كبير في حسم المعارك من خلال جلب الخيول والاعتناء بها و ركز على الخيول الأصيلة .

د :- اهتم بالأسطول البحري لأنه له دور كبير و مؤثر في المعارك البحرية في زمن المنصور .

هـ :- اهتم بالأعلام الحربي عن طريق بث الحماس لدى المقاتلين عن طريق الخطب الدينية و القصائد الشعرية عن طريق القصائد . و الشعر . ومصاحبة شعراء والعلماء

و- هو الاهتمام بالنوعية أي أنه عمل على اختيار الجنود الأشداء الشجعان : كيف تم ذلك نلاحظ أنه أصدر مرسوم أي منشور ينص على أن التجنيد ليس إلزامي حيث كان في السابق إجباري أما في زمن المنصور نلاحظ أنه رأى أن الذي يرغب في الانضمام إلى جيش المؤهلين للقتال بعد أن فرض لهم أموال جزيلة لحثهم على القتال .

س ـ اهتم بالفروسية لأنه عد نظام الفروسية له دور كبير في جلب الخيول وكذلك لحسم المعركة أي أنه يهتم بالخيل وجلب مختلف الخيول من مختلف مناطق الأندلس والمغرب ووظفها في مزارع خاصة .
وكذلك اهتم بالأسطول البحري لأنه له دور كبير أي أصبح لهذا الأسطول دور في معارك البحرية وكانت قاعدة الأسطول المرية .

خامسا- حملات أو غزوات (المنصور) محمد بن عامر:

امتازت سنوات حكم المنصور بالنشاط الجهادي المتميز و المستمر لتجهيز الحملات على مدار فصول السنة و تعرف بالصائفة منها و الشتائية و الربيعية و الخريفية و كانت الصائفة تفضل على غيرها منذ حملات لسبب هو انعدام الأمطار صيفا , وجودة المناخ طول ساعات النهار , خفة ما يلبسه المقاتل و يحمله من كسوة و على الرغم من الجهود العسكرية و البشرية , و الاقتصادية وبلغت المعارك الحربية ضد المماليك الاسبانية و لم يخسر في أي معركة تشير الروايات أن عددها يقدر بـ (48) وقيل (58) معركة هو الحاكم الوحيد الذي لم يخسر أمام الممالك هذا أدى إلى ازدهار حضاري في الأندلس .
س/ بماذا تميزت الحملات :
ج/ الحملات المتنوعة :. صيفية خريفية لكن أغلبها في الصيف خاض المنصور حوالي 50 معركة ورواية 49,48, كلها اشتهر فيها كل ذلك لكن أكثر الحملات في الصيف لأن الجو معتدل في كل الحملات لم يخسر في أي معركة .

نلاحظ أن الكثير من الحملات تباينت المعلومات عنها من حيث عدد القتلى والأسرى فمثلا نلاحظ أن من حملاته هي:

1_ حملة على قشتالة : استغرقت هذه الحملة (109) يوم وقد نذكر منها أن عدد الأسرى و الجواري من هذه الحملة كان عددا كبيرا.

2_ حملته على برشلونة: حقق فيها انتصار كان هناك (70,000) أسير من الأسبان أما عن خسائر المسلمين فالمعلومات نادرة يذكر أن حملة (44) غزوة بطريقة فيها و مات من عسكر المنصور (700) رجل عطشا بسبب قطع مياه نهر.

3_ ومن الحملات المهمة التي أشارت إليها المصادر لأهميتها الحملة على جليقية (387 هـ) إذ لها أهمية في العدد والعدة ونلاحظ أن حكام الأندلس استعصى عليهم اقتحام جليقية و ذلك : بسبب وعورتها و مناعتها و قسوة مناخها و بعدها عن قرطبة : إضافة إلى دعم الكنيسة المسيحية لها لأن فيها قبر القديس يعقوب أحد الحواري للسيد المسيح (عليه السلام) إضافة ما كان للمنصور أسطول و تقدم في إنشاء هذا الأسطول الكبير المعروف في قصر أبي دانس من ساحل عرب الأندلس : و بذلك أخذ المنصور يجهز الحملة ضد جليقية و حمل القوات و الأطعمة و الأسلحة و خرج على نهر و ديره فدخل في النهر إلى المكان الذي عمل المنصور إلى العبور منه فأخذ المنصور بالتوسع ثم نهض يريد (شنت يعقوب) فأخذ المنصور يسعى إلى الحملة ضد جليقية في كل ما بوسعه على الرغم من انه واجه الكثير من المصاعب

و الممالك و لكنه استطاع الانتصار و بذلك حققت نصرا عظيما و كان لها دروس و عبر و معاني في تحقق غايته و في هذه الحملة كان المنصور استعان من توجيهات وزيره و صاحبه جعفر بن عثمان المصحفي كان المنصور ينقله معه في غزواته في البحث عن أهل الشجاعة و البسالة .

نتائج الحملات العسكرية

1_ ازدهار اقتصادي .

2_ ازدهار عمراني إذ نلاحظ أن بانتصاراته على الممالك الاسبانية أدى إلى ازدهار حضاري في الأندلس

ج/ لكثرة الغنائم التي حصل عليها المسلمون و كثرة السبايا و الجواري من الممالك الاسبانية و لقبه بـ (الجلاب)؟ لكثرة جلب الغنائم و السبايا و الجواري من المماليك الاسبانية.

3- كان يقود المعارك بنفسه حتى أنه كان يجمع غبار المعارك بمناديل خاصة . تصنعها بناته من المال الخاص. وذلك ليكفن بها عند موته بها وكان يصحبها معه في المعارك .

سادسا- سياسة الحاجب المنصور في عدوة المغرب :

اتبع الحاجب المنصور سياسة خلفاء الأندلس في متابعة المغرب و الحفاظ على المدن و المناطق الأندلسية التي سيطر عليها الناصر و الحكم المستنصر و هي سبته و طنجة و مليلة ج/ كدرع عسكري و حماية الأندلس من الهجمات البحرية : اضافة إلى ممارسة الحاجب

على تقوية الأسطول الأندلسي و قاعدته بزيادة عدد قطعه و تطور سلاحه اضافه إلى إصلاح أسطول مدينة بجاية حيث أمره المنصور بعدما حس صاحب بجاية بتجديد الأسطول اتخذ الحاجب مدينة الجزيرة الخضراء كقاعدة له لمواجهة المخاطر و الاشراف على العمليات الحربية في العدوة المغربية اعتمده الحاجب على عدد من القادة العسكريين من البربر منهم زيري بن عطيه ومنحه لقب وزير و قدم له الدعم العسكري ومن هنا بدأ الحاجب بتجهيز الحملات العسكرية لردع المتمردين بالمغرب و الأراضي التابعة للأندلس .

كان من هذه الحملات:- حملته الثامنة (368هـ) حيث خرج المنصور من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء كانت الثامنة من غزواته و رافق المنصور في حملته القائد جعفر بن علي المعروف بابن الأندلسي حمل معه من المال و من العدد فأقام بالجزيرة ثم عبر إلى سبته . و انضمت إليه ملوك زناته .

الحملة الثامنة في المغرب في سنة (375 هـ):

من أجل محاربة الحسن بن كنون آخر أمراء الأدارسة بتسلم القيادة لابن عمه عبد الله الملقب عسكلاجة من أجل حرب حسن بن كنون فأحاط به و خرج المنصور إلى الجزيرة الخضراء فاستطاع عسكلاجة من محاصرة حسن في قلعة بهذه الحملة استطاع من قتله في قلعة أو ما عرفت بمعركة (حجر نسر) التي تم بها القضاء على ابن كنون وعلى دولة الأدارسة سنة 375هـ.

حاول المنصور كسب ود زعماء البرابرة في المغرب و منهم القائد زيري ابن زيري باب المنصور فأستقبله محمد بن عامر لكن لم تستمر العلاقة الطيبة بينهما على لرغم من الهدايا الثمينة في سنة (386)هـ و تمرد وزيري مستغلا سوء علاقة المنصور بالخليفة هشام فأخرج المنصور إليه وزيره عيسى بن سعيد إلى بجيش كبير وعين كبار قادة الصقالبة في المغرب للاعتماد عليهم لحرب زيري : و استقدم المنصور غلامه واضح الصقلبي الفتى الكبير من مدينة سالم و قلده الحرب على زيري وسار واضح الصقلبي معه العسكر و الأموال فنزل طنجة مقابل جيش زيري بقيادة واضح لم يحقق نتائج مطلوبة مما أدى ذلك إلى دفع الحجب المنصور لتجهيز حملة عسكرية تعرف بحملة الجزيرة الخضراء توجه إلى مواجهة زيري في العدوة المغربية بجيش عظيم كبد الهزائم بجيش زيري و قادة الجيش وجلبه إلى الأندلس.

وفي سنة (392) توجه بحملة كبيرة ضد الممالك الاسبانية ،إلا انه مات المنصور في قلعة سالم و حدثت ضجة كبيرة في الأندلس و عندما مات المنصور استبشرت الممالك الاسبانية.

ج/ وذلك لأنهم تخلصوا من قائد كبير وشجاع ذاقهم ويلات الهزيمة لانتصاراته الهائلة عليهم حتى ظهر مثل بالاسبانية (مات المنصور واضاع الطبلة) اي طبلة الحرب.

أما في عهد الحاجب عبد الملك بن المنصور (المظفر) وأخيه شنجول :

أولا – توليته الحجابة:

تولـى الحاجب بن المنصور السلطة في الأندلس بعد وفاة والده و لقب بالمظـفر (سيف الدولة) من عام (392–399) بعدما أقره الخليفة الأموي هشام (المؤيد) له وجدد له عهدا على عمل أبيه في الحجابة .

انتهج سياسة أبيه لكنه اختلف عنه في الإدارة كان والده مسيطرا على جميع أمور البلاد لكن عبد الملك أوكل المهام الإدارية إلى وزرائه وعمل على التقرب من الرعية فكان أول عمل له اسقاط ضريبة بالسدس فهذا قد استبشر الناس به إضافة إلى أنه أطلق سراح المسجونين وبهذه الطريقة التي قام بها الحاجب استطاع أن يكسب عدد كبير من المؤيدين له و منهم الفقهاء و عامة الناس اعتمد الحاجب سياسة إعمار المناطق المفتوحة في الثغور الأندلسية كما اتبع سياسة الدهاء و الحيلة مع العدوة المغربية فقرب زعماء قبائل بربر واستطاع من كسب قائد زناتة البربري (المعز بن زيري) ورغب إليه أن يقلده بلاد المغرب فأجابه على إيثاره من المال وعدة من الخيل و السلاح ، سار إلى ما سار عليه والده في الجهاد ضد الممالك الاسبانية إلا أن عهده تميزه صراع على السلطة بين طرفة الصقلبي و الوزير عيسى فكان كل طرف يحاول السيطرة على الطرف الآخر من أجل السلطة و بذلك دبر الوزير عيسى مؤامرة ضد طرفة باتهامه تعاونه مع الممالك و رواية تقول يريد أن يعين خليفة جديد فقام بقتله و تم ذلك و أصبح عيسى

مسيطرا على الدولة كان لديه نفوذ خاص بعد وفاة طرفه و اموال كثيره صاحب سيادة إلا أن عيسى أخذ بتدبير مؤامرة بتعيين خليفة جديد إلا أن الحاجب بدأ يتململ من عيسى بعد أن أصبح الوزير الأول.

لذلك قدر عيسى يتكون مأدبة أي وليمة يدعو فيها كلا من الخليفة هشام والمظفر إلا أنه كان ينوي إلى قتلهم و تعيين خليفة جديد في هذه الأثناء ذهب أحد الصقالبة إلى المظفر وأخبره بخطة عيسى إلا أن المظفر قام بحملة استباقية للقضاء على عيسى و ذهب إلى قصره و قبض عليه وقتله و علق رأسه على باب قرطبة .

بعد كل ذلك تفرغ الحاجب إلى المماليك الاسبانية كان له كثير من الحملات ضدهم :-

غزواته منها إلى برشلونة _ و منها إلى بنبلونة _ ومنها قلونية

ثانيا- حملاته:

الحملة الأولى سنة (393ه) لفتح حصن و قصر قرب برشلونة مشاركة له أعداد كبيرة من المتطوعين و ذلك لأهمية الحملة صرف الحاجب كل قطعة من التجهيزات الحربية و الدفاعية للمقاتلين بتوزيع خمسة آلاف درع ... فأخذ يحث المقاتلين المغاربة و تشجيعهم و دعمهم ماديا و معنويا :

و بذلك استطاع المظفر من الانتصار بفتح حصن ممقصرة و يدمر (85)حصنا و دخل برشلونة و كان للحملة نتائج هامة مما أكسب

الحاجب (المظفر سمعة عسكرية , بعد نجاحه في هذه المعركة كما أنشد الشاعر قصائد المديح.

حملة (394) بنبلونة بسبب اجتماع ملوك كل من ليون و قشتالة و جليقية عقدوا اجتماع من أجل محاربة عبد الملك لكن لم يكون عبد الملك جيش كبير لمواجهة مماليك الاسبانية استطاع من الانتصار لكن لم تكن لها نتائج مهمة بسبب ما واجهه الجيش الأندلسي من عوائق منها وعورة الأرض وتأثيرات مناخية من برد و رعد و كانت تلك الظروف المناخية القاسية في الشمال الأندلسي.

حملة على بنبلونة سنة 396 حيث واجه فيها الجيش الأندلسي عوارض مناخية في الشمال الاسباني من مطر شديد و رعد عاصف ارتاع به الناس و لم تحقق هذه الحملة نتائج مطلوبة بسبب الظروف المناخية القاسية كما لم يحصل فيها على غنائم مما أدى إلى انزعاج الرعية.

الحملة الرابعة :سنة 396 على وشقة حقق نتائج طيبة وعاد منتصرا إلى قرطبة كانت هذه الحملة لها أسباب اجتمع ملوك ثلاثة في قشتالة على مواجهة الحاجب قرر تجهيز جيش من أجل مواجهة المماليك لكنها فشلت بسبب البرد.

الحملة الخامسة :ـ غزوة كانت على مملكة قشتالة وعرفت بغزوة النصر أو قلونية وانتصر فيها المسلمين فسميت بغزوة النصر أو قلونية .

الحملة السادسة سنة (398)هـ :ـ كانت الشاتية : أي في الشتاء على حصن شتين و هاجمه المسلمون بوسائل متطورة و ذلك من حيث التقدم التقني الحربي و غدا المظفر على حرب الحصن و أرسل البنائين و النقابين مع عرفائهم لحفر سور و حمل حجارته بين نطق الخشب ثم أحشوه حطبا و أطلقوا فيه النار فأحرقته : و ابتهاجا لهذا النصر الذي حققه الجيش الأندلسي على الأعداء أمر الحاجب بتوزيع سبيهم على أهل الرباط .

الحملة السابعة غزوة العلة :

كانت هذه الحملة الأخيرة للحاجب عبد الملك كان ذلك سنة (399)هـ كانت هذه الغزوة ضد الممالك الاسبانية لمواجهة الملك (سانجو) على أثر ذلك انسحب بسبب المرض و رجع إلى قرطبة و بعد أن رجع إلى قرطبة أشفي من المرض قرر أن يعاود الحملة مرة أخرى : توجه بذلك الحاجب نحو قشتالة لكن في الطريق أصابه مرض و اتعبه كثيرا فأثر ذلك إلى الرجوع إلى قرطبة و توفي وهناك من قال أن أخيه عبد الرحمن وضع له السم وتوفي 399هـ وتحولت الحجابة إلى عبد الرحمن (شنجول) .

ثالثا – عبد الرحمن شنجول:

كان عبد الرحمن بداية النهاية الدولة العامرية كان ضعيف الشخصية كانت أمه من سبايا معارك أبيه ابنة ملك قشتالة تزوجها وأنجبت له عبد الرحمن شنجول و سمي بشنجول نسبة جده أبا أمه وأخذ

صفات أجداده بشرب الخمر و عدم الاهتمام بأمور الدين حيث كان منهك بالذات و اللهو و سخط العامة عليه و تقرب من الخليفة هشام (المؤيد) كان يختلف عن أخيه عبد الملك (المظفر) فأخذ لقب المأمون من هشام من المؤيد الخليفة إلا أن هذا اللقب استنكره له العامة لأنه ليس لديه أفعال تذكر حتى يلقب بمثل هذا اللقب كذلك عمل على ارتكاب أخطاء سياسية و إدارية مما أدى إلى سقوط الدولة العامرية و بدأ طموحه يزداد وأراد أن يكون وليا للعهد إلا أن الخليفة لم يوافق في البداية لكن وافق تحت التهديد مرسوم الخلافي هو أن يصبح وليا للعهد المرسوم أدى إلى خلق فوضى داخل قرطبة لأن أهل الأندلس كانوا: متمسكين بالخلفاء الأمويين ،فقرروا انهاء حكم شنجول فحدث تعاون بين الذلقاء والدة عبد الملك المظفر التي اتهمت شنجول بقتل ولدها مع محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي فبدأت الاستعدادات من أجل اسقاط نظام عبد الرحمن ، إذ استغلوا فرصة خروج عبد الرحمن من قرطبة إلى الممالك الاسبانية الذي أراد أن يعمل كأبيه و أخيه بالخروج بحملة ضد المماليك الاسبانية بضغط من الشعب محمد و الذلقاء الخروج و في الليل عملوا على محاصرة القصر و السيطرة و تم توقيع هشام المؤيد على التنازل عن الخلافة لمحمد بن هشام و لقب بالمهدي بدخول محمد إلى القصر انتقلت الأخبار إلى شنجول و عزل هشام عن الخلافة قرر الرجوع إلى قرطبة و انفض عنه أتباعه و بقي معه أعداد قليلة أرسل المهدي جيشا إليه و تم قتله و بذلك انتهت

الحجابة العامرية تولى السلطة و عمره (25) سنة و لم يكن الحاكم اللائق للأندلس .

مميزات شنجول : هو أن الأثنين تميزا بالملذات حتى أن شنجول ترك القصر في الزاهرة و ذهب إلى قرطبة وكان ضعيفا اداريا وسياسيا وعسكريا بدأ يأخذ الألقاب من الخليفة كالناصر والمأمون لسوء سلوكه و تصرفه و ضعف شخصيته لكونه شابا طائشا و مغرورا .

رابعا – أسباب سقوط الدولة العامرية :-

1-التقرب من الخليفة هشام المؤيد وهو بذلك يكون عكس أبيه وأخيه لأنهم عملوا على عدم التقرب من الخليفة بل انهم عملوا على حجره.

2- أطلق الخليفة هشام المؤيد على عبد الرحمن لقب (المأمون) و استنكر العامة على هذا اللقب لأن لم تكن لديه أفعال جيدة حتى يذكر له هذا اللقب لأنه كان مشغول بمجالس الغناء و اللهو و غيرها من الأمور حفيظة أهل الأندلس.

3- تجرئه على إصدار مرسوم من قبل الخليفة هشام المؤيد يعينه وليا للعهد و هذا الأمر شجع أهل

قرطبة على مناوئته و القضاء على الحكم العامري و كذلك تمسكهم بالخلفاء الأمويين .

– الأندلس بعد سقوط الحجابة العامرية :

أولا– محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي :

بعد سقوط الدولة العامرية سنة (399 هـ) دخلت الأندلس في اضطرابات أدت على إثرها سقوط الخلافة الأموية سنة (422هـ) قام المهدي بعدة إجراءات تعسفية ضد أهل قرطبة من البربر و الصقالبة و عمل على نفيهم من قرطبة اعتبرهم مناصرين للعامريين : كان المهدي شخصية ضعيفة وليس قوي في البداية استبشر به أهل الأندلس خير لكن بعد ذلك كشف أهل الأندلس أنه ضعيف ومن ذلك دخلت الاضطرابات إذ ظهرت عدت فئات للسيطرة على الحكم منهم بني أمية الحزب الثاني الصقالبة الذين كان لهم دور كبير في عهد المظفر ذهبوا إلى شرق الأندلس و كذلك البربر الذين لهم دور مؤثر في الحياة السياسية هؤلاء بعد استدعاهم جعفر بن حمدون أخذوا يسيطرون على مناطق مختلفة من الأندلس ذهبوا إلى غرناطة مستغلين ضعف المهدي .

عندما شعر محمد المهدي بالخطر المحدق به من قبل هذه الثورة بزعامة الرشيد مال إلى التفاهم معهم فأرسل إليه القاضي ابن ذكوان من أجل مفاوضته إلا أنه لم يفلح بذلك.

على الرغم من قيام المهدي بإطلاق سراح سليمان المستعين من السجن إلا أن مطالب الرشيد كانت أكبر من ذلك, إذ كان يعتقد أنه أحق بالخلافة من المهدي وهذا ما لم يقبل به المهدي الذي التفت

العامة في الريف الغربي حوله وخرج مع اتباعه لمقاتلة الثائرين عليه بقيادة الرشيد الذي مني بهزيمة نكراء مع أتباعه من العامريين والبربر ووقع الرشيد أسيراً بيد المهدي الذي قام بقتله مع من وقع معه في الأسر سنة 399هـ .

ثم بدأت الخلافات تنشب بين أفراد البيت الأموي على السلطة إذ خرج على المهدي ابن عمه سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر وساعده بذلك البربر الذين عاملهم المهدي معاملة سيئة بل عمل تشجيع أهل قرطبة على قتل البربر أينما وجدوه ومهاجمة دورهم ونهبها وتدميرها, فقامت مذبحة بشعة قتل فيها عدد كبير من البربر مما اضطرهم على الخروج من قرطبة ،عندئذ بدأ سليمان الذي لقب بالمستعين بالاستعدادات ومعه البربر من أجل التقدم إلى قرطبة والسيطرة عليها .

فبدأ كل فريق بالاستعانة بالمماليك الاسبانية و بدأت الممالك تعمل على من يقدم التنازلات أكثر استطاع المستعين من الانتصار على المهدي دخل المستعين إلى قرطبة و أعلن نفسه خليفة هرب المهدي إلى طليطلة و بعد ذلك تقدم المستعين إلى طليطلة و لم يستطع الدخول إليها و رجع إلى قرطبة بسبب سوء الأحوال الجوية المهدي ذهب إلى برشلونة للحصول على مساعدات وافقوا لكن بشروط :

1_ كل يوم دفع مئة دينار ذهبي .

2_نصف الغنائم لهؤلاء الجنود

3_ السيطرة على قلعة على مريه

بعد حصوله على مساعدة تقدمت الممالك الاسبانية وسيطروا على سالم بعد ذلك اجتمع الجيش (40,000) مقاتل توجهوا نحو قرطبة اشتبك الطرفين في منطقة (عقبة البقر) سنة 400هـ انتصرت في البداية قوات المستعين كان في المقدمة البربر استطاعوا من خلخلة المهدي إلا أن أحد فرق الممالك عملوا على خلخلة جيش المستعين و هرب بذلك المستعين من ساحة المعركة و انتصر المهدي و عمل على مطاردة البربر و رجع إلى قرطبة و خسر معركة عند ذلك حدث أن دبر بعض الغلمان العامريين بالقصر مؤامرة فقتلوا المهدي و طافوا برأسه في قرطبة (قتله واضح الصقلبي) بعد ذلك ذهب إلى قرطبة و اخرج المؤيد من السجن و اصبح واضح هو الحاجب اتباعه و الصقالبة لم يرضوا بذلك عملوا على حرب (الاستنزاف) و عملوا على حرق المزارع قرب قرطبة عملوا على حصار قوي على قرطبة و بدأت قرطبة تضعف بسبب الحصار الاقتصادي عمل واضح بخطة قدر الهروب من قرطبة و ترك قرطبة بمصيرها المجهول إلا أن أحد القادة يدعى ابن وداعة قبض عليه بعد أن كشف أمره و قتله .

إلا أن سليمان المستعين دخل إلى قرطبة و بدخوله عاث البربر فسادا ودمروا مدينة الزاهرة بعد ذلك عملوا على الانتقام من أهل قرطبة إلا أن الخليفة سليمان مل منهم عمل على اخراجهم من قرطبة عن

طريق نفيهم على مناطق الأندلس مثلا صنهاجة الى غرناطة وبرزال إلى جيان

وتولى المستعين الحكم إلى سنة (407هـ) عندما هجم عليه (علي بن حمود) حاكم الجزيرة الخضراء وقتل الخليفة المستعين وتولى الحكم ثم رجع بعد ذلك الأمويين إلى الحكم وتولى عدة خلفاء الحكم في الأندلس هم عبدالرحمن المرتضى المأمون القاسم بن حمود و المعتلي بالله يحيى بن حمود والمستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام و المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن ،إلا أنهم جميعا لم يكونوا قدر من المسؤولية التي أوكلت إليهم فمنهم من كان سيء الطبع والأخلاق ومنهم من ساند البربر ضدّ أهل قرطبة ومنهم من سعى وراء مباهج الحياة فلم يستطيعوا جميعهم من توحيد البلاد على كلمة واحدة، والأدهى والأمرّ من كلّ ما ذكر هو اتفاق بعضهم مع النصارى ضد أهله وأبناء جلدته، إذ منحوهم مقابل مساندتهم بحروبهم الدائرة فيما الأموال ومدن الثغور التي بذل المسلمين الأرواح والأموال من أجل السيطرة عليها وهذا ما شجع النصارى على بسط نفوذهم في البلاد والسيطرة عليها بأكملها وإخراج العرب منها فيما بعد.

وبسبب ما مرت بها الأندلس من أحداث كبيرة أثرت على جميع أحوال الأندلسيون المختلفة أجتمع أهل قرطبة وعلى رأسهم الوزير أبو حزم جهور على أن يختاروا أميراً أموياً قويا يعمل على توحيد كلمة الأندلس ويقبله الجميع، فاتفق أهل قرطبة على مبايعة هشام بن محمد بن عبدالله

بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو الشقيق الأكبر لعبد الرحمن المرتضى والذي كان قد فرّ بعد مقتل أخيه المرتضى سنة(409هـ/ 1018م) مع أصحابه من قرطبة إلى البونت، إذ دخل في حماية واليها عبدالله بن قاسم الفهري.

بعث أهل قرطبة بالبيعة إلى هشام بن محمد وهو في مقره بالبونت، وذلك في ربيع الأول سنة (418هـ/ نيسان 1027م)، فتلقب بالمعتمد بالله، وخطب باسمه على منابر قرطبة، لكنه بقي يعيش بحصن البونت لمدة عامين وسبعة أشهر ثم انتقل إلى قرطبة، تحت الإلحاح الشديد عليه من قبل أعيان قرطبة نتيجة التدهور الأمني وزيادة الاضطرابات التي نتجت عن التنافس القائم بين الرؤساء المتنفذين على المدينة، فدخلها في الثامن من ذي الحجة سنة (420هـ/ الثامن عشر من كانون الأول 1029م).

فرحب به القرطبيون وجددوا له البيعة، واستمر في منصبه لمدة عامين وقد استبشر أهل قرطبة بمَقدمه وأقاموا بمناسبة دخوله إلى قرطبة احتفالاً كبيراً، وجاء معه في جملة مواليه رجل يعرف بالحكم بن سعيد القزاز)،فقلده الخليفة هشام المعتمد بالله زمام الأمور متجاوزاً بذلك رجال الحاشية الذين أملوا أن يوليهم المناصب على أثر استدعائهم له، ثم بعد ذلك انصرف الخليفة المعتمد بالله إلى التمتع بمباهج الحياة وكان وزيره القزاز يشجعه بذلك ويقدم له أجمل المغنيات والموسيقيين من ذوي الخبرة في التسلية .

أمّا حكم بن سعيد القزاز فقد أستأثر بكل مقاليد السلطة وجمع حوله رجالاً اعتمد عليهم بالاستبداد وابتزاز أهل قرطبة وعمل على سلب أموال التجار وتكرم بها على رجاله أدّت السياسة التي انتهجها القزاز إلى أن يكرهه أهل قرطبة، وللخروج من هذا المأزق قرّر القرطبيون القيام بعصيان مدني، وفي تلك الأثناء وصل إلى قرطبة رجل أموي من أبناء عمومة الخليفة المعتد بالله وهو أميّه بن عبدالرحمن العراقي وكان فتىً طموحاً وجريئاً لكن تنقصه الفطنة والذكاء وقد تلقى وعداً من أهل قرطبة بأنه إذا ما استطاع إقصاء هشام المعتد عن الخلافة وتخليص المدينة من الوزير المشؤوم القزاز فسوف يتولى الخلافة هناك، إلّا أن هذه الوعود لم تكن سوى أكاذيب إلا أن الأسر العربية النافذة في قرطبة بزعامة أبي حزم جهور قرّرت إلغاء الخلافة الأموية وطرد الأموين من قرطبة(ولكن ابن عبدالرحمن كان حريصاً كل الحرص على الظفر بها، وقام بتكوين جماعة من صفوف الجند الناقمين على الأوضاع في قرطبة والمحرومين من مرتباتهم، فكمنوا إلى الوزير القزاز وقتلوه، وذلك في الثاني عشر من ذي القعدة سنة (422هـ/ ثلاثين من تشرين الثاني 1031م)، ثم هاجم القصر واندفع العامة خلفهم ونهبوا معظم محتويات القصر، فدخل أبو حزم جهور فزجر العامة وأوقف عمليات النهب، أمّا الخليفة المعتمد بالله فقد ذُهل من شدة الموقف وخشي على نفسه فغادر قصره إلى مسجد قرطبة الجامع مع حشمه ونسائه وكانت وجوههن مليئة بالحسرة، حفات كأنهن سبايا غير مستوعبات ما حلّ بهنّ، أمّا الخليفة المعتمد بالله فأخذ يستجدي شيوخ الجامع طالباً منهم كسرة خبز يسد

رمق طفلته الصغيرة التي احتضنها ساتراً لها بكمّه من البرد وصعوبة تلك الليلة، وكذلك سألهم سراجاً يستضيء به مع نسائه، ولشدة هول الموقف أبكى كل الحاضرين من الناس اعتباراً بعاديات الدهر وما حلّ بالأمويين في الأندلس وقرّر القرطبيون التخلص من بني أميّة وإبطال رسم الخلافة فخلعوا الخليفة هشام المعتمد بالله، وأبعدوه إلى الحصون القريبة ثم غادر بعد أيام إلى الثغر ولجأ إلى سليمان بن هود(صاحب لاردة وبقي هناك حتى وفاته سنة (428هـ/ 1037م)، ورغم ما أقر أعيان قرطبة إلّا أنّ أمية بن عبدالرحمن كان شديد الحرص على تولي الخلافة ويتضح ذلك جليّاً بقوله: (بايعوني اليوم واقتلوني غداً)(، ولكنه اضطر أمام تهديدات أهل قرطبة الذين أجمعوا على خلع بني أمية، فغادر القصر ثم خرج من قرطبة واختفي عن الأبصار ، ونودي في سائر أنحاء قرطبة وأرباضها بأن لا يبقى بها أحداً من بني أمية ولا يأويهم أحد، وتولى أبو الحزم جهور تنفيذ هذا الأمر بكل حزم، حتى أجلاهم عن قرطبة .

وبخلع الخليفة هشام المعتمد بالله آخر خلفاء بني أمية في الأندلس انتهت الخلافة الأموية وبصورة نهائية، وانقطع ذكرها في الأندلس والمغرب الأقصى بعد أن دام حكمها منذ قيام الأمير عبدالرحمن الداخل سنة(138هـ/ 756م) مئتين واربعة وثمانين عاماً، حققت خلالها إحدى أعظم حلقات التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، وبعد زوال هذه الدولة ، انتزى كل أحد في موضعه، واستبدَّ رؤساء الأندلس وثوارها بما في أيديهم من البلاد والمعاقل وبغى بعضهم على بعض .

وعن أسباب سقوط الخلافة الأموية ؟

1. غياب القائد والإدارة القادرة على حسم الأمور في الوقت المناسب . أن الأندلس تتميز بأن القائد الذي يتولى الحكم لا بد أن يكون على مستوى عالي (من المسؤولية) وأن يكون (قيادي و سياسي) قادر على اتخاذ القرارات الحاسمة , ودائما الرجال في الأندلس يولدون من الأزمات كما حدث عنما تولى (عبد الرحمن) الداخل الذي انتشل الأندلس من الضياع , وعبد الرحمن الناصر إلا أن هذه المرحلة خلفت تلك الرجال .

2. الفصل بين السلطة الدينية و الزمنية (والإدارة و الحكم) كان الخليفة أو الأمير يجمع بين السلطة الدينية و الزمني إلا أن في زمن المنصور بن أبي عامر فصل بين السلطة الدينية و الروحية , أي جعل السلطة الدينية بيد الخليفة و الزمنية بيد الحاجب مما أدى إلى سقوط الخلافة الأموية.

3. تركيبة المجتمع الأندلسي لأنه يتميز بأخلاق متعددة العرب و البربر والمولدين و المستعربين في كل منطقه يوجد تركز سكاني , مثلا في قرطبة يتركز العرب , (اشبيلية و طليطلة) المولدين , و المستعربين أما الجبال يتركز فيها البربر , كل منهم تريد الوصول إلى السلطة و في هذه الحالة لا بد أن يكون الخليفة قوي حتى يفرض سيطرته إلا أنه لا بد مع القوة توجد سياسة حتى يتمكن من السيطرة على جميع أجناس المجتمع الأندلسي.

4 ـ الاستعانة بالممالك الاسبانية , حيث عمل حكام المناطق الأندلسية على الاستعانة بالممالك الاسبانية من أجل الحصول على بعض مئات الجنود مقابل التنازل لهم على بعض الحقوق المهمة التي بذل الأمراء فيها الأموال و استهدفها العديد من الرجال , حتى يقاتلوا أبناء دينهم مثل تنازلهم عن (حصن عزماج) الذي بذل فيه الناصر أموال جزيلة وحصن (شن اشتابين) الذي تم فتحه في زمن المنصور و هذا الأمر عجل في سقوط الخلافة الأموية .

- الجانب الحضاري في عصر الخلافة :

أولا- الجانب الثقافي :

كانت لشخصية الخليفة الناصر اثرها الواضح في ازدهار الحركة الثقافية وذلك لما عرف عن الناصر من محبته للعلم ورعاية مجالس العلماء واكرامهم بالأموال والهبات ، فقد وفد عليه العديد من علماء المشرق ومنهم العالم البغدادي أبو علي اسماعيل بن قاسم القالي الذى دخل الأندلس في سنة 330هـ وكان في استقباله ولي عهده الحكم المستنصر وكان في دخول القالي أثر كبير وواضح في نقل المؤلفات المشرقية إلى الأندلس ، وكذلك وصل العالم البغدادي ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض الذى وصف قرطبة ببغداد الثانية ، ونشطت في عهد الناصر حركة الترجمة من اللغات اليونانية والرومانية وغيرها إلى العربية فتم ترجمة الكتب الطبية مثل كتاب الحشائش الذى يبحث في الأدوية المستخرجة من النباتات وفي زمنه ازدهرت العلوم الطبية وظهر العديد من الأطباء الكبار مثل عمران بن أبي عمر

ويحيى بن إسحاق وأبو بكر سليمان بن باج ،وأن إزدهار الحركة الثقافية والفكرية بلغت أوجها في عهد ولده المستنصر.

أما في عهد ابنه الخليفة الحكم المستنصر فقد عرفت دولته بـ(دولة العلم و الأدب) لأنه:

1-أهتم بنشر القراءة والكتابة بين جميع سكان أهل الأندلس لا سيما أهل قرطبة تتناسب مع منهج الدولة بجعل التعليم مجاني إذ أنشأ 27 مكتبة مخصصه للفقراء وأجور المعلمين كانت من الدولة , و منح الأرزاق لأولاد الفقراء .

2-اهتم الخليفة بإنشاء المكتبات العامة و الخاصة و بلغت لديه من الكتب ما لم يبلغ لدى أي خليفة وبلغت فهارس الكتب 44 مجلد . وكل مجلد يحتوي أكثر من مئتي ورقة .

3-عمل الخليفة على جلب الكتب الثمينة من مختلف البلدان الإسلامية وأخرج مندوبين من مختلف البلاد لجلب الكتب النفيسة فأرسل ابن طرخان إلى بغداد وآخر إلى المغرب ومعهم الأموال الجزيلة لشراء الكتب مهما كان ثمنها و اشترى كتاب أبو الفرج الأصفهاني و اسم كتابه (الأغاني) بـ1000 دينار ذهبي .

4-حث الحكم العلماء على تأليف الكتب العلمية المختلفة وعمل على بذل الأموال لهم مثل محمد ابن الحارث صاحب كتاب (قضاة قرطبة) وغيرهم من العلماء .

5-وعمل على انشاء جامعة اسلامية ملحقة بالمكتبة و نظرا لأهمية العلم لديه عهد بتلك الجامعة لأخيه المنذر .

6- في تلك المرحلة كان بين علماء بغداد و علماء الأندلس سباقا علميا ومما يذكر أن أحد العلماء ذهب إلى ابن حزم يطلب منه الذهاب للمشرق فقال له لا تذهب بدأوا أهل الأندلس يتنافسون مع المشرق وهذا يدل على ازدهار الحركة الفكرية في الأندلس.

ثانيا- الجانب العمراني :

كان من أهم الإصلاحات العمرانية التي أقدم عليها عبد الرحمن الناصر عليها توسيعه للمسجد الجامع لمدينة قرطبة، فضلاً عن إنشائه العديد من المدن في جزيرة الأندلس فأقدم على إنشاء مدينة تسمى مدينة (الزهراء) وهي تقع غرب مدينة قرطبة وتعد الزهراء من أروع الإنجازات العمرانية في عهد الناصر لما انفقه على هذه المدينة من أموال لتكون العاصمة الثانية لدولة بني أمية في الأندلس وتم بناء هذه المدينة في سنة 325 هـ وانتقل إليه سنة 336هـ واستمر العمل في بنائها أربعين سنة وانها كملت بشكلها النهائي في عهد المستنصر سنة 365هـ, وقد نقل اليها الناصر كافة مؤسسات الدولة وكافة الدواوين وأصبحت أعجوبة للدنيا في بنائها وتصميمها. وكذلك قام بتشييد مدينة سالم وهي تقع في الشمال الغربي من الأندلس وسبب تسمية هذه المدينة باسم سالم نسبة إلى القائد المغربي سالم بن ورعال الذي فتح المدينة, وقام بتشييد مدينة المرية في الجنوب الأندلسي سنة 344هـ .

أما في عهد الخليفة الحكم المستنصر فقد شهدت هذه المرحلة بناء مساجد في قرطبة : عمل على بناء مساجد جديدة فضلا عن التوسعة التي أقامها على مسجد جامع كبير في قرطبة وذلك لزيادة عدد السكان , وعلق الثريات فيها الصغيرة (56) ثرية في كل ثرية (20) كأس ذهبي عمل و (6)ثريات كبيرة في كل ثرية ألف و خمسة و أربعون كأس ذهبي مما يدل على عظمة الأندلس في تلك الفترة .

2_ عمل الخليفة على بناء مدن جديدة في الأندلس والاهتمام بالثغور فيها إذ اهتم ببناء ثغور كبير في مدينة سرقسطة و ذلك من أجل مواجهة الممالك الاسبانية كذلك بالاهتمام بالأسطول البحري في مرية .

أما في عهد الحاجب المنصور فقد برز اهتمامه بالجانب العمراني وذلك لأنه عد العمران لأسباب الازدهار الدولة وأول عمل قام به الاهتمام بمسجد الجامع حيث أدخل زيادة أكثر من قبل و ما زالت موجودة استمر العمل فيه مدة ثلاث سنوات فيه من الثريات(256) من النوع الكبير و بلغ عدد الأعمدة الرخامية (1400) ألف عامود عمل على إنشاء القناطر حيث جدد قنطرة نهر وادي كبير و بناء قنطرة جديدة على نهر قرطبة كلفت الدولة (1140) و بناء قنطرة في مدينة صقلية كذلك اهتم بشق الطرق و تعبيدها و بناء مدينة جديدة اسها الزاهرة .

س/ لماذا أسرع في بناء مدينة جديدة مع العلم أن الزهراء لم يمر على بنائها أكثر من خمسين سنة وذلك للأسباب الآتية:

1_ حقد السكان عليه خصوصا الصقالبة .

2. لتكون المدينة له و لأتباعه ومن العبيد السودان .

3. التخلص من المعارضين لحكمه .

4. حتى يبين أنه مهتم بالعمران .

5- استمر العمل فيها من سنة (368-370هـ) بنى فيها القصور فضلا عن إحاطته بالأسوار و اقتطع أتباعه من الوزراء و القادة عدد من الأراضي التي بنوا فيها القصور فضلا عن المرافق العام كالأسواق وغيرها أما المدينة الثانية هي العامرية فكانت عبارة عن حديقة عامة مكونة من قصور و بساتين .

عصر دويلات الطوائف:

هناك أسباب متعددة حول ظهور دويلات الطوائف في الأندلس ومن هذه الأسباب اتساع الأندلس وتنوع طبيعتها ، واختلاف عناصر سكانها فضعف القرار السياسي في الأندلس ولم يبق للأسرة الأموية الا الاسم بسبب الصراع الداخلي بين الأسرة الأموية نفسها ، مما دفع المدن الأندلس إلى تنظيم شؤونها الداخلية بنفسها بسبب عجز السلطة المركزية في قرطبة عن تنظيم أمور عامة مدن الأندلس وبسبب هذا الصراع والخلاف سقط الحكم الأموي في قرطبة فعليا سنة 422هـ ليبدأ عهد دويلة بني جهور في قرطبة وسنوضح في ذلك من خلال التطرق الى كل دويلة في هذا الفصل.

- قيام دويلة بني جهور قرطبة:

وقبل الدخول في تفاصيل هذه الممالك لابد لنا من توضيح لأماكن وجودها وتطلب هنا إرفاق خارطة توضيحية تبين لنا قيام كل مملكة .

تعد قرطبة من أهم مدن الاندلس فقد كانت مركز الاندلس منذ عصر الولاة وحتى عصر الخلافة الأموية والتي كانت مركزاً ثقافياً وحضارياً , وتقع على النهر الكبير, وفيها مسجدها الذي يعد من أكبر مساجد الاسلام , غير انها تعرضت للخراب فخربت أيام الفتنة ورحل عنها ورحل عنها الكثير من أهلها .

وقع الاختيار على أبي الحزم بن جهور الذي يعد أحد مشايخ قرطبة فأصبح زعيما لقرطبة , باختيار عامة الناس . وتمكن من تنظيم شؤون قرطبة , ولم يتلقب بالإمارة ولم يتلقب بالملك , ولا تحول من داره

ليستقر بقصور الخلفاء وأوجد لهم حكماً قائماً على الشورى لقد أسس ابن جهور مملكة قرطبة بدأت منذ إقدامه على اتخاذ القرار الخطير بإلغاء الخلافة , وهكذا اقامت مملكة قرطبة على انقاض الخلافة الاموية وضمت العديد من المدن وهي كل من الرصافة والزاهرة والزهراء وبشتن, وامتدت حدودها من جبل الشارات شمالاً حتى منابع نهر الوادي الكبير شرقاً , ومن حدود أستجة غرباً , حتى حدود مملكة غرناطة جنوباً , بالإضافة إلى بعض المدن والقرى التابعة لها إدارياً مثل جيان وبياسة وهنا يراودنا التساؤل عن الأسباب الحقيقية التي دفعت بأبن جهور وسواه إلى اتخاذ قرار الغاء الخلافة ؟ لا يتوفر لدينا ما ساعد على معرفة الدافع العميق الذي دفعت بأبن جهور ومشيخة قرطبة ان يتخذون قرار الغاء الخلافة فهل كانت أحداث الفتنة الاندلسية التي اثقل كاهل زعماء قرطبة خاصة والناس فيها عامة , مما دفع اولئك النفر بعد ان يئسوا من ان يجدوا من يتحمل مسؤولية الخلافة من الاسرة الاموية , ان يتخذوا تلك الخطوة ؟ أم إنهم عبروا عن دوافع وطموحات كل المنافسين والمعادين لسلطان الأسرة الأموية والأسرة العامرية في الاندلس , بسبب الأخطاء التي ارتكبتها هاتين الأسرتين .

وقد شهدت قرطبة من الاستقرار والأمان في عهده ما لم تشهده غيرها من الممالك الاندلسية , فقد كان يرى انه في خدمة الرعية إلى انه يأتي من يستحق حكم المدنية. فكان يعود المرضى ويشهد الجنائز , متبعاً في سيرته سنن اهل الفضل , وقد اصبحت قرطبة في أيامه مأمناً يأمن فيها كل خائف وأصبح مركزا للتجار والوافدين من مناطق أخرى خلال عهده وهذا يدل على سياسته الناجحة في تحقيق الأمن والرخاء في قرطبة وكان موصوفا بالدهاء والسياسة ولم يغير أمرا توجبه المملكة حتى إنه بقِي يؤذن على باب مسجده ولم يتحول عن داره وأحسن ترتيب

الجند فتمشت دولته وكان حرما يلجأ إليه كل خائف ومخلوع عن ملكه إلى أن مات في صفر سنة خمس وثَلاثين وأربعمائة فولى بعده .

ان أهم ما يميز ابن جهور انه لم يتفرد بالسلطة فقد استعان بالعديد من الزعماء والاشراف لإصدار القرارات . وقد عرف عن عهده بـ (حكومة الجماعة)التي استمرت مدة دامت أربعين عاماً امتد حكمهم من سنة 422هـ – 1031م إلى سنة 461هـ / 1070م .

فقد استعان بالفقهاء وعلية القوم , كان الهدف جمع الكلمة واتقاء شر الزعماء الأقوياء , إيمانا بمبدأ الشورى , وبهذه السياسة وحد قرطبة .

وعلى الرغم من نجاح ابن جهور في تنظيم شؤون قرطبة , الا أنه لم يحاول توحيد الأندلس واستعادة هيبة قرطبة كحاضرة للأندلس ومركزاً للسيادة الوطنية كسابق عهدها , كما لم يفلح أياً من أبناء أسرته على تحقيق هذا الهدف , فهل كان انطوى وأولاده وأنصاره على أسباب غير معروفة لنا ؟ وعلى ما يبدو إن أبا الحزم لم يكن مؤهلاً شخصياً لجمع شمل أهل الأندلس , لوجود أطراف سياسية بدأت تتحرك لتحقيق طموحاتها السياسية منذ ايام الفتنة.

وكان للرئيس جهور موقف خاص من أسطورة ظهور هشام المؤيد بالله وإعلانها على يد القاضي ابن عباد صاحب إشبيلية وذلك أن ابن عباد، حينما شعر بخطورة مطامع بني حمود في رياسة جنوبي الاندلس، واتشاحهم بثوب الخلافة، وحينما أرهقه يحيى بن علي بن حمود(المعتلي) بغاراته المتوالية، رأى أن يدحض دعاوي أولئك الحموديين ، فأعلن في سنة 426 هـ، أن الخليفة هشام المؤيد، حي لم يمت، وأظهر بالفعل شخصاً يشبه هشام كل الشبه، وبايعه بالخلافة

ودعا الناس للدخول في طاعته، وبعث بذلك إلى رؤساء الأندلس، فاستجاب بعضهم للدعوة، وكان منهم عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية، ومجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية، والوزير أبو الحزم بن جهور رئيس قرطبة .

استمر أبو الحزم في رئاسة مملكة قرطبة ومتابعة حكم الجماعة أربعة عشر سنة واشهر ثم تولى أمر مملكة قرطبة بعده ولده أبو الوليد محمد بن جهور بعد وفاة أبيه سنة 435هـ /1043م وتلقب أبو الوليد بالرشيد ويلاحظ أن أبا الحزم بن جهور لم يترك الأمر بعده شورى بيد الجماعة في اختيار من يخلفه , وانما اختار ولده من بعده وقد سار ابو الوليد على نهج أبيه أبو الحزم في إعادة الحقوق لأصحابها واستمرت الأحوال على انتظامها حيناً، ولكن أبا الوليد ما لبث أن تنكب عن سياسة أبيه، فقدّم على الناس ولده عبد الملك، وأخذ عليهم العهد له، فاستبد عبد الملك بالسلطة وأهمل الشؤون العامة، وتسمى بذي السيادتين ((الظافر بفضل الله والمنصور بالله)) وخطب له على المنابر وذلك خلافاً لما جرى عليه أبوه وجده من قبل، من تواضع ، وزهد في مظاهر السلطة وفي سنة 440 هـ، فوض عبد الملك النظر في الأمور إلى وزير أبيه إبراهيم بن يحيى المعروف بابن السقاء، فضبطها وأصلحها، وعمل على تهدئة الأحوال، واستمر ابن السقاء في النظر مدة طويلة وكان المعتضد ابن عباد أمير إشبيلية يشعر بأن استمرار هذا الوزير القوي على هذا النحو في رياسة حكومة قرطبة، يحول دون تحقيق هدفه في الاستيلاء عليها، فحرض عبد الملك ضد ابن السقاء، وحذره من أطماعه واستئثاره بالسلطة ، وكان عبد الملك سيء الرأي والتقدير، فاستمع لتحريض ابن عباد، وقتل وزيره ابن السقا في كمين دبره (455 هـ – 1063 م) و بهذه الفترة بدأت عوامل الفساد داخل

نظام الحكم، وزاد في سوء الحال ما حدث من التنافس بين عبد الملك وأخيه الأكبر عبد الرحمن وكان أبو الوليد يؤثر ولده الأصغر عبد الملك بمحبته، وكان عبد الرحمن من جانبه يدعي أنه أحق بالولاية من أخيه، فوقع التنافس بين الأخوين، وأخذ كل منهما يستميل طائفة من الجند وانقسمت السلطة بين ولديه، فخص أكبرهما عبد الرحمن بالنظر في أمر الجباية، والإشراف على أهل الخدمة، وفي التوقيع في الصكوك السلطانية، والدخل والخرج وجميع أبواب النفقات؛ وخص عبد الملك بالنظر في شئون الجند، والإشراف على أعطيتهم، وتجريدهم في البعوث وجميع ما يخصهم، وارتضى الأخوين هذا الحل لأن عبد الملك لم يلبث أن غلب على أخيه عبد الرحمن، وسجنه في منزله واستبد بالأمر دونه؛ وخلا الجو لعبد الملك، وأطلق العنان لسلطانه وأهوائه، واستولى صحبه من الأوغاد والسفلة، على أزمة الحكم، وبدأ الشعب القرطبي ينصرف عن آل جهور. كل ذلك والرئيس الشيخ أبو الوليد ملتزم داره لشلل أقعده وكان عبد الملك يعتمد في مشاريعه وتحقيق خططه، على مصادقة ابن عباد وتشجيعه، وقد زاره في إشبيلية، فبالغ ابن عباد في إكرامه والتودد إليه، وكان عبد الملك يظن أنه يستطيع الاعتماد على صداقته ومحالفته، ضد أطماع بني ذي النون أصحاب طليطلة، ومشاريعهم للاستيلاء على قرطبة، ولم يكن يدور بخلده أن بني عباد يضمرون ضده مثل هذه المشاريع .

لم تتمكن هذه الدويلة من النهوض بواجبات واسعة تجاه الأندلس , ولم تأخذ دور في قرطبة كعصر والامارة والخلافة في إدارة شؤون الأندلس كلها وإنما اكتفت بدور محدود في تدبير شؤون قرطبة والاماكن التي ذكرناها وكانت أدوار اخرى مع الممالك الاندلسية في هذا العصر .

- قيام دويلة بني عباد في اشبيلية :

كانت البدايات الأولى لقيام دويلة بني عباد سنة (414هـ / 1023م) وقيل قبل ذلك أي بعد سقوط الحجابة العامرية سنة 399هـ الا انها ظهرت بشكل رسمي بعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة سنة 422هـ وبهذا التاريخ انقسمت الاندلس الى دويلات مستقلة وكانت

دويلة بني عباد من بين هذه الدويلات ويعد ابن عباد المؤسس الحقيقي لدويلة بني عباد في اشبيلية.

أما عن أحوال إشبيلية فإنها كانت في طاعة علي بن حمود، والقاسم بن حمود، ويحيى بن علي بن حمود، أيام كان الأمر دائرا بينهم على ما تقدم ذكره؛ فلما زحف يحيى بن علي بالبرابر إلى قرطبة، وهرب القاسم بن حمود منها وقصد إشبيلية وقد كان ابناه محمد والحسن مقيمين بها اجتمع أمر أهل إشبيلية واتفق رأيهم على إخراج محمد والحسن عنها قبل وصول القاسم أبيهما؛ فأخرجوهما. وجاء القاسم فمنعوه دخول البلد أيضًا، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع إليه أمرهم وتجتمع به كلمتهم؛ فتوارد اختيارهم بعد مَخْض الرأي وتنقيح التدبير، على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي؛ لما كانوا يعلمونه من حصافة عقله، وسعة صدره، وعلو همته، وحسن تدبيره؛ فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك، فتهيب الاستبداد، وخاف عاقبة الانفراد أولًا، وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم رجالًا سماهم؛ لكي يكونوا له أعوانًا ووزراء وشركاء، ولا يقطع أمرًا دونهم، ولا يحدث حدثًا إلا بمشورتهم وهؤلاء المسمون هم: الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، ومحمد بن يريم الألهاني، وأبو الأصبغ عيسى بن حجاج الحضرمي، وأبو محمد عبد الله بن علي الهوزني، في رجال آخرين ذهبت عني أسماؤهم إلا أني أعرف قبائلهم وبيوتهم– ففعلوا ذلك وأجابوه إلى ما أراد. ولم يزل يدبر أمر إشبيلية, وهؤلاء المذكورون وزراؤه وكان له من الولد إسماعيل، وهو الأكبر، يُكنى أبا الوليد؛ وعباد, يكنى أبا عمرو؛ فأما إسماعيل فخرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه أمل في التغلب على ما كان البربر يملكونه من الحصون القريبة من إشبيلية، بعسكر من جند إشبيلية، فالتقى هو وصاحب صنهاجة؛ فأسلمت

إسماعيلَ عساكره، وكان أول قتيل، وقطع رأسه وسِير به إلى مالقة وبقي الأمر كذلك، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور أحسن تدبير، وكان صالحًا مصلحًا، إلى أن مات في شهور سنة 433هـ.

ولاية المعتضد بالله العبادي:

تولى المعتضد بن عباد، عقب وفاة والده القاضي محمد بن اسماعيل ابن عباد في سنة 433 هـ، كان من أبرز أعماله القضاء على مختلف الولايات البربرية الشرقية، والجنوبية الشرقية، وهي مورون وأركش ورندة. واستولى على الجزيرة الخضراء من يد أميرها القاسم بن حمود (446 هـ)، ثم استولى على قرمونة وأعمالها في سنة 459 هـ (1067 م) وبذلك تم القضاء على سائر الإمارات البربرية المتاخمة لإشبيلية من الشرق والجنوب الشرقي، وتم تأمين جناحها الدفاعي من هذه الناحية، ولم يبق في جنوبي الأندلس من الإمارات البربرية. سوى مملكة باديس في غرناطة ومالقة وحاول المعتضد في نفس الوقت أن ينتزع مالقة من باديس، وسير إليها قواته بالفعل تحت إمرة ولديه جابر والمعتمد، وكادت مالقة تسقط بالفعل في أيدي المهاجمين، ولكن باديس قدم في قواته مسرعاً، فانقلبت الآية وهزم جند إشبيلية هزيمة شديدة، وفشلت المحاولة (458 هـ) .

ثم ولي ما كان يليه بعده من أمور إشبيلية وأعمالها، ابنه أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، فجرى على سَنن أبيه في إيثار الإصلاح وحسن التدبير وبسط العدل، مدة يسيرة ثم بدا له أن يستبد بالأمور وحده وكان شهمًا صارمًا حديد القلب شجاع النفس بعيد الهمة ذا دهاء، فلم يزل يعمل في قطع هؤلاء الوزراء واحدًا واحدًا، فمنهم من قتله صبرًا، ومنهم من نفاه عن البلاد، ومنهم من أماته خمولًا وفقرًا،

إلى أن تم له ما أراده من الاستبداد بالأمر، وتلقب بـ المعتضد بالله وقيل: إنه ادعى أنه وقع إليه هشام المؤيد بالله، ابن الحكم المستنصر بالله وكان الذي حمله على تدبير هذه الحيلة ما رآه من اضطراب أهل إشبيلية، وخاف قيام العامة عليه؛ لأنهم سمعوا بظهور من ظهر من أمراء بني أمية بقرطبة، كالمستظهر، والمستكفي، والمعتد؛ فاستقبحوا بقاءهم بغير خليفة. وبلغه أنهم يطلبون من أولاد بني أمية من يقيمونه؛ فادعى ما ادعاه من ذلك، وذكر أن هشامًا عنده بقصره، وشهد له خواص من حشمه، وأنه في صورة الحاجب له المنفذ لأموره؛ وأمر بالدعاء له على المنابر. فاستمر ذلك من أمره سنين، إلى أن أظهر موته ونعاه إلى رعيته في سنة 455هـ واستظهر بعهد عهده له هشام المذكور فيما زعم، وأنه الأمير بعده على جميع جزيرة الأندلس ولم يزل المعتضد هذا يدوخ الممالك وتدين له الملوك من جميع أقطار الأندلس توفي الأمير المعتضد بن عباد في شهر جمادي الآخرة سنة (461هـ / 1069م) فتولى بعده ابنه المعتمد بن عباد , وكان عمره تسع وعشرين سنة حينما تولى الامارة وقد اضحت مملكة بني عباد في عهد الأمير المعتمد بن عباد , من أعظم ممالك الطوائف , فقد ضمت بلاد واسعة شملت المثلث الجنوبي لشبه الجزيرة الاندلسية التي تبدأ شمالاً , حتى نهر الوادي الكبير غرباً , وشواطئ المحيط الأطلسي , وبذلك اصبحت من اعظم الممالك من الناحية الاقتصادية والحربية .

وكان الأمير المعتمد بن عباد شديد الإسراف على نسائه , حتى قيل انه أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب , فعندما اكتملا جاء وزنهما سبعمائة مثقال , فأهدى الغزال إلى زوجته .

- قيام دويلتي بني ذي النون في طليطلة وبني الأفطس في بطليوس :

كانت طليطلة عندما سقطت الدولة الأموية في قرطبة سنة (422هـ / 1031م) بيد قاضيها أبو بكر الأسدي, واستعان بكبار رؤساء طليطلة وكان من بينهم عبد الرحمن متيوه, لكن عهد القاضي أبو بكر لم يستمر طويلا فأخرجه أهل طليطلة فقرر الخروج الى قلعة أيوب وتوفي فيها سنة(418هـ / 1027م) .

ولم يتغير هذا الوضع بقيام دويلة بني ذى النون، على أثر انهيار الخلافة، وتمزق الأندلس فظهرت دويلة بني ذي النون في طليطلة أما عن أصلهم فيرجع إلى جدهم إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون أصله من قبائل هوارة ورأس سلفه في الدولة المروانية وكانت لهم رياسة في شنترية ثم تغلب على حصن أفلنتين أزمان الفتنة سنة تسع وأربعمائة وكانت طليطلة ليعيش بن محمد بن

يعيش، واليها منذ أوّل الفتنة، فلما هلك سنة سبع وعشرين استدعاه إسماعيل الظافر من حصن أفلنتين بعض أجناد طليطلة فمضى إليها وملكها. وامتدّ ملكه إلى جنجالة من عمل مرسية ولم يزل أميرا بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين. وولي ابنه المأمون أبو الحسن يحيى، واستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه، وكانت بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة. وفي سنة خمس وثلاثين غزي بلنسية وغلب على صاحبها المظفّر ذي السابقين من ولد المنصور بن أبي عامر ثم غلب على قرطبة وملكها من يد ابن عبّاد وقتل ابنه أبا عمر بعد أن كان ملكها، وهلك الظافر بها مسموما سنة سبع وستين كما ذكرناه. وولي بعده على طليطلة حافده القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون يحيى بن ذي النون، وكان الطاغية بن أدفونش قد استفحل أمره لمّا خلا الجو من مكان الدولة الخلافية، وخفّ ما كان على كاهله من أمر العرب، فآلتهم البسائط وضايق ابن ذي النون حتى غلب على طليطلة فخرج له القادر عنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وشرط عليه أن يظاهره على أخذ بلنسية

لم يطل حكم الأمير اسماعيل في مملكة طليطلة , اذ توفي سنة 435هـ / 1043م , بعد حكم دام ثمان سنوات . فخلفه في الحكم ولده يحيى بن اسماعيلالذي تلقب بالمأمون , وقد اضحت مملكة طليطلة في عهده من اعظم ممالك الطوائف , من حيث الرقعة والموارد الاقتصادية, وقد استطال حكمه ثلاثة وثلاثين عاماً , حتى توفي سنة 467هـ / 1075م . ويقال توفي بسم شربة .

فخلفه يحيى ابن ذي النون الملقب بـ(القادر), والذي اصبح حكمه لها إيذاناً بتطورات خطيرة في مصير مملكة طليطلة , فكان على يده سقوط مملكة طليطلة بيد النصارى , بعد ان تنازل عنها الامير

القادر بن ذي النون سنة 478هـ / 1085م , بعد ان حاصرها ملك النصارى الفونس (الاذفونش) سبع سنين , وباستيلاء النصارى على مملكة طليطلة الذي تعد الثغر الأدنى والحاجز الذي يفصل النصارى عن بلاد الأندلس المسلمة ازدادوا قوتاً إلى قوتهم .

أما عن قيام دويلة بني الأفطس في بطليوس :

يعد عبد الله بن مسلمة بن الأفطس المؤسس الحقيقي لدويلة بني الأفطس وكان عبد الله بن الأفطس مع ذلك رجلا كثير المعرفة والدهاء، بعيد النظر، وافر الحزم والسياسة، فلما استولى على حكم هذه المنطقة الشاسعة بعد وفاة سابور، أبدى في ضبطها وإدارتها مقدرة وبراعة. بيد أنه كان يرقب حركات جاره من الجنوب القاضي أبى القاسم بن عباد ونمو قوته، في حذر وتوجس. ذلك أنه كان بالرغم من مناعة حاضرته بطليوس، ومناعة أسوارها وقصبتها الضخمة، فإن اتساع رقعة مملكته، وتباعد قواعدها الأخرى في الجنوب والشرق، كان يجعل من الصعب عليه الدفاع عنها إزاء أطماع جاره القوي. وسرعان ما بدأت تتحقق مخاوفه. ذلك أن القاضي ابن عباد انتهز قيام ثورة محلية في مدينة باجة، وقعت بين أهلها بسبب الرياسة، وسير إليها حملة بقيادة ولده إسماعيل، ومعه قوة من جند حليفه البرزالي صاحب قرمونة. وكان ابن الأفطس قد استطاع خلال تلك الفترة أن يحتل باجة بجنده، إذ هي أقرب إليه، وأكثر اتصالا بمنطقته من منطقة بني عباد، فهاجمت قوات إشبيلية المشتركة مدينة باجة، وحاصرت قوات ابن الأفطس، ووقع بينهما قتال عنيف انتهى بتمزيق قوات ابن الأفطس وأسر معظمها، وكان محمد بن الأفطس ولد المنصور بين الأسرى وأما ابن الأفطس، فقد شغل بقيام الثورة في أشبونة. أقصى ثغور مملكته ذلك أن عبد

الملك وعبد العزيز ابنى سابور، حينما توفي والدهما، واستولى ابن الأفطس على تراثه، غادرا بطليوس ولجأ إلى ثغر أشبونة، ثم ثار عبد العزيز واستولى على حكم المدينة، واستمر في حكمها بضعة أعوام. ولما توفي حل أخوه عبد الملك مكانه، ولكنه كان سيء الحكم والإدارة، فاختل النظام، وغلبت الفوضى، وكتب أهل أشبونة سراً إلى ابن الأفطس، أن يرسل إليهم والياً من عنده، فسير إليهم ولده محمداً في قوة كثيفة، ودخل محمد أشبونة دون صعوبة، ورأى عبد الملك بن سابور أن يذعن إلى التسليم، على أن يؤمن في نفسه وأهله وماله؛ فمنح ما طلب، وسمح له بأن يسير إلى حيث شاء، فقصد إلى مدينة قرطبة، واستأذن الوزير ابن جهور في الالتجاء إليها، فأذن له ودخلها بأهله وأمواله، ونزل دار أبيه سابور، وعاش هناك حتى توفي كان عبد الله بن الأفطس المنصور، خلال ذلك يمضي في تنظيم مملكته الشاسعة وفي تحصينها، وفي تقوية جيوشه وأهباته، وذلك كله توقعاً لعدوان بني عباد، ولاسيما بعد أن خلف المعتضد بن عباد أباه القاضي أبا القاسم في الحكم، وظهرت إمارات توثبه ونياته العدوانية. ثم توفي المنصور في جمادى الأولى سنة 437 هـ (1045 م) فخلفه ولده محمد بن عبد الله بن الأفطس وتلقب بالمظفر. وكان عالماً وفارساً شجاعاً، وقد عركته خطوب الحرب والأسر الذي عاناه. فسار في الحكم سيرة أبيه من العمل على ضبط النظام، والدفاع عن الثغور. وكان مثل أبيه يرى في بني عباد خصومه الأوائل، ويعمل على تقوية أهباته الدفاعية لاتقاء عدوانهم. وقد رأينا فيما تقدم، كيف دبر المعتضد بن عباد خطته للاستيلاء على إمارات الغرب الصغرى، وبدأ في ذلك بمهاجمة مدينة لبلة، وكيف أن المظفر بن الأفطس هرع إلى نجدة صاحبها ابن يحيى، وبعث بعض قواته من البربر لمهاجمة إشبيلية، وكيف حاول الوزير ابن

جهور عبثاً أن يحول بتدخله، ونصحه للفريقين، دون نشوب الحرب بينهما. وهكذا اضطرم القتال بين المعتضد وابن الأفطس، وعاث كل منهما في أراضي الآخر، وهزم ابن الأفطس أولا، ولكنه استأنف الكرة، واستطاع أن يوقع بالمعتضد هزيمة شديدة قتل فيها كثير من جنده (439 هـ – 1047 م) .

ثم تطورت الحوادث وساء التفاهم بين ابن عباد وابن الأفطس، حيث أبى أن يرد إلى حليفه القديم، ما ائتمنه عليه من أمواله وذخائره أيام الحرب، ولم يكتف ابن الأفطس بذلك بل أرسل قواته من الفرسان لمهاجمة لبلة، فاستغاث ابن يحيى بالمعتضد، فلبى دعوته وأرسل قواته، فاشتبكت مع خيل ابن الأفطس فمزقتهم وأفنتهم، واحتزت من رؤوسهم، نحو مائة وخمسين. وجهز المعتضد بعد ذلك قوة كبيرة على رأسها ولده إسماعيل ووزيره ابن سلام، وعبرت القوات العبادية نهر وادي يانة، وتوغلت في أراضي ابن الأفطس شمالا، حتى مدينة يابُرة، وحشد ابن الأفطس في الوقت نفسه سائر قواته، واستعان بقوة بعثها إليه حليفه إسحق بن عبد الله البرزالي تحت قيادة ولده المعز، والتقى الفريقان دون أهبة ولا نظام على مقربة من يابرة، فهزم ابن الأفطس وفشا القتل في جنده، وقتل المعز بن إسحق، وحز رأسه وأرسل إلى إشبيلية

أما عن عهد دويلة بني الأفطس في زمن المنصور بن الأفطس يبدأ حكمه حتى ثار به أخوه عمر، وكان يرى نفسه أحق منه بالملك والحكم. وكان عند وفاة والده المظفر حاكماً لمدينة يابرة وما إليها، فنهض لمناوأة أخيه. واستمر النزاع بينهما بضعة أعوام حتى تفاقم ولجأ عمر إلى معاونة المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، واتجه المنصور إلى معاونة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، واضطرمت الفتنة، وكادت تدمر كل شيء، لولا أن توفي يحيى المنصور فجأة سنة(

464 هـ /1072 م)، فخمدت الفتنة ودخل عمر بطليوس، وتولى الحكم مكان أخيه دون منازع، وتلقب بالمتوكل على الله، وندب ابنه العباس حاكماً لياربرة وكان المتوكل بن الأفطس من أشهر ملوك الطوائف وأبقاهم ذكراً، وهو لم يشتهر بحروبه وأعماله السياسية، وإنما اشتهر بعلمه وأدبه وشعره، وبلاطه الزاهر، الذي كان جامعة أدبية أكثر منه قصراً ملوكياً .

وكان المتوكل ملكاً عالي القدر، مشهور الفضل، مثلا في الجلالة والسرو، من أهل الرأي والحزم والبلاغة، وكانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم " .

- قيام دويلة بني حمود الجزيرة الخضراء ومالقة :

كان للجزيرة الخضراء دوراً بارزا , وبدأ دورها اكثر وضوحاً منذ سقوط الحجابة العامرية سنة 399هـ / 1008م و بسقوط الحجابة العامرية وضعف الخلفاء الذين تولوا زمن الفتنة , الذين لم يكن لهم دور في حسم الأمور , وارجاع الخلافة على ما كانت عليه , وقد بدأ نجم بني حمود يظهر في الأفق , ولا سيما في خلافة سليمان بن الحكم المستعين (403 – 407هـ / 1013 – 1016م) فقد كانت للجهود التي بذلها بني حمود في خدمة الخليفة سليمان المستعين احد اسباب

اختيار القاسم بن حمود والياً على الجزيرة الخضراء , إذا ادرك الخليفة المستعين ان الجزيرة الخضراء تعد باب الأندلس من جهة العدوة.

الا ان الخطأ الكبير الذي ارتكبه الخليفة المستعين تقسيم الأندلس الذي اذهب دولته وحياته , هو توليه لبني حمود , برغم النصح الذي قدمه له قادته ورجال دولته , ومنهم عبد الله بن محمد البرزالي فقال له : (يا امير المؤمنين بلغني انك وليت بني حمود العلويين على المغرب قال نعم له اليس العلويين طالبيين قال نعم وقال تأتي إلى خشاش تردهم ثعابين قال نفذ الأمر في ذلك) .

بدأ عهد بني حمود في الجزيرة الخضراء منذ سنة (403هـ / 1013م), الا ان طموح بني حمود لم يقف إلى هذا الحد , فقد استطاع علي بن حمود الذي كان والياً على سبتة من قبل الخليفة سليمان المستعين من العبور من المغرب إلى الأندلس وقتل الخليفة المستعين مستولياً بذلك على الخلافة في قرطبة سنة (407هـ / 1016م).

أما الجزيرة الخضراء فقد ضلت تحت حكم القاسم بن حمود , بالرغم من توليه الخلافة خلفاً لأخيه الخليفة علي بن حمود الذي لم يستمر حكمه طويلاً , فقد لقي مصرعه على يد بعض خدمه من الصقالبة وذلك سنة (408هـ / 1017م) , غير ان الخليفة القاسم بن حمود الذي تلقب المأمون , لم يهنأ بالخلافة , فقد نازعه ابن اخيه يحيى بن علي بن حمود , وأعلن الثورة ضد عمه مطالباً بأحقيته بالخلافة خلفاً لوالده وتمكن يحيى بن علي بن حمود النجاح بثورته على عمه الخليفة القاسم بن حمود , فزحف نحو الجزيرة الخضراء التي بها ذخائر عمه وأمواله واسرته فاستولى عليها واعتقل ابناء عمه محمد والحسن, اللذان اوكل بهما ابي الحجاج رجل من المغاربة , ثم زحف يحيى بن علي متجهاً إلى قرطبة وتمكن من دخولها سنة 412هـ / 1021م إلا أن الجزيرة

الخضراء عادت مرة أخرى إلى حوزة الأمير محمد بن القاسم ابن حمود, الذي استطاع الهروب من قبضة ابن عمه الخليفة يحيى المعتلي ففر من سجنه وبايعه الجند السودان واتباع ابيه , وبالفعل استطاع الاستيلاء على الجزيرة الخضراء سنة(414هـ / 1023م) . إلا انه لم يتخذ لقب الخلفاء في اوائل عهده بايعته البربر من المغاربة وتلقب بالمعتصم وبالمهدي وذلك بعد وفاة الخليفة ادريس المتأيد الذي تولى الخلافة خلفاً لأخيه الخليفة يحيى المعتلي سنة (427هـ / 1035م) .

واستمر عهد ابن القاسم على حكم الجزيرة الخضراء حتى وفاته سنة(440هـ / 1048م) , وخلفه في حكمها ابنه القاسم بن محمد الملقب بالواثق واستمر حكمه فيها حتى استطاع الأمير المعتضد بن عباد من الاستيلاء عليها وضمها إلى ممتلكاته , وذلك سنة(446هـ / 1054م) وبهذا انقرض من حكم بني حمود في امارة الجزيرة الخضراء بعد حكم دام ثلاثة وأربعين عاماً .

أما عن قيام دويلة مالقة:

ظهرت دويلة بني حمود في مالقة في نهاية سنة(406هـ/1016م) ، وقد تعاقب عليها أمراء بني حمود في حكمها ،

وكان أولهم علي بن حمود ، ثم قتل سنة(408هـ/1017م) ، فخلفه في حكمها ولده الخليفة يحيى بن علي الذي ثار على عمه الخليفة القاسم بن حمود ، واستولى على الخلافة وتسمى بالمعتلي وذلك سنة(412هـ/1021م) .

وفي جمادى الثانية سنة 431 هـ بويع حسن بن يحيى بالخلافة في مالقة ، وتلقب بالمستنصر بالله، واعترفت بطاعته غرناطة وغيرها، وعهد بتدبير الأمور إلى الوزير أبي جعفر بن بقنة، وعهد إلى الحاجب نجا بحكم الثغور المغربية. وكان حسن أميراً حازماً، قوي النفس، فنظم الإدارة، واستكثر من الجند، وجبى الأموال. واستراب بوزيره أبي جعفر، وكان يسر له نصرته ليحيى، فدبر مقتله، وذلك في يوم عيد الفطر سنة 433 هـ ، ثم أمر بقتل يحيى القاسم، فقتل في ربيع الثاني سنة 434 هـ. وكانت أخته زوجة للمستنصر، فما لبثت أن دبرت مقتله انتقاماً لأخيها، وهلك حسن بالسم في جمادى الأولى سنة(434 هـ/ 1042 م) .

وعلى أثر ذلك توجه الحاجب نجا على أثر وفاة المستنصر، وعبر البحر في قواته من سبتة إلى الجزيرة؛ وهنا يقال إنه نهض ليؤيد دعوة ولد الخليفة المتوفي، ويقال من جهة أخرى إنه نهض ليستخلص تراث الحموديين لنفسه، بعد أن اضطربت شؤونهم. وسار نجا إلى الجزيرة وفيها ابنا القاسم بن حمود، فخرجت إليه أمهما سبيعة، وعنفته على مسلكه وعدم ولائه لسادته، فاستحى منها، وغادر الجزيرة ميمماً شطر مالقة وكان معظم جنده من قبيلة برغواطة البربرية، أخوال حسن بن يحيى، فاستربوا منه ومن مقاصده وائتمروا به، وقتلوه في الطريق. ثم ساروا إلى مالقة، وكان حسن بن يحيى أيام خلافته قد قبض على أخيه إدريس، وزجه إلى السجن ليأمن منافسته. فأخرجه الجند من سجنه

وبويع بالخلافة. وتلقب بالعالي، وذلك في جمادى الثانية سنة 434 هـ (يناير سنة 1043 م)، وأطاعته البربر في غرناطة وقرمونة وجيان وغيرها.

وفي سنة(449 هـ /1057 م)، سار باديس في قواته إلى مالقة، واستولى عليها وضمها إلى إمارته، وغادرها المستعلي، وسار إلى المرية، ثم عبر منها البحر إلى مليلة فقبله أهلها حاكماً عليهم، واستمر بها حتى توفي سنة 456 هـ (1064 م) والمستعلي هو آخر من حكم في مالقة من أمراء بني حمود .

- **قيام دويلة بني زيري في غرناطة:**

بدأ عهد بني زيري في مملكة غرناطة منذ سنة(403 هـ / 1012 م) ، حيث جعلها عاصمته ودار سلطانه ، وكانت الظروف التي مرت بها الأندلس والنزاع على الخلافة بين رجال الأسرة الأموية فيما بينهم ، فالإضافة إلى الكراهية التي يكنها اهل الأندلس للبربر ، وبغضهم لجنسهم ، أحد الاسباب التي دعت بزاوي بن زيري بالتفكير بالعودة إلى بلاد المغرب وذلك سنة(410 هـ / 1019 م)

كانت دويلة غرناطة قد بلغت ذروة قوتها في عهد ملكها باديس بن حبوس الصنهاجي، وكان باديس قد رشح ولده بلقين للأمر من بعده ولقبه سيف الدولة، ولكنه توفي بالسم في حادث غامض. وفي خلال ذلك كان النضال مستمراً بين المعتضد بن عباد وبين البربر، وقوة باديس تضعف شيئاً فشيئاً. فلما توفي باديس في سنة(465 هـ /1073 م)، خلفه في حكم غرناطة حفيده عبد الله بن بُلُقِّين، وفي حكم مالقة حفيده تميم، ولم يمض على وفاته سوى عام، حتى سار المعتمد بن عباد في قواته إلى جيان، أهم قواعد مملكة غرناطة الشمالية واستولى عليها (466 هـ / 1074 م) ولم يبق من مملكة غرناطة سوى العاصمة

ورباضها، فقرر أمير غرناطة في الاستعانة بالممالك النصرانية، وتوصل بواسطة المأمون بن ذي النون، إلى أن يعقد مع الفونسو السادس ملك قشتالة، معاهدة صداقة وتحالف، يتعهد فيها بدفع الجزية. وحدث في نفس الوقت أن ظفر المأمون بن ذى النون، بانتزاع قرطبة من ابن عباد (467 هـ/1075م)، فكانت هزيمة المعتمد، سبباً في انقشاع الخطر نوعاً عن غرناطة .

وخرج عبد الله بن بلقين بعد ذلك في قواته ومعه سرية من حلفائه النصارى، وأغار على أراضي ابن عباد، وعاث فيها، واستطاع أن يسترد حصن قبرة القريب من جيان وأن المعتمد لم يقف مكتوفاً إزاء هذه الحركة، فاتجه بدوره إلى النصارى، وأرسل وزيره الشهير أبا بكر بن عمار إلى ملك قشتالة الفونسو السادس، فعقد معه حلفاً دفع مقابل عقده خمسين ألف دينار ويقضي هذا الحلف بأن يتعاون المعتمد والفونسو السادس، على افتتاح غرناطة، وأن تكون المدينة ذاتها للمعتمد، وأن تكون ذخائر القلعة الحمراء لالفونسو. وظهر أثر هذه المعاهدة على الفور، إذ عمد النصارى إلى تخريب بسائط غرناطة، ولاسيما أراضي مرجها الشهير .

– قيام دويلتي بني خزرون في أركش وموروز:

بنو خزرون في أركش:

وهي من الإمارات البربرية الصغيرة وزعيمهم أبو عبد الله محمد بن خزرون المتغلب على أركش في سنة 402 هـ واستمر في حكمها حتى وفاته سنة 420 هـ/1029 م فأعقبه ولده عبدون ولده الأمير عبدون بن خزرون بوصية من ولده فبايعه البلاد المجاورة لإمارة أركش وقلشانة وشريش ، فأقام ملكاً إلى أن قتل في الكمين الشائن الذي استدرجه اليه الأمير المعتضد بن عباد، وكان ذلك سنة

445هـ/1053م وآخرون من هذه الأسرة حتى سقوطها في يد بني عباد سنة 461 هـ/1068 م لينتهي عهدهم .

دويلة بني دمر في مورور أو مورون:

وهي ثالث الإمارات البربرية في تلك المنطقة من الأندلس الجنوبية، هي إمارة بني دمر في مورور وكانت تشغل رقعة صغيرة تمتد حول مدينة مورور، وجنوباً حتى وادي لكه وقام بها أيام الفتنة نوح بن أبي تزيري الدمري زعيم بني دمّر. وقد كان بنو دمر من بربر تونس ومن بطون زناتة، وهم خوارج إباضية وفد جدهم أبو تزيري إلى الأندلس أيام المنصور، وخدم كسائر زملائه الزعماء البرابرة في الجيش، وانحاز منذ أيام الفتنة إلى تلك المنطقة، واستقر بها وبسط عليها سلطانه. ولما توفي في سنة 403 هـ (1013 م) خلفه ولده نوح بن أبي تزيري، واستمر في حكمها زهاء ثلاثين عاماً، ثم توفي سنة 433 هـ (1041 م) فخلفه ولده محمد بن نوح. وكان محمد فتى غراً، وجندياً جاهلا، خلواً من الفضائل. بيد أنه كان مقداماً جسوراً، وافر العنف والفتك وكان حديث عهد بالإمارة، فاستبد وبغى وتلقب بعز الدولة، واستطاع بجرأته وصرامته، أن يحافظ على سلطانه وعلى أراضيه وكان المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية ينظر بعين السخط إلى قيام تلك الإمارات الصغيرة بجوار مملكته القوية الشاسعة، ويعمل الفكرة في إزالتها، وكان حسبما تقدم يصانع أولئك الأمراء البربر أحياناً ويهاجمهم أحياناً أخرى ، فأغارت قواته على أراضي مورور، واستقبل محمد بن نوح هذا العدوان بالحلم والصبر، ولم يقابله بمثله وجنح المعتضد بعد ذلك إلى مصانعة ابن نوح، واستمالته بالصلات والهدايا، كما فعل ذلك مع زميليه، أبى نور صاحب رندة، وعبدون بن خزرون صاحب أركش، ثم دعاهم وصحبهم كما تقدم إلى زيارته في إشبيلية، ثم قبض عليهم وغدر

بهم، وهلك في ذلك الكمين الخائن الذي رتبه المعتضد في سنة (445 هـ/ 1053 م) محمد بن نوح وابن خزرون وقيل أن محمداً بن نوح لبث في معتقل المعتضد حتى توفي سنة (449 هـ 1057 م).

فخلفه على الإمارة ولده مناد بن محمد بن نوح، وتلقب بعماد الدولة، وسار على سنة أبيه من الصرامة والحزم، وقصده البربر من إشبيلية وأستجة وزادت جموعه، واستمر محافظاً على سلطانه، والمعتضد بن عباد يكرر الإغارة على أراضيه، ويحرق بلاده وزروعه، ويرهقه بطريقة قاسية منظمة. فلما ضاق بهذا العدوان المستمر، ولما شعر في النهاية أنه عاجز عن الدفاع عن إمارته، كتب إلى المعتضد، يسأله الأمان والمسالمة على أن يسلمه أراضيه، ويخرج إلى إشبيلية، يعيش فيها تحت كنفه، فأجابه المعتضد إلى رغبته، وسلم إليه عماد الدولة حصن مورور، وما يتبعه من حصون وأعمال، وذلك في سنة(458 هـ/ 1066 م)، وانتهت بذلك مملكة بني دمّر الصغيرة، وأضيفت إلى أعمال مملكة إشبيلية الواسعة وسار عماد الدولة إلى إشبيلية في أهله وأمواله، وبالغ المعتضد في إكرامه والتوسعة عليه، وعاش هناك حتى توفي في سنة(468 هـ/ 1075 م) .

– قيام دويلتي بني يفرن في رنده ودويلة قرمونة:

دويلة بني يفرن في رندة:

تعد دويلة بني يفرن من أعظم بطون زناتة .

وكان الأمير هلال بن أبي قرة اليفرني ، مؤسس إمارة رندة في الأندلس، فعندما اضطربت أحوال الأندلس، وانفراط عقد الخلافة الأموية في الأندلس، استقر بنو يفرن في ولاية تاكرتة ، واتخذوا من حصن رندة معقلاً لزعامتهم.

وفي سنة 445 هـ، دبر المعتضد كمينه لأولئك الأمراء، فدعاهم إلى زيارته بإشبيلية، فلبى الدعوة ثلاثة منهم هم أبو نور بن أبي قرة صاحب رندة، ومحمد بن نوح الدمَّري صاحب مورور، وعبدون بن خزرون صاحب أركش، وقد ساروا إلى إشبيلية في أحسن زي، وأفخم مظهر، ومعهم نحو مائتي فارس من رؤساء قبائلهم. فاستقبلهم المعتضد أحسن استقبال، وأنزل الأمراء بقصر من قصوره، وفي اليوم الثالث استدعاهم إلى مجلسه، وأخذت يؤنبهم على تقصيرهم في محاربة أعدائه، ولما هموا بالرد أمر بالقبض عليهم، وتكبيلهم بالأغلال، ووضعهم في السجن فرادى، واستولى على سائر متاعهم وخيلهم وسلاحهم؛ وبعد مدة من اعتقالهم، أمر بإدخالهم في الحمام، وبناء منافذه، وإضرام النار فيه حتى هلكوا، ويقال إنه أطلق ابن أبي قرة .

واستمر عهد هلال اليفرني حتى سنة (449هـ /1057م)، فخلفه ولده الأمير أبي نصر فتوح ، وبايعت له كل من رية ورندة وحكم إلى أن قتل على يد رجل من عمومته سنة 457هـ/1065م)، بذلك ينتهي عه بني يفرن في إمارة رندة لحكم دام لأكثر من عشرين عاماً .

- **دويلة بني برزال في قرمونة :**

خضعت مدينة قرمونة لبني برزال منذ أيام الخليفة هشام المؤيد ، وقبل إنهيار الحجابة العامرية وانفراط عقد الدولة العربية الإسلامية في

الأندلس، بيد حاكمها أبي عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي، وهم من البربر الذي ينتمون إلى بطن من بطون زنانة من بني يفرن .

ومن الجدير بالذكر فقد كان بنو برزال مستقرين بالمغرب بأرض المسيلة والزاب الأسفل، وكانوا من الموالين للدولة الأموية في الأندلس ضد خصومهم الفاطميين في المغرب، وقبائل زنانة وحلفائها ، والهزائم التي منيت بها زنانة على يد صنهاجة ، واشتداد وطئتها على بنو برزال الزناتيين ، فكتبوا إلى الخليفة الحكم المستنصر بالسماح لهم بالجواز إلى الأندلس، فأذن لهم بالجواز، ومنذ ذلك الحين أصبح بنو برزال في جيش الخلافة الأموية في الأندلس وطيلة أيام الحكم العامري، حتى انفراط عقد الأندلس وسقوطها بيد أمرائها الجدد الذي أطلق عليهم أمراء الطوائف .

استقر بنو بزال في مدينة قرمونة واستجة وحصن المدور، وخاضوا شأنهم شأن البربر من البطون الأخرى غمار الفتنة ، ودعا أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي، لنفسه في قرمونة ؛ وذلك سنة (404هـ/1013م)

ولما انتهى ملك بني حمّود من قرطبة ودفع أهلها القاسم المأمون عنهم سنة أربع عشرة وأربعمائة أراد اللحاق باشبيلية، وبها نائبة محمد بن أبي زيري من وجوه البربر، بقرمونة عبد الله بن إسحاق البرزالي فداخلهما القاضي ابن عبّاد في خلع طاعة القاسم، وصدّه عن العملين فأجابا إلى ذلك. ثم دسّ للقاسم بالتحذير من عبد الله ابن إسحاق فعدل القاسم عنهما جميعا إلى شريش، واستبد كل منهم بعمله. ثم هلك عبد الله من بعد ذلك، وولي ابنه محمد وكانت بينه وبين المعتمد بن عباد حرب، وظاهر عليه يحيى بن علي بن حمود في منازلة إشبيلية سنة (418هـ / 1028م) ثم اتفق مع ابن عبّاد بعدها وظاهره على عبد الله

الأفطس. وكانت بينهما حرب كانت الدائرة فيها على ابن الأفطس. وحصل ابنه المظفّر قائد العسكر في قبضة محمد بن عبد الله بن إسحاق إلى أن من عليه ذلك وأطلقه. ثم كانت الفتنة بين محمد ابن إسحاق وبين المعتضد وأغار إسماعيل بن المعتضد على قرمونة في بعض الأيام بعد أن كمن الكمائن من الخيّالة والرجل، وركب إليه محمد في قومه فاستطرد له إسماعيل إلى أن بلغوا الكمائن فثاروا بهم وقتلوا محمدا البرزالي وذلك سنة(434 هـ/)وولي ابنه العزيز بن محمد وتلقّب بالمستظهر مناغيا لملوك الطوائف لعهده. ولم يزل المعتضد يستولى على غرب الأندلس شيئا فشيئا إلى أن ضايقه في عمل قرمونة، واقتطع منه أسجه والمورور ثم انخلع له العزيز عن قرمونة سنة (459هـ/ 1067م) ونظمها المعتضد في ممالكه، وانقرض ملك بني برزال من الأندلس.

: الجانب الحضاري في عصر دويلات الطوائف:

شهد هذا العصر اهتماما ثقافيا أوسع وأشمل من الاهتمام بالجوانب العمرانية بسبب الصراعات المستمرة بين ملوك دويلات هذا العصر .

أولا –الجانب الثقافي وينقسم إلى :

1– اهتمامهم بجوانب الأدب:

اهتم أمراء الطوائف بالأدب العربي ، وعلى الرغم من الفرقة السياسية التي ضربت أطنابها ببلد الأندلس خلال هذه الفترة، لكن رافقها نشاط الحركة العلمية والأدبية وذلك لرعاية ملوك الطوائف العلماء والأدباء، ولأن معظمهم كان من رجال الأدب، فبذلك غدت قصورهم منتديات أدبية ومجامع حقة للعلوم والفنون وبما أن الأندلس لم تكن دولة موحدة في هذه الفترة. ونظراً لتعدد أمرائها وتفاوتهم في رعاية الحركة الأدبية، فسوف نشير إلى أهم ممالك الطوائف التي رعت الحركة الأدبية في المقدمة تأتي مملكة بني عباد في إشبيلية فقد كان المعتضد وابنه

المعتمد من رواد الحركة الأدبية ولهم أشعارهم المختارة وعاش في ظلهما أشهر شعراء هذه الفترة أبو بكر بن عمار وابن زيدون ويأتي بعدهما شاعران مشهوران هما أبو بكر بن اللبانة وابن حمديس الصقلي .

أما في المرية فقد نشطت الحركة الأدبية ، فبالإضافة إلى نبوغ ولاة الأمر فيها بالشعر وهم أسرة بني صمادح، فعاصرهم ومدحهم أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز، وأبو الفضل جعفر بن شرف القيرواني، وأبو حفص بن الشهيد وغيرهم وكان ملوك بطليوس وهم بنو الأفطس من حماة الأدب والشعر، ومن أشهر الشعراء الذين عاشوا في كنفهم، الوزير الشاعر عبد المجيد بن عبدون، الذي اشتهر بمرثيته لبني الأفطس (القصيدة العبدونية) وبنو القبطرنة الثلاثة، ومن أشهر كتابهم أبو بكر بن قزمان .

كما اهتمت مملكة سرقسطة في الحركة الأدبية والعلمية والفلسفية، وكان في مقدمة الشعراء الذين احتضنتهم هذه المملكة هو أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي ورعى مجاهد العامري أمير مملكة دانية والجزائر الشرقية الحركة الأدبية، وأحاط نفسه بعدد ضخم من الأدباء والشعراء، ومن أشهرهم، أبو عامر أحمد بن شهيد، وأحمد بن رشيق وأبو حفص أحمد بن برد وغيرهم، أما في الممالك الأخرى فكانت رعايتها للحركة الأدبية أقل مما ذكرنا عن هذه الممالك، وبعضها لم يذكر لها شهرة أدبية .

لكن عموماً يمكن القول أن اتجاهات أدبية جديدة ظهرت في هذا العصر وبخاصة في الشعر مثل: شعر الرثاء، مثله عبد المجيد بن عبدون، والشعر الفلسفي الذي مثله ابن حزم، وعبد الجليل بن وهبون المرسي، وشعر الزهد يمثله ابن الريوالي الفقيه وأحمد الإقليشي، وأبو

بكر العبدري وغيرهم. وشعر الغزل الذي شاع في هذا العصر نظراً لضعف الوازع الديني، والتحلل من القيم الخلقية، ومثل هذا الاتجاه السراج المالقي شاعر بني حمود، وابن الحداد، وابن زيدون وغيرهم، والشعر الشعوبي الذي مثله أبو عامر أحمد بن غرسية الذي عاش في مملكة دانية. وشعر النكبات، والذي صور نكبة بربشتر بصورة خاصة في منطقة الثغر الأعلى عندما احتلها النورمان عام 456 هـ وعاثوا فيها فساداً .

2 – اهتمامهم بالعلوم الدينية :

ازدهرت العلوم الدينية وبخاصة في بلاط بني صمادح حيث كان المعتصم بن صمادح وغيره يعقدون مجالس الفقهاء في كل جمعة ويتدارسون كتب التفسير والحديث ، ورعت مملكة دانية العلوم القرآنية وكان رائدها شيخ القراء أبا عمرو الداني ، وتزعم الدراسات الفقهية العالمان أبو محمد علي بن حزم وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي داعياً توحيد الأندلس في أيام الطوائف ، وكان من رواد الدراسات النحوية العلامة اللغوي أبو الحسن علي بن سيده (توفي عام 458 هـ) صاحب كتاب (المحكم).

3– اهتمامهم بالعلوم الاجتماعية (التاريخ والجغرافية) :

وكان من أبرز من مثل هذا الجانب ابن حيان الأندلسي صاحب كتاب المقتبس، والعالم ابن حزم صاحب كتاب (جمهرة أنساب العرب) و (كتاب نقط العروس) ، والعالم أبو عمر يوسف بن عبد البر الذي ألف كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، وكتاب (الدرر في اختصار المغازي والسير). وكان رائد الدراسات الجغرافية في عصر الطوائف أبا عبيد البكري (ت: 487 هـ) وهو صاحب كتاب (المسالك والممالك) وكتاب (معجم ما استعجم).

4 – اهتمامهم بالعلوم العقلية:

ويأتي في مقدمة أمراء الطوائف الذين اهتموا بهذا الجانب المقتدر بن هود وولده المؤتمن أمير سرقسطة، حيث كانا من العلماء البارزين في الرياضيات والفلك والفلسفة وكان العالم أبو الفتوح ثابت بن محمد بن الجرجاني مشرقي المنبت، رحل إلى الأندلس عام 406 هـ وعاش في ظلال مملكة دانية، واشترك في عملية فتح سردانية اشتهر بالفلسفة والفلك والمنطق واشتهرت بلنسية بطبيبها أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي (توفي عام 456 هـ) وفي مجال الرياضيات وعلم الفلك، فكان من أشهرهم أبو إسحاق بن إبراهيم بن يحيى الزرقالي صاحب الجداول الفلكية الشهيرة (توفي عام 480 هـ)، وأبو القاسم أصبغ بن السمح الغرناطي (توفي عام 438 هـ) وكان بارعاً في الهندسة والفلك واشتهر أبو عبد الله بن أحمد السرقسطي (توفي عام 488 هـ) بعلم الأعداد والهندسة والنجوم . أما إسحاق بن قسطار، فكان يهودياً يعمل في خدمة مجاهد العامري. فكانت له خبرة جيدة بالطب وبعلم المنطق والفلسفة .

5 – اهتمامهم بالمكتبات :

ازدهرت في هذا العصر المكتبات العامة والخاصة التي شملت أنفس وأجود أنواع الكتب، فقد رعت مملكة إشبيلية هذه الظاهرة وكذلك مملكة المرية، ومملكة بطليوس وطليطلة. وأشهر مكتبة خاصة كانت تعود إلى الوزير أحمد بن عباس وزير زهير العامري ، واشتهرت مكتبة أبي محمد عبد الله بن حيان بن فرحون الأروشي (توفي عام 487 هـ) في مدينة بلنسية، وكانت له همة عالية في اقتناء الكتب .

6– اهتمامهم بعلم الفلسفة:

نشطت الحركة الفلسفية في هذا العصر وبشكل خاص بعد دخول رسائل إخوان الصفا على يد أبي الحكم الكرماني (توفي عام 458 هـ) فوجدت في شبه الجزيرة إقبالاً كبيراً. ومن الذين كان لهم حس فلسفي في عصر الطوائف ابن حزم الظاهري، الذي أحدث في الأندلس دوياً علمياً هائلاً بمذهبه الظاهري ومناظرته الفقهاء وأهل الأديان، وكان كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه إلا أن علم الفلسفة كان من العلوم الممقوتة في الأندلس على أيام الطوائف، ولا يستطيع صاحب هذا العلم إظهاره. وقد أحرق المعتضد أمير إشبيلية كتب ابن حزم الظاهري إرضاءً للمالكية وعلى رأسهم أبو الوليد الباجي وكان لابن حزم تلاميذ عاشوا بعده وورثوا بعض علمه، ومنه الحس الفلسفي، ومن أشهرهم ولده (أبو رافع الفضل)، الذي اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد.

ويبدو لنا من هذه الرواية أن المعتضد لم يحرق كتب ابن حزم كلها لأن أبا رافع هذا كان من رجال ولده المعتمد واستشهد في معركة الزلاقة عام 479 هـ، وإن اضطهاد المعتضد لهذا العالم لم يكن في أغلب الظن علمياً بقدر ما هو اضطهاد سياسي وهناك من لازم ابن حزم وأكثر الأخذ منه دون أن يتظاهر بذلك أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (توفي عام 488 هـ) صاحب كتاب (جذوة المقتبس)، ومن تلاميذه أيضاً الراضي بن المعتمد الذي أشرف على المذهب الظاهري وبرع في الأصول ، ويبدو أن الفتن التي عصفت بملوك الطوائف شغلت ملوك قرطبة عن تعقب الفلاسفة ومحاكمتهم، ومع ذلك فقد بيعت المكتبات العامة والخاصة التي كانت تزين قصور قرطبة بأبخس الأثمان وتناولها الناس وقرأوا منها بعض بحوث الفلسفة. ولما أمن

الناس أظهروا ما لديهم في الفلسفة من كتب وأخذوا يهتمون بالعلم الرياضي وصناعة المنطق، وكان المعتمد نفسه يصدق بالتنجيم .

ثانيا – الجانب العمراني :

أبرز ما يميز هذا الجانب هو **(قصر الجعفرية)** :

وهو قصر المقتدر بن هود وهو المسمى بقصر " الجعفرية "، نسبة إلى كنيته ، وهي " أبو جعفر "، من أعظم وأفخر القصور الملكية في ذلك العصر، وقد اشتهر في تاريخ الفن الإسلامي باسم " دار السرور "، وكان أروع ما فيه بهوه الرائع الذي زينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعة، والذي كان يسمى لذلك بالبهو الذهبي، أو مجلس الذهب.

وفيه يقول منشؤه المقتدر:

قصر السرور ومجلس الذهب بكما بلغت نهاية الطرب

لو لم يحز ملكي خلافكما لكان لدي كفاية الأرب .

ولما سقطت سرقسطة في يد الإسبان شوهت معالم هذا القصر البديع، وأدخلت فيه تعديلات وتغييرات عديدة قضت على محاسنه وزخارفه العربية. وما زالت بقاياه الدارسة تقوم حتى اليوم في قلب مدينة سرقسطة باسم قصر الجعفرية ، ولم يبق من بنائه الإسلامي سوى بقية مشوهة من مسجده السابق.

قصر الجعفرية في سرقسطة

- **السمات السلبية والايجابية لدويلات الطوائف:**

تميز هذا العهد بعدة سمات منها إيجابية و أخرى سلبية :.

أهم السمات السلبية :

1. تمزق وحدة الأندلس حيث أصبحت الأندلس مقسمة إلى عدة دويلات ، يحكم تلك الدول وزير سابق أو قائد عسكري أو زعيم قبلي متنفذ وتصبح الدولة له و لعائلته تسانده قوة عسكرية مؤلفة من أتباعه ومن المرتزقة الذين يجلبهم من مختلف البلاد ومن أجل الحفاظ على ملكه .

2. كان حكام الدول همهم مصالحهم الشخصية على مصالح أهل الأندلس أي الاهتمام المحافظة على ملكيتهم من المدن التي تغلب المصلحة الشخصية على المصلحة الوطنية لذلك عاشت الأندلس في عهد هؤلاء فترة مظلمة . حيث نلاحظ أن سقوط المدن الرئيسية بدأت تسقط بيد المماليك الاسبانية مثال على ذلك طليطلة سنة (478 هـ) حيث أرسل الأمير (حسام الدين) حاكم مدينة شنترين هدية إلى الفونسوا السادس لسيطرته على مدينة طليطلة لأنها كانت تحت حكم بني ذنون .

3 ـ حدثت معارك طاحنة بين دويلات الطوائف في سبيل ضم مناطق جديدة إلى منطقة نفوذه بغض النظر عن الاهتمام بأموال الناس تحت حكمهم لذلك دخلت الأندلس بحروب دائمة وأدى ذلك إلى ظهور الفقر و المجاعة لأن هؤلاء كان همهم اختلاس الأموال وليس اهتمامهم نحو مصالح الناس الاقتصادية و الزراعية والتجارية .

4ـ لجوء أغلب حكام دويلات الطوائف إلى الممالك الاسبانية من أجل الحصول على المساعدة منهم ضد أخوانهم المسلمين في دويلات المدن الأخرى و التنازل لهم عن مناطق أندلسية مهمة لذلك عمل حكام الممالك على زيادة النزاع بين الحكام في تلك المدن من أجل أن يطلبون المساعدة منهم وسيحصلون منهم الأراضي ويضيفونها إلى ممالكهم .

5ـ رفض أهل الذمة من اليهود و النصارى دفع الجزية لحكام الممالك ودويلات الطوائف و ذلك استصغارهم لحكام تلك الدويلات .

6ـ عمل اليهود على تحريض العامة على القيام بثورات عديدة ضد حكام الدويلات من أجل اضعافهم وفعلا عمل اليهود على ذلك و منهم إسحاق ابن باروخ الذي كان منجما عند المعتمد بالله حاكم اشبيلية حيث عمل على تأجيج الوضع ضد المعتمد بالله .

7ـ ظهور عدة خلفاء في وقت واحد حيث و هذا الوضع يرثى له في وقت واحد يوجد أربعة خلفاء .

8 ـ اطلاق حكام الدويلات الطوائف ألقاب عالية ذات معنى سياسي وديني وعسكري تجسد كلها شخصية الحاكم ، مع العلم أن هؤلاء لا يستحقون تلك الألقاب لأنهم لم يقدموا لأهل الأندلس أي شيء سوى الضعف و التدهور الذي مرت به الأندلس من هذه الألقاب : المأمون ، المستكفي ، المعتصم بالله .

أما عن سمات عهد الطوائف الإيجابية فهي:

1ـ ازدهار الحركة الثقافية في الأندلس كالشعر والأدب لأن حكام تلك الدولة كانوا شعراء وكتاب وساعد ذلك على ازدهار الشعر و الأدب وأصبحت مجالهم مجال الأدب يرقد اليها الشعراء من كل جانب .

2ـ أيقظت تلك الأحداث أهل الأندلس فيهم روح الحماس من أجل الدفاع عن الأندلس بسبب مما أصابها من ضعف ودمار من قبل حكام تلك الدويلات أدى ذلك إلى فرارهم إلى المغرب وعندما تقدم المرابطون إلى للأندلس انضموا تحت يد المرابطين سنة 479هـ .

3ـ الاهتمام بجانب العمراني حيث اهتموا ببناء القصور والقلاع و الحصون والتي باقية آثارها إلى هذه الفترة كما في مدينة المرية وغيرها .

– الأندلس في عصر المرابطين:

– توجه المرابطين إلى الأندلس:

إن أصل أسم المرابطين أطلق بادئ الأمر على رجال قبيلة جدالة في الجنوب إلى أن تغيرت سياسة عبد الله ابن ياسين اتجاههم ، ولاشك

إن هذا التحول المفاجئ لدى أبن ياسين من جدالة إلى لمتونة لم يأتي عفوياً إنما جاء نتيجة منافسة قديمة قامت بين هاتين القبيلتين حول زعامة صنهاجة

أما عن توجههم إلى الأندلس فقد كان لسقوط طليطلة سنة 478 هـ بيد الممالك النصرانية التي كانت قاعدة الثغر الأعلى حيث فرض عليها الفونسو السادس حصارا للفترة من 474هـ وحتى 478هـ حيث كانت تحت حكم ذي النون لم ينجدها اي حاكم وبعدها توجهوا نحو سرقسطة لسيطرة عليها لذلك ذهب أهل الأندلس إلى المغرب الأقصى التي كانت تحت حكم المرابطين وتوجهوا بوفد من العلماء ليحثوهم التقدم نحو الأندلس لإنقاذها من حكم الممالك الاسبانية ولخوفهم من سقوط المدن الأخرى ووافق يوسف الخليفة على ذلك لأنهم في تلك الفترة لممالك كانوا يحاصرون سرقسطة علما أن حكام دويلات الطوائف رفضوا دخول يوسف إلى الأندلس لأنهم يعلمون أنه إذا دخل سوف يقضي على حكمهم لذلك قالوا للمعتمد لا ترسل في طلب يوسف وإنما هادن الممالك الاسبانية أما موقف الممالك فقد أرسلوا وفد الى المعتمد بن عباد يمنعونه من التقرب الى المرابطين وكان نص هذا الكتاب بـ : ((من الامبراطور ذي الملتين الملك أدفونش بن شانجة، إلى المعتمد بالله، سدد الله آراءه، وبصّره مقاصد الرشاد. قد أبصرت تَزَلْزُل أقطار طليطلة، وحصارها في سالف هذه السّنين، فأسلمتم إخوانكم، وعطّلتم بالدّعة زمانكم، والحذر من أيقظ باله قبل الوقوع في الحبالة. ولولا عهدٍ سَلَفَ بيننا نحفظ ذِمامه نهض العزم، ولكن الإنذار يقطع الأعذار، ولا يعجل إلا من يخاف الفوت فيما يرومه، وقد حمّلنا الرّسالة إليك السّيد

البرهانس، وعنده من التسديد الذي يلقى به أمثالك، والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك، ما أوجب استنابته فيما يدق ويجل)) .

فلمّا قدم الرسول أحضر المعتمد الأكابر، وقرأ الكتاب، فبكى أبو عبد الله بن عبد البَر وقال: قد أبصرنا ببصائرنا أن مآل هذه الأموال إلى هذا، وأن مسالمة اللعين قوة بلاده، فلو تضافرنا لم نصبح في التّلاف تحت ذل الخلاف، وما بقي إلا الرجوع إلى الله والجهاد ، وأما ابن زيدون وابن لَبُون فقالا: الرأي مهادنته ومسالمته فجنح المعتمد إلى الحرب، وإلى استمداد ملك البربر، فقال جماعة: نخاف عليك من استمداده. فقال: رعْي الْجِمال خيرٌ من رعي الخنازير

جواب المعتمد بن عبّاد إلى الأدفونش

ثمّ أخذ وكتب جواب أدفونش بخطِّهِ، ونصّه:

الذّلُّ تأباه الكـــــــرامُ ودِيننا لك ما ندين بـــــه من البأساء

سلمناك سلمًا ما أردت وبعد ذا نغزوك في الإصباح والإمساء

الله أعلى مـــن صليبك فادرع لكتيبة خطبتك فـــي الهيجاء

سوداء غابت شمسها في غيمها فجرت مدامعها بفيض دماء

وفي أدناه خارطة توضيحية لعبور المرابطين من المغرب الى الأندلس

.

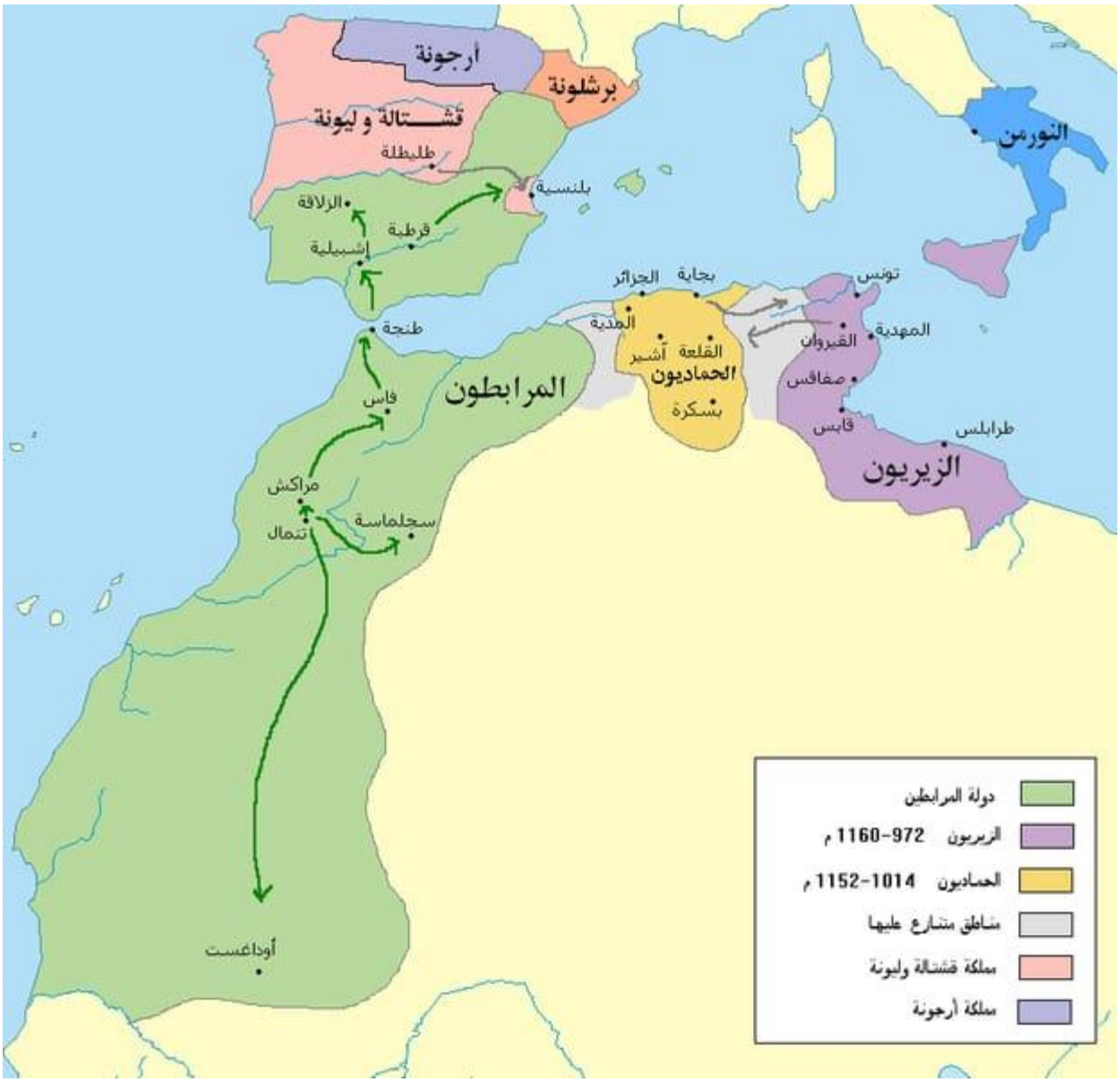

أولا – أسباب توجه يوسف بن تاشفين نحو الأندلس :

1_ العامل الجهادي : وذلك لأن دعوة المرابطين دعوة جهادية وكان زعيم الجانب الديني هو عبد الله بن ياسين وكان هدفهم نشر الإسلام وحماية المسلمين لذلك رأى المرابطين أن نجدة أهل الأندلس واجب إسلامي و شأن من شؤون إعلاء الدين الإسلامي .

2_ العامل السياسي : أن الأندلس هي امتداد للمغرب الأقصى وكان المرابطون يسيطرون على المغرب الأقصى لذلك تعتبر الأندلس المجال الحيوي للمغرب الأقصى .

3_ العمل الجغرافي : عند سيطرة المرابطين على المغرب الأقصى يعني سيطرتهم على سواحل البحر المتوسط فكان لا بد من السيطرة على الأندلس القريبة من سواحل طنجة تلبية لحماية تلك السواحل .

ماهي شروط المرابطين مقابل التوجه إلى الأندلس ؟

1_ أن تصبح الجزيرة الخضراء المقابلة لسواحل طنجة وسبتة تحت سيطرتهم .

2_ العمل على توفير المؤن و العتاد لجيش المرابطين المتوجه نحو الأندلس.

3. عندئذ أمر يوسف الاستعداد و اعلان تعبئة الجيش و التوجه نحو الأندلس وكان معه عدد كبير من الجمال لم يألفه أهل الأندلس من قبل لعدم وجود الصحاري فيها وقد استخدم الجمال في المعركة و توجه الجيش نحو الجزيرة الخضراء ومن ثم إلى اشبيلية ومن هناك أرسل وفد إلى حكام دويلات الطوائف لمساعدته وأن يشتركوا في جيشه وأن يتوجه إلى اشبيلية فتوجهوا من اشبيلية إلى مدينة (بطليوس او بطليموس) في هذه الأثناء أرسل الفونسو السادس إلى حكام الممالك بطلب الدعم فوصلته الإمدادات فترك حصار سرقسطة وتوجه نحو بطليموس عند

ذلك أرسل يوسف وفدا إلى الفونسو السادس يطلب منه أمرا من ثلاثة أما الصلح أو الجزية أو الحرب فأراد الفونسو الحرب حيث قال (لعنة الله عليه أنه يريد مقاتلة إله محمد واتفقوا على أن تكون المعركة يوم الأثنين وذلك لأن الجمعة يوم المسلمين والسبت يوم اليهود والأحد يوم المسيحيين إلا أن المعتمد قال ليوسف لا تأمن من الفونسو لأنه يتميز بالغدر والخيانة و فضلا في يوم الجمعة . جاء الفونسو السادس لمقاتلة المسلمين إلا أنه وجد المسلمين متهيئين للمعركة التقى الطرفان في مدينة (فحص زلاقة) لأن الأرض زلقه و لا يثبت عليها شخص إلا بالقوة وكانت تباشر المعركة في البداية وتعود بالنصر للممالك الاسبانية و السبب :-

1- كان جيش الممالك أكثر عددا حيث يبلغ عدده (50) ألف مقاتل من الفرسان بينما عدد جيش المسلمين يبلغ 48 الف مقاتل .

2- لأن الممالك يستطيعون الحصول على الامدادات و المؤون من مناطق مختلفة أي الخطوط الخلفية.

3_ أنهم يقاتلون في منطقة جبلية حيث عندما ينهزمون يختبئون في الجبال و الأودية و الكهوف .

ثانيا – المرابطين ودورهم في الأندلس :

وما أن تمكن يوسف بن تاشفين من توحيد المغرب الأقصى ، وأستعمل من أجل هذا الهدف كافة الأسباب المشروعة سواء باصلاح

ذات البين بين القبائل المتناحرة ، أو باستعمال القوة مع من استعصى عن الإجابة ، وكان يسعى سعيا حثيثا للقضاء على الفتن في بلاده ، ويعمل على إغلاق ابوابها أولاً بأول ، وسبيله في ذلك تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة ، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

ذلك الدور هو الانطلاق الى الأندلس ، وتحمل أعباء الكفاح المسلح ضد اطماع النصارى ووقف زحفهم ، واتصف الأمير يوسف بن تاشفين بصفات قيادية ، منها الايمان العميق بالاسلام وفضله ورسالته ، وشعوره بانه ينبغي ان يخدم هذا الدين وينصره ويجاهد في سبيله ويعمل على حمايته من الأخطار ، فلم يكد يقيم دولته بعد أن استولى على العدوتين المغربية والأندلسية ، حتى أرسل رسولا إلى الخليفة العباسي المستظهربالله (512 هـ / 1118م) معه هدايا وكتاب يذكر فيه ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ، ويطلب تقليدا بولاية البلاد ،فكتب له التقليد من ديوان الخلافة بما أراد وأنعم عليه بلقب (أمير المسلمين) ، وأرسل اليه الخلع فسر بذلك سروراً كبيراً ، وعينه أميرا على إفريقية . أمام تزايد ضغط الاذفونش على المسلمين في الأندلس ، أخذت وفود الأندلس الشعبية تجوز البحر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين شاكية سوء الاحوال ، ومناشدة

إياه لتدارك الوضع وحماية الاسلام في الأندلس من عدوان النصارى ، بعد أن ثبت عجز أمراء الطوائف عن الوصول الى تعاون فيما بينهم لدفع الخطرعنهم . ففي سنة (474هـ /1081م) وفد عليه جماعة من اهل الأندلس وشكواليه ماحل بهم من أعدائهم فوعدهم بإمدادهم وإعانتهم وصرفهم الى أوطانهم .

– جهود الأمير يوسف بن تاشفين:

وسوف نتطرق على جهود الأميريوسف بن تاشفين في ضم الأندلس إلى الدولة المرابطية:

أولاً – استنجاد الأندلسيين بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين :

وأنه لما استولى النصارى على طليطلة اتفق أمراء الأندلس وكبراؤها على الاستنصار بيوسف وكتبوا إليه جميعاً يلتمسون منه الغوث، وأنهم سوف يكونون معه يداً واحدة في جهاد العدو. فلما توالت كتب الأندلس على يوسف بعث ابنه المعز لافتتاح سبتة، فحاصرها وافتتحها في شهر ربيع الأول سنة 477 هـ، فسر بذلك أمير المسلمين، وسار في الحال بقواته نحو الشمال ليجوز منها إلى الأندلس وفي أقوال ابن أبي زرع شيء من الغموض والتناقض في التواريخ. ولكنه مع ذلك يؤيد الواقعة الجوهرية، وهي أن اتجاه أمراء الطوائف إلى الاستنصار بأمير المسلمين، حدث قبل سقوط طليطلة ببضعة أعوام، وأن سقوط طليطلة لم يكن إلا عاملا جديداً في تقوية هذا الاتجاه وإذكائه وإنه ليلوح لنا أن فكرة استدعاء المرابطين لإنجاد الأندلس، قد خطرت لأول مرة للمعتمد بن عباد حينما اشتد الفونسو في إرهاقه بطلب الجزية، وأرسل إليه ابن شاليب اليهودي في اقتضائها، وذلك في سنة 475 هـ ووقع عندئذ ما وقع من بطش ابن عباد برسل الفونسو، وخروج ملك قشتالة في قواته للانتقام من ابن عباد، واجتياحه لمملكته، وتخريبه لمدنها ومروجها، من إشبيلية جنوباً حتى مدينة طريف، وذلك حسبما فصلناه في موضعه من أخبار مملكة إشبيلية والظاهر أن المعتمد قد أدرك عندئذ، وإن يكن متأخراً، فداحة الخطأ الذي ارتكبه، بخضوعه لملك قشتالة ومحالفته،

وأدرك مدى ما تنطوي عليه سياسة هذا الملك القوي من الخديعة والغدر، واعتزم عندئذ أمره في استدعاء المرابطين.

بعد أن اجتمعت رغبة المعتمد بن عباد مع رغبة فقهاء قرطبة في استدعاء المرابطين لنصرة الإسلام في الأندلس، الا أن المعتمد لم يكتف بذلك بل أراد أن تتم الرغبة باجماع فقهاء الأندلس جميعا ، فخاطب المتوكل بن الافطس (ت488هـ / 1095م) صاحب بطليموس، وعبدالله بن بلقين (ت 483هـ / 1090م) صاحب غرناطة ، في أن يرسل كل منهما قاضي حضرته للأجتماع مع قاضي الجماعة بقرطبة ، فوصل من بطليوس قاضيها ابو اسحاق بن مقانا ، ومن غرناطة قاضيها ابو جعفرالقليعي ، واجتمعا ، في إشبيلية بابن ادهم قاضي الجماعة بقرطبة وانضم اليهم الوزير ابو بكر بن زيدون ، وتقرر أن يرحل هؤلاء في وفد يمثل أهل الأندلس وملوكها إلى مراكش لمقابلة الامي،،ر يوسف بن تاشفين ، لينقلوا إليه رغبة ملوك وفقهاء الأندلس في دعوته للعبور الى الأندلس لتخليص الاسلام والمسلمين من خطر النصاري المحدق بشبه الجزيرة .

وتوجه الوفد الى المغرب قاصدين الأمير يوسف بن تاشفين في مراكش ، ويبدو أن هذه السفارة لم تلتمس العون دون شروط ، غير أن

الأمير يوسف لم ير أن واجبه يقتصر في ذلك على النزول عند بواعث الغيرة الدينية ؛ ونظرا لنقص معرفته بالجزيرة وبالعدو ، وكونه يخشى أن محاربة الممالك النصرانية قد لا يحالفه النصر فيها ، فقد رأى أن يتبع في ذلك نصح كاتبه عبدالرحمن بن أسبط الذي كان عارفاً بجغرافية الأندلس ، فشرح له عبدالرحمن ما يعترض الحرب من صعاب ؛ لأنّ معظم البلاد بيد النصارى ، وهي وعورة البسائط تعترضها جبال صعبة تعيق المسالك حركة الجيوش ، ويمكن تشبيهما بسجن يندر أن يستطيع الداخلون إليه الخروج منه . فنصحه الكاتب أن يتسلم الجزيرة الخضراء ؛ لكي تكون قاعدة أمينة لعبور الجيش وحماية خطوط التموين ، وقال له ، إن الامر لله تعالى ، ولكم وواجب على كل مسلم إغاثة اخيه المسلم والانتصار له ، والأندلس بلاد وعرة المسالك معظمها بيد النصارى ، وهذا الرجل الذي استدعاك ما بينك وبينه عتاب قديم ، وقد يتمسك بالأرض بعد تحريرها من العدو ويتناسى جهودك ، والحال كما ترونه والنظر اليكم ، فاكتب اليه فإنه لا يمكنك الجواز إلا أن يعطيك الجزيرة الخضراء ، فتجعل فيها أثقالك وأجنادك ، ويكون الجواز بيدك متى شئت فقال له الأمير ، صدقت يا عبدالرحمن لقد نبهتني على

شيء لم يخطر ببالي ، أكتب اليه بذلك ، وكتب ابن أسبط الى المعتمد بن عباد الكتاب التالي نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . من أمير المسلمين وناصر الدين معين دعوة أمير المؤمنين ، الى الأمير الاكرم المؤيد بنصره لله تعالى المعتمد على الله أبي القاسم محمد بن عباد أدام الله كرامته بتقواه ووفقه لما يرضاه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فإنه وصل خطابك الكريم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربتك وما كان من قلة حماية جيرانك ، فنحن يمينك لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك في الشرع وكتاب الله تعالى . وإنه لا يمكنا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئنا ، فإن رأيت ذلك فاشهد على نفسك بذلك وابعث إلينا بعقودها ونحن في أثر خطابك إن شاء الله تعالى) .

بعد وصول الرسالة الى المعتمد بن عباد أطلع ابنه الرشيد على خطاب الأمير يوسف فقال له : يا أبت ألا تنظر الى ما طلب ، فقال المعتمد: يا بني هذا قليل في حق نصرة المسلمين · ثم جمع المعتمد

القاضي والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء للأمير يوسف وتسليمها له بحضورهم ، وكان يحكمها يزيد الراضي بن المعتمد ، فبعث اليه يأمره بإخلائها وتسليمها للمرابطين لتكون تحت تصرف الأمير يوسف.

وهكذا اعتزم أمير المسلمين أمره، بعد استشارة قومه من الفقهاء وقرر أن يلبي صريخ أهل الأندلس، وأن يبادر إلى غوثهم، ولم يك ثمة شك في أن يوسف وقومه المرابطون، كانت تحدوهم نزعة الجهاد في سبيل الله، بيد أن أولئك الجند الصحراويين الذين نشأوا في غمار القفر والبداوة، كانت تحدوهم في نفس الوقت رغبة في رؤية الأندلس، وما اشتهرت به من الخصب والنعماء، وأن يبلوا حرب النصارى ومن الصعب علينا في هذا الموطن، أن نستشف نيات يوسفْ التي كشف عنها فيما بعد، في افتتاح الأندلس وامتلاكها، بيد أنا نرجح أنه لم يكن يجيش بمثل هذه النية في البداية، وأنها خطرت له فيما بعد، بعد أن درس أحوال الأندلس، وأحوال أمرائها واستنفر يوسف سائر قواته وحشوده للجهاد

ثانيا– معركة الزلاقة :

نزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ثغر الجزيرة الخضراء، في يوم الخميس منتصف ربيع الأول سنة 479 هـ (30 يونيه 1086 م)، وجيوشه الجرارة تحيط بها من كل صوب. وما كاد يطأ بقدميه أرض الأندلس، حتى سجد لله شكراً، ثم أخذ في تحصين الجزيرة، وإصلاح أسوارها وأبراجها، ورتب لها حامية خاصة من جنده، ثم سار في قواته صوب إشبيلية وبعث المعتمد بن عباد ولده عبد الله لاستقبال يوسف بالجزيرة، ورتب تقديم المؤن والأطعمة والضيافات للجيش المرابطي، على طول الطريق إلى إشبيلية، واستعد لذلك استعداداً عظيماً سر به يوسف. ولما اقترب يوسف من إشبيلية خرج المعتمد إلى لقائه في وجوه أصحابه وفرسانه، وتعانق الملكان، وأبدى كل منهما لأخيه منتهى المودة والإخلاص، وتضرعا إلى الله أن يجعل جهادهما خالصاً لوجهه، وقدم ابن عباد إلى أمير المسلمين جليل الهدايا والتحف، وقدم المؤن والضيافات الكافية لسائر الجيش القادم، وقرت عينه بما رآه من ضخامته وروعة استعداده، وأيقن ببلوغ النصر المنشود. وفي اليوم التالي سار أمير المسلمين إلى إشبيلية، تلاحقه قواته، وأقام هناك ثلاثة أيام. وكان يوسف قد كتب في أثناء ذلك إلى سائر ملوك الطوائف، يدعوهم إلى اللحاق به، والمشاركة في الجهاد في سبيل الله، وكان أول من لبى دعوته منهم عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة، واعتذر المعتصم بن صمادح صاحب ألمرية بضعفه وكبر سنه، وتوجسه من عدوان النصارى في حصن لييط (أليدو)، وبعث ابنه معز الدولة في فرقة من جنده. ثم سار أمير المسلمين في جيوشه الجرارة، ومعه ابن عباد في قوات إشبيلية، وقرطبة، وقصدوا إلى بطليوس، فلقيهم أميرها عمر المتوكل على مقربة منها، وقدم إليهم المؤن والضيافات الواسعة، وأنفق أمير المسلمين أياماً في بطليوس

ينتظر وفود الرؤساء من سائر أقطار الأندلس، بعد أن علم وتأكد لديه أن كل واحد منهم مشغول بمدافعة النصارى. ولم يلحق به منهم سوى عبد الله وأخيه تميم ومعز الدولة. وانتظمت القوات الأندلسية إلى وحدة قائمة بذاتها يتولى قيادتها ابن عباد، واحتلت المقدمة، واحتلت الجيوش المرابطية المؤخرة، وانتهت الجيوش الإسلامية المتحدة في سيرها إلى سهل يقع شمالي بطليوس على مقربة من حدود البرتغال الحالية، ويمتد مصعداً نحو قورية، وتسميه الرواية العربية بالزلاقة كان نبأ مقدم المرابطين إلى الأندلس قد وصل على جناح السرعة إلى معسكر النصارى أمام اسوار سرقسطة ، وكان الملك الفونسوا السادس قد سير إليها معظم قواته ؛ لكي يعجل بسقوطها ، ولم يحمله على رفع الحصار عنها سوى الخوف على عاصمته طليطلة وعلى أراضيه الجنوبية ، فعقد مجلسا من كبراء مملكته ، ثم حشد قواته ، وقام بإجراءات حربية ، ليخوض المعركة مع المرابطين بنجاح بحسب تصوره . لقد دفعت الظروف الجديدة للفونسوا السادس على الاستعانة بإخوانه النصارى ، فتحالف مع سانشورامیریز ملك أراجون وصاحب بنبلونة والكونت برنجار ريموند ، وكان الأول مشغولاً يومئذ بمحاصرة طرطوشة ، وأما الثاني فكان يتأهب لغزو بلنسية ، فعدل كل منهما عن مشروعه ، وانضما بقواتهما الى الفونسوا ، وكان قد حشد قوات عظيمة من جليقية وليون وبسكونية واشتوريش وقشتالة ، ومن الأراضي الاسلامية التي فتحت أخيرا ، ووفدت في الوقت نفسه ، لنجدة النصارى الاسبان سرايا من الفرسان ، من ولايات فرنسا الجنوبية مؤملة أن تجني بمقاتلة المسلمين مغانم عظيمة ، وأن تحقق سلام بلدانها جمع أذفنش حشوده ، وتأهب للقاء المسلمين ، واحتفل في الاستعداد ، وخرج ومعه ثمانون ألف فارس ، لابسين الدروع دون غيرهم ، حتى انتهى الى سهل الزلاقة

وكان عسكر المسلمين يناهز خمسين ألف فارس ، أربعة وعشرون ألفا من فرسان الأندلسيين ما بين مدرع وغير مدرع ، ومثلها أو أكثر من المرابطين، وأهل العدوة المغربية وعسكر الجيشين المتحاربين على أميال من بطليوس في سهل تتخلله الاحراش ، وتسميه الرواية العربية بالزلاقة ويفصل بين الجيشين نهر صغير تسميه الرواية العربية بنهر حجير ، وعسكر الأمير يوسف وراء ربوة عالية منفصلا عن معسكر الأندلسيين وعسكر الأندلسيين أمام عسكر فرسان النصارى الذي لا تدرك نهايته الأبصار .

ومن ثم أرسل الأمير يوسف الى الفونسو كتابا يدعوه فيه ، الى الجزية أو الاسلام أو الحرب ، فلما وصل كتابه الى الفونسو داخله الكبر وقال للرسول ، قل للأمير لا تتعب نفسك أنا اصل اليك . فارتحل الفونسوا السادس حتى نزل بالقرب من بطليوس ، ونزل الأمير يوسف بموضع يعرف بالزلاقة ، وتقدم المعتمد وامراء الأندلس فنزلوا بالجهة **الأ**خرى بينهما ربوة حاجزة ؛ ترهيبا للعدو . ويحجز بين الفريقين نهر بطليوس يشرب منه هؤلاء وهؤلاء ، فأقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم الى أن أتفق رأيهم أن تكون الملاقاة يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة (479هـ /1086م) ، بعث المعتمد إلى الأمير يوسف بن تاشفين يعلمه أن يكون على أهبة واستعداد للحرب ، وان العدو صاحب مكر وخديعة في الحرب ، فلما كان الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال ، وجعل على عسكر العدو عيونا على خيل يأتونه بأخبارهم وما يرونه من تحركاتهم ، فلم يزل كذلك الى الفجر من يوم الجمعة ، فبينما هو في أخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلس

بالصلاة إذ اقبلت القوة التي كانت عيوناً على العدو مسرعة اليه ، فاخبروه ان العدو قد زحف نحو المسلمين في جيوش جرارة .

فأرسل في الحين بالخبر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فوجدوه على أهبة للحرب قد عبأ كتائبه طول ليلته ، فارسل قائده المظفر داوود بن عائشة في جيش عظيم من لمتونة ووجوه وأشياخ المرابطين ليكونوا طليعة له ، وكان داود بن عائشة لا نظير له في العزم والحزم والنجدة . وكان الفونسوا السادس قد قسم عساكره على فرقتين ، فتوجه هو وفرقة نحو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فالتقى في الجيش الذي يقوده داوود بن عائش،،ة فاقتتلوا قتالا عظيما ، وصبر المرابطون صبراً جميلاً ، وكانت بينهم مضاربة تفللت فيها السيوف وتكسرت الرماح ، وسارت الفرقة الثانية من عسكر الفونسوا مع البرهانس وابن رذمير نحو عسكر ابن عباد ، فهزمته واستمرت الهزيمة على رؤساء الأندلس الى جهة بطليوس ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه ، فانهم ثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا صبر الكرام لحرب اللئام . فوصل خبر الهزيمة إلى الأمير يوسف ، وان المعتمد وداود بن عائشة صابران يقاتلان ، فبعث قائده سير بن أبي بكر في قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين كانوا في

عسكره مدداً لداود بن عائشة وابن عباد ، وسار هو في جيش لمتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة قاصدا معسكر الفونسوا السادس حتى اخترقه ، والفونسوا مشغولا بقتال داود بن عائشة فأضرم فيه النار واحرقهُ ، وقتل من كان فيه من والرجال والفرسان الذين تركهم الفونسوا ليحرسونه ويحمونه ، وفر الباقون منهزمين نحو الفونسوا ، وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أثرهم ، وقد اثخن فيهم القتل . فقال الفونسوا السادس ما هذا ؟ فاخبر الخبر بحرق عسكره ونهبه وقتل حمايته وسبي حريمه ، فرد وجهه الى قتاله وصمم أمير المسلمين نحوه ، فنشبت بينهما حروب عظيمة لم يسمع قط بمثلها واختلط الفريقان ؛ فأظهر الأمير يوسف بن تاشفين واصحابه من الصبر وحسن البلاء والثبات مالم يكن يحسبه المعتمد ، وهزم الله العدو ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم في كل وجه ، ونجى الأذفونش ، لعنه الله ، في تسعة من أصحابه ، وقد أصيب الأذفونش في احدى ركبتيه ؛فكانت وقعة الزلاقة احد الفتوح المشهورة بالأندلس ، أعز الله فيه دينه وأعلى كلمته وقطع طمع الأذفونش عن شبه الجزيرة ، وكانت هذه الوقعة المباركة يوم الجمعة الحادي عشر من رجب سنة (479هـ الموافق الثالث والعشرون

من اكتوبر سنة 1086م) . وقد فقد الفونسو في الزلاقة القسم الاعظم من جيشه ، ولم يفقد المسلمين من قواتهم إلا القليل ، وأنصرف أمير المسلمين راجعا إلى إشبيلية بعد هذا النصر العظيم ، وكتب بالفتح الى بلاد المغرب ، والى تميم صاحب المهدية ، فعمت الفرحة في جميع بلاد إفريقية وبلاد المغرب والأندلس ، واجتمعت كلمة الاسلام ، واخرج الناس الصدقات ، واعتقوا الرقاب ؛ شكرا لله تعالى على نصره وفضله .

ثالثا. أهم نتائج معركة الزلاقة:

إنّ أهم نتائج معركة الزلاقة تحرير مدينة سرقسطة وحمايتها من السقوط في أيدي القشتاليين الذين كانوا يحاصرونها عندما نزلت قوات المرابطين بالأندلس ، كما أنقذت طرطوشة من حصار سانشورامیرث لها ، وكذلك بلنسية التي كان برنجار ريموند يتأهب لغزوها .

ولعل أبرز نتائج وقعة الزلاقة:

1- انقاذ الأندلس من خطر الاسترداد التي رفع شعارها الفونسوا السادس ، والذي كان يتطلع للقضاء على الاسلام وطرد المسلمين من شبه الجزيرة، وكذلك رفع الحصار الذي كان مفروضا على كثير من مدن

الأندلس فضلا عن فداحة الكارثة التي حلت بقوات الفونسوا ومن ساندها ، والفتح المبين الذي أحرزه المسلمون بعد أن تحلوا بروح الجهاد تحت قيادة كفوءة متفانية في العمل لخدمة الاسلام والمسلمين .

2- كما سُرّ أهل الأندلس بالمرابطين وارتفعت معنوياتهم ، واظهروا التيمن بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر.

3- وذلك أن الأندلس كانت قبله بصدد استيلاء النصارى عليها وأخذهم الأتاوة من ملوكها فلما قهر الله عدوها وهزمه على يد أمير المسلمين أظهر الناس إعظامه ونشأ له الود بالصدور، ونستنج ذلك من قول الأمير عبدالله بن بلقين عندما يتحدث عن اللقاء مع الأمير يوسف بن تاشفين وعن المشاعر في تلك المرحلة فيقول ، (ورأينا من إكرامه لنا وتحفيه بنا ما زادنا ذلك رغبة فيه ولو استطعنا أن نمنحه لحومنا فضلاً عن أموالنا) .

4- بعد أن فرغ الأمير يوسف من معركة الزلاقة عاد الى إشبيلية ودعا رؤساء الأندلس إلى اجتماع عام وطلب منهم الاتفاق والاتحاد ضد

عدوهم المشترك الذي استغل تشتتهم، فأجابه الجميع بقبول وصيته وتحقيق رغبته .

5- بعد ذلك ترك الأمير يوسف بن تاشفين الأندلس وهو مطمئن ، ولاسيما بعد ان استولى على الجزيرة الخضراء وبذلك وثق الصلة بين المغرب والأندلس ، وترك القائد سير بن ابي بكر على رأس جيش من المرابطين لمواصلة معركة الجهاد .

وفي نشوة النصر الكبير رحل الأمير يوسف بن تاشفين الى المغرب ، دون ان يجني ثمار ذلك النصر ، على الاقل استرجاع مدينة طليطلة ، وهناك عدة اسباب حملت الأمير يوسف للعودة السريعة الى المغرب ، حين بلغه نبأ وفاة ابنه الأمير ابي بكر في الشهر الذي كان مريضا والذي استخلفه في سبتة ، فعاد الى العدوة الإفريقية مسرعا بعد أن أذهلته نكبته في ابنه عن الاسترسال فيما كان ماضيا فيه · وخوفه من عمل يقوم به ابراهيم بن الأمير ابي بكر بن عمر الذي كان واليا على سجلماسة من قبل ابيه إذ قام بمحاولات فاشلة لانتزاع الملك من الأمير يوسف ، (ففي سنة (469هـ / 1076م) وقد وصل الأمير يوسف الى المغرب واستقر بعاصمته مراكش حتى ربيع الآخر من سنة

(480هـ/ 1087م) ، ثم خرج الأمير يوسف يتجول في انحاء مملكته يتفقد احوالها ويصلح من شؤونها وينظر في امور الرعية ، ويتقصى أخبار عماله والقضاة .

كما وردته أخبار عن اضطراب أحوال المغرب على الحدود الشرقية لدولته إذ تحالف بنو حماد الصنهاجيين مع عرب بني هلال وحاولوا غزو المناطق الحدودية التابعة للدولة المرابطية مغتنمين فرصة وجود الأمير يوسف مع اكثرية جيشه في الأندلس مما حدا بالأمير يوسف اجراء اتصال مع انسابه بني حماد وعمل على استرضائهم .

رابعا- العبور الثاني للمرابطين الى الأندلس سنة (481هـ/ 1088م) :

وعبر البحر إلى الأندلس في قواته في شهر ربيع الأول سنة 481 هـ (يوليه سنة 1088 م). فتلقاه ابن عباد في الجزيرة الخضراء بالمؤن الوفيرة، وبعث أمير المسلمين بكتبه إلى ملوك الطوائف ورؤسائهم يستدعيهم جميعاً للجهاد، وأن يوافوه بقواتهم عند حصن لييط وكان يوسف يبغي بعد الاستيلاء على حصن أليدو، أن يعمل للقضاء على سلطان " السيد " في منطقة بلنسية، ومن ثم فقد اتجه يوسف عن طريق مالقة صوب شرقي الأندلس، ومعه المعتمد في قواته، وانضم إليه في الطريق تميم بن بلقين صاحب مالقة، وأخوه عبد الله صاحب غرناطة، والمعتصم بن صمادح صاحب ألمرية، كل في قواته. ولما

وصل إلى ظاهر حصن أليدو، وافاه هناك ابن رشيق صاحب مرسية في قواته، وعدة من رؤساء الأندلس من شقورة وبسطة وجيان وغيرها .

وضرب المسلمون الحصار حول الحصن، وكاد فضلا عن حاميته الضخمة، التي تضم ثلاثة عشر ألف مقاتل، يضم جماعات كبيرة من نصارى هذه المنطقة الذين التجأوا إليه وسلط المسلمون آلات الحصار الضخمة على الحصن وضربوه بشدة، ولكن الحصن كان في منتهى المناعة، فلم تنجح الآلات الضخمة في هدمه أو ثلم أسواره، ورد المدافعون كل محاولة للمحاصرين بمنتهى العنف والشدة، وامتنعوا داخل حصنهم. وطال الحصار زهاء أربعة أشهر، والقوات المحاصرة تحاول اقتحامه، كل جماعة بدورها، والنصارى صامدون، يتساقطون داخل حصنهم من الجوع والإعياء. وشعر أمير المسلمين من جراء ذلك بخيبة أمل مرة، بيد أنه شعر كذلك باستياء بالغ لما شهده من أحوال أمراء الأندلس المشاركين في الحصار، فقد كان الخلاف والوقيعة على أشدهما بين أولئك الأمراء الطامعين المتنابذين، فكان تميم صاحب مالقة، وأخوه عبد الله صاحب غرناطة، يشكو كل منهما الآخر، ويتهمه باغتصاب حقوقه في الميراث والسيادة، وكان ابن عباد والمعتصم بن صمادح يوقع كل منهما في حق صاحبه لدى أمير المسلمين، ويتهمه

بمختلف التهم. وبرز من بين هذه الخصومات بالأخص خلاف المعتمد وابن رشيق، فقد شكا ابن عباد ابن رشيق لأمير المسلمين، واتهمه باغتصاب الولاية منه على مرسية، واتهمه بما هو شر من ذلك، وهو أنه متفاهم مع ملك قشتالة سراً، وقد دفع إليه جباية مرسية، وأنه يعاون حامية الحصن في الخفاء، واهتم أمير المسلمين لتلك التهم، ومال إلى تصديقها، واستفتى الفقهاء في أمر ابن رشيق، فأفتوا بإدانته، فأمر بتسليمه لابن عباد على شرط أن يبقى على حياته. وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر في المعسكر المحاصر، فإن قادة مرسية ومعظمهم من أقارب ابن رشيق ورجاله، غادروا المعسكر في جندهم غاضبين، وقطعوا المؤن التي كانت ترسل إلى المحاصرين من مرسية وأحوازها، فاختل أمر المعسكر، ولحق به الضيق والغلاء، وعلم أمير المسلمين من جهة أخرى أن ملك قشتالة يسير في قوة كبيرة لإنجاد الحصن، فآثر الانسحاب وعدم الاشتباك مع القشتاليين في معركة غير مجدية. وقدم الفونسو إلى الحصن، فلم يجد بداخله من المدافعين سوى مائه فارس وألف راجل، ولما رأى أنه لا فائدة من الاحتفاظ به، وأنه يقتضي لذلك حامية كبيرة، قرر إخلاءه وتقويض أسواره وأبراجه، وعاد أدراجه، وذلك

في سنة 1089 م (482 هـ). واحتل ابن عباد أطلال الحصن بعد أن غادره النصارى.

خامسا- العبور الثالث للمرابطين الى الأندلس سنة (483هـ/ 1090م) :

ولم يمض عام آخر، حتى أعد يوسف بن تاشفين عدته، للجواز إلى شبه الجزيرة للمرة الثالثة، وكان ذلك في أوائل سنة 483 هـ (1090 م). ولم يكن جوازه في تلك المرة تلبية لدعوة أو استغاثة من أحد، من أمراء الأندلس، كما حدث في المرتين السابقتين، ولكنه عبر عندئذ إلى شبه الجزيرة، وقد انتهى إلى قرار بالغ الخطورة، هو الاستيلاء على الأندلس واختلفت الروايات في تصوير البواعث، التي حملت يوسف على اتخاذ هذا القرار. بيد أنه يبدو على ضوء مختلف الروايات، أن يوسف قد تأثر منذ البداية بما شهده من اختلال أحوال أمراء الطوائف، وضعف عقيدتهم الدينية، وانهماكهم في مجالي الترف والعيش الناعم، وما يقتضيه ذلك من إرهاق لشعوبهم بالمغارم الجائرة، وأدرك أن هذه الحياة الناعمة، التي انغمس فيها رؤساء الأندلس وشعوبهم اقتداء بهم، هي التي قوضت منعتهم، وفتت في رجولتهم وعزائمهم، وأضعفت هممهم عن متابعة الجهاد، ومدافعة العدو المتربص بهم، وأن الشقاق الذي استحكم بينهم، ولم ينقطع بعد الزلاقة، سوف يقضي عليهم جميعاً، إذا تركت الأمور في مجراها، وسوف يمهد لاستيلاء النصارى على

جميع أنحاء شبه الجزيرة في أقرب وقت. ومن ثم فقد اعتزم أمير المسلمين أمره نحو الأندلس ونحو أمرائها العابثين .

ذلك هو التصوير العام، للبواعث التي حملت يوسف بن تاشفين، على افتتاح ممالك الطوائف الأندلسية، بيد أنه توجد إلى جانب ذلك بواعث معينة أخرى، منها أن ملوك الطوائف لما شعروا بتغير يوسف عليهم، توافقوا على قطع المدد والمؤن عن عساكره ومحلاته التي تركها بالأندلس، فساءه ذلك ، ومنها ما وقف عليه يوسف، من رجوع بعض رؤساء الطوائف إلى مصادقة الفونسو ملك قشتالة وممالأته، بل واستعدائه على محاربة يوسف نفسه، وإمداده لذلك بالأموال والهدايا، وكان هذا بالذات موقف عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة ، ثم كان فيما بعد موقف المعتمد بن عباد، وقد عمد كلاهما في الواقع إلى تحصين بلاده والاستعداد للدفاع عنها

أما عن المبررات المادية، فقد وقعت في يد يوسف بعض المراسلات السرية الموجهة من ابن عباد إلى ملك قشتالة، يستغيث به ويطلب معونته ، وكان المعتمد بعد أن رأى جنود قشتالة تجتاح بلاده، وتمعن في تخريبها، دون أن يستطيع دفعاً لهم، وشعر من جهة أخرى بما يضمره المرابطون نحوه من النيات الخطرة، قد أيقن أنه لا معدي له عن الالتجاء إلى ملك قشتالة، والتفاهم معه على دفع المرابطين عن الأندلس .

وبينما كان المعتمد منهمكاً في أهباته الدفاعية بإشبيلية، كان قائد المرابطين سير بن أبي بكر، يضع خططه النهائية للانقضاض على قواعد مملكة إشبيلية، وقد بدأ في ذلك بالاستيلاء على طريف أقصى

ثغورها الجنوبية، وذلك في شوال سنة 483 هـ (ديسمبر 1090 م) ونادى فيها بدعوة أمير المسلمين ، ثم اتجه نحو الشمال قاصداً إشبيلية، بينما زحفت الجيوش المرابطية الفرعية على رندة وجيان وقرطبة. فأما رندة فقد حاصرها القائد جرور المرابطي بقواته، وكان يضطلع بالدفاع عنها يزيد الراضي ولد المعتمد. وكانت رندة من أمنع القواعد الجنوبية، فصمد بها الراضي، واضطر جرور أن يقنع بالحصار منتظراً سير الحوادث. وأما جيان، فقد زحف عليها جيش مرابطي بقيادة بطى بن اسماعيل وضرب حولها الحصار. وهنا يقول لنا ابن الخطيب إن جيشاً من القشتاليين قدم لإنجاد جيان، تنفيذاً للحلف المعقود بين ابن عباد وملك قشتالة، وإنه نشبت بين المرابطين والنصارى موقعة أبيد فيها المرابطون في حين أن ابن أبي زرع يقول لنا بالعكس أن بطى حاصر جيان حتى دخلها صلحاً، وكتب سير بالفتح إلى أمير المسلمين، وأمر بطى بالسير بقواته إلى قرطبة الا أن قرطبة لم تصمد طويلا ، فقد اقتحمها المرابطون بعنف، وقتل الفتح بن عباد خلال الهجوم مدافعاً عنها، ورفع المرابطون رأسه على رمح. وكان افتتاح المرابطين لقرطبة في اليوم الثالث من صفر سنة(484 هـ / 1091 م) ثم تتابع سقوط

مدن الأندلس في أيدي المرابطين ليبدأ عصر جديد في الأندلس عدا سرقسطة التي حافظت على استقلاليتها حتى سنة 503هـ حين ضمها القائد المرابطي محمد بن الحاج اللمتوني للدولة المرابطية .

ولما خلع ابن تاشفين بني باديس وملك غرناطة وملقة، خاف المعتمد بن عباد على ملكه، ولما رجع ابن تاشفين إلى مراكش، ولى على الأندلس القائد سير بن أبي بكر، فسار نحو إشبيلية، فراسل ابن عباد على أن يسلم إليه البلاد ويدخل في طاعة ابن تاشفين، فامتنع ابن عباد، ففرض سير الحصار على إشبيلية، وبعث بعض قواده إلى قرطبة، وكان أميرها المأمون بن المعتمد بن عباد، فوقع بين الطرفين معركة انتهت بمقتل المأمون وفتح قرطبة، وكان ذلك عام 484 هـ، ثم فتح المرابطون بياسة وأبدة وحصن البلاط والمدور، ولم ينقض شهر حتى لم يبق لابن عباد مايملكه من أرض سوى إشبيلية. لما اشتد الحصار على ابن عباد بعث إلى الفونسو يطلب منه العون لقتال المرابطين، فبعث إليه قائده القومس في جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل، والتقى الجيشان قرب حصن المدور، وكان النصر للمرابطين، فرجع سير وشد الحصار على إشبيلية حتى دخلها عنوة

عام 484 هـ ، وقُبض على المعتمد وأهله، وحملوا إلى أن وصلوا لابن تاشفين في مراكش ، الذي أمر بنفيه إلى أغمات، فسجن بها واستمر سجنه إلى أن مات عام 488 هـ .ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقي من بلاد الأندلس، ولم يبقى لملوك الطوائف ذكر بها، وأصبحت الأندلس تحت سلطة المرابطين، وانتهى عصر ملوك الطوائف

وفي موقف آخر احتدم الخلاف بين الفونسو السادس والكمبيادور، لتخلف الأخير عن مساعدة الأول، فانعكس ذلك على مدينة بلنسية التي كانت مسرحًا لصراع الأثنين استغل قاضي المدينة جعفر المعافري الوضع القائم، واتصل بالمرابطين واجتمع بمحمد بن عائشة وطلب منه المعونة إلى بلنسية أوفد ابن عائشة كتيبة من الفرسان عدد أفرادها أربعين فارسًا، وفتح أهل بلنسية أبواب المدينة للمرابطين، واستطاعوا إخضاع المدينة بالتعاون مع أهلها. في عام(486 هـ /1093 م)، هَجم الكمبيادور على مدينة بلنسية، وفرض عليها حصارا طويلا، طلب بعدها سكان المدينة الصلح، قَبل الكمبيادور الصلح بشروط أهمها خروج المرابطين من المدينة، وفي عام(487 هـ / 1094 م)سقطت بلنسية بيد الكمبيادور، فأجلى المسلمين عنها

وأحل محلهم النصارى سير ابن تاشفين جيشًا بقيادة ابنه محمد بن عائشة لاسترجاع المدينة، وانضمت إليه قوات أندلسية، وحاصر جيش المرابطين المدينة عشرة أيام، قاوم فيها الكمبيادور الحصار واستطاع أن يهزم المرابطين ويبعدهم عن الأسوار. استمر الحصار قائمًا حتى وفاة الكمبيادور عام (492 هـ /1099 م)، حاولت زوجته شيمين متابعة الصمود في المدينة، وطلبت النجدة من الفونسو الذي جاء لنجدتهم، وأقام في المدينة شهرًا. في هذه الأثناء جهز ابن تاشفين جيشًا مرابطيًا بقيادة مزدلي بن تيلكان، ونزل بلنسية والتقى الجيشان ودارت بينهما معركة انسحب منها الفونسو بعد أن قام بحرق المدينة، ودخل مزدلي بلنسية في رمضان(495 هـ /1102 م)، استمر مزدلي في التقدم شرقًا نحو الحصون القريبة من بلنسية، واستولى على مربيطر والمنارة والسهلة، وسقطت البونت في يديه عام(496 هـ /1103 م) ، وتقدم شمالًا حتى دخوله شنتمرية، وخلع حاكمها ابن رزين. أدى توسع المرابطين شمالًا إلى مهاجمة برشلونة، فغزاها مزدلي ولكنه سرعان ماعاد إلى بلنسية .

هاجم الفونسو السادس ثغور المرابطين في الأندلس، واحتل قلعة أيوب، فأمر ابن تاشفيين بتجهيز جيش بقيادة ابن الحاج، والتقى المرابطون بجيش الفونسو سنة(492 هـ /1099 م)، ودارت معركة انتهت بنصر المرابطين، ولجأ الفونسو إلى مدينة طليطلة، فحاصرها المرابطون سبعة أيام ثم انصرفوا أرسل ابن تاشفين جيشًا بقيادة محمد بن عائشة، فهزم البرهانس وحلفاءه الأراجونيين، ثم سار إلى جزيرة شقر وفتحها بمساعدة الأسطول المرابطي ضم ابن تاشفين كل البلاد والنواحي التي كانت زمن الدولة الأموية في الأندلس، ولم يبق خارج سلطته إلا إمارة سرقسطة التي كان يحكمها المستعين أحمد بن هود .كانت علاقة ابن هود علاقة ودية مع أمير المسلمين ابن تاشفين، وعندما بسط المرابطون سيادتهم على شرق الأندلس، اقتربوا من حدود سرقسطة، فأرسل ابن هود رسالة إلى ابن تاشفين واستقبل ابن تاشفين الرسالة بالترحاب وأجاب إلى ما طلب ابن هود، فتوطدت العلاقات بين الأميرين، وأهدى المستعين إلى الأمير يوسف سنة 496 هـ آنية من الفضة توثيقًا للعلاقة القائمة

فبسط المرابطون لواءهم على املاك الامراء بالأندلس ، وتم لهم تحقيق ما ارادوا من توحيد الجبهة الاسلامية بتوحيد الشعب الأندلسي بزعامتهم ، بعد أن اخفقوا في التأليف بين ملوك الطوائف والجمع بين صفوفهم في جبهة متحدة .

أما عن الوضع العام للمرابطين فقد حث ابن تاشفين القادة والأمراء إلى الاجتماع في قرطبة ، وكانت قد عادت يومئذ قاعدة الحكم في الأندلس و دعي الى هذا الاجتماع زعماء الأندلس ، وكذلك زعماء القبائل المغربية التي تدين بالطاعة للأمير يوسف وأوضح لهم عن عزمه في تعيين ولده علي من بعده وأمرهم أن يقدموا له الولاء والطاعة وعهد الأمير يوسف إلى كاتبه بوضع الوثيقة المتعلقة بولي العهد وما يسند إليه من قسط في الحكم وأهم ما جاء فيها ، هو أن أمير المسلمين نصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين بعد أن أنعم النظر والتدبر في كلّ شي ألفي ابنه الأصغر أبا الحسن عليا أكثر أهلية وصلاحية للاضطلاع بجليل الأمور وخطيرها ورأى أكثر اقتدار على تلقي أعباء الحكم ، ومن ثم فقد اثره واصطفاه وعينه ورفعه إلى مقام الملك ، وأولاه العرش وذلك بعد أن تشاور من قبل مع أعلم الناس

وأعقلهم وأقدرهم في انحاء المملكة كافة ، وبعد أن اتفقوا جميعا مع زعماء المملكة وقادتها على الاعتراف بملء حريتهم دون إكراه ما ، بأنّهم راضون عن هذا الأمير النابه وأنّهم يقبلونه ويبايعونه مختارين ، ما دام والده قد اعتزم ذلك وأقرّه ، وهم يقبلون عليّاً ويقرونه على هذا الشرط دون سواه ؛ وهو أن يكون والده أمير المسلمين قد اختاره حقا وراه أهلا لتبوء الملك، وضع الكاتب وثيقة أخرى جاء فيها أن الجماعة كلّها أقرت هذا وشهد على ذلك الحضور بالأصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن الغائبين ، وبعد أن أقرّ الأمير الشروط الموضوعة لولاية العهد وقبلها أمضى له الكاتب أشهادا بذلك وكان إعلان هذه البيعة في شهر ذي الحجة سنة (496هـ / 1103م) .

أما عن وضع الأندلس فقد أمر الأمير يوسف ابنه وولي عهد أن يعهد إلى مسلمي الأندلس بحراسة الحدود النصرانية ومحاربة النصارى فهم أكثر خبرة ودربة على مقاتلة النصارى من المغاربة ، ويجب لإذكائهم الأندلسيين أن يُكافأ المتفوقون في الحرب منهم بالخيل والسلاح والثياب والمال ، ونصه بأن يعامل أهل قرطبة معاملة خاصة لكونهم قد عرف عنه بـ (الكبر وحب الشغب باللين والرفق) وأن توثق

أواصر الصداقة مع بني هود أمراء سرقسطة وهم طليعة الأندلسيين في محاربة النصارى ، ولما انتهى الأمير يوسف بن تاشفين من تنظيم شؤون الأندلس عاد الى إفريقية حيث تولى الحكم بضعة أعوام أخرى وذلك بالرغم من سنه المتقدمة وضعفه المتزايد وأخيرا بلغ به ضعف الشيخوخة مبلغه فتوفي في قصره بمراكش في المحرم سنة (500هـ / 1106م) .

- أوضاع المرابطين بعد وفاة الأمير تاشفين(539هـ / 1144م):

لم يكن مقتل الأمير تاشفين بن علي في وهران سنة (539هـ / 1144م) نهاية لحكم المرابطين ، فقد كانت كثير من مدن المغرب ما تزال تحت حكمهم ، فالحاضرة مراكش لم تسقط بعد ، لذلك كان على عبد المؤمن أن يقضي أولا على قوات المرابطين الموجودة في فاس ، ومكناس ، ثم يتجه بعد ذلك إلى مراكش .و تمكن عبد المؤمن بن علي من فتح مدينة فاس بعد حصارها سبعة أشهر وذلك في ذي القعدة من سنة (540هـ / 1146م) ، أقام بها أربعة أيام ثم رحل عنها وترك واليا عليها أبا إسحاق بن جامع .

لقد كان انتصار الموحدين في وهران ومصرع الأمير المرابطي تاشفين بن علي أكبر حافز للعناصر الثائرة على الأندلس لكي تتصل بالموحدين ، ولاسيما أن النصارى تكالبوا على البلاد ، فعبر عدد من الثوار الى العدوة المغربية ، وطلبوا من عبد المؤمن بن علي المعونة في الوقت الذي كانت فيه انظار عبد المؤمن تتجه صوب الأندلس بعدها الارث المهم الذي سيحصل عليه من المرابطين ، وقد خدمته الظروف

في هذه المدة ، فقد ذكر المؤرخ ابن الخطيب أنه لما اضطرب أمر المرابطين بالأندلس ، وضعفوا وكثرت الثورات ، واغتنم النصارى ذلك فاستولوا على أجزاء كبيرة من البلاد ، وذلك عندما اشتهرت الدعوة الموحدية في المغرب .

وكان لحسن استقبال عبد المؤمن لثوار الأندلس ، ووعوده لهم أثر كبير في مبايعة عدد كبير منهم للموحدين ، ولا سيما ثوار منطقة الغرب ، ومن أوائل المتصلين بعبد المؤمن أمير البحر علي بن عيسى بن ميمون في قادش ، قدم على عبد المؤمن بن علي في أثناء حصاره لفاس في أوائل سنة (540هـ / 1145م) ، وقدم إليه طاعته ، وعاد الى الأندلس ، وخطب للموحدين بجامع قادش ، فكانت أول خطبة للموحدين بجزيرة الأندلس ، وقد كان لانضمام ابن ميمون قائد الاسطول المرابطي إلى الموحدين ، أثر كبير في تقوية الموحدين وعبورهم إلى الأندلس . وفي أثناء حصار مراكش وفد على عبد المؤمن عدد من زعماء الأندلس الثائرين ، منهم أبو الغمر بن عزون زعيم شريش واركش ورندة ، والقاضي ابن حمدين زعيم قرطبة المعزول ، كما وفد نفس الوقت أو بقليل زعيم ثورة المريدين أحمد بن قسي ، بعد خلعه

وفقده لإمارته في شلب وميرتله على يد خصمه ومنافسه السابق سيدراي بن وزير ، فاحتفي به عبد المؤمن وأكرم وفادته ، إلا أن ابن قسي كانت له اتصالات من قبل بالموحدين ، فبعد مقتل الأمير تاشفين بن علي ، واقتحام وهران ، وصل رسول من ابن قسي عبد المؤمن أثناء حصار تلمسان ، غير أن عبد المؤمن تجاهل هذه الاتصالات وأهمل الرسول بسبب نعت ابن قسي لنفسه بالمهدي في رسالته ، ولما لمسه من تعاليه في الخطاب عليه ، فلم يجاوبه .

كان العبور الأول للموحدين الى الأندلس سنة (541هـ / 1146م) : وجه الخليفة عبد المؤمن بن علي أول جيش موحدي إلى الأندلس في سنة (541هـ / 1146م) ، بقيادة أبي إسحق براز بن محمد المسوفي الذي كان من قادة الأمير تاشفين بن علي ، ثم انحاز الى الموحدين بعد مصرع الأمير تاشفين ، وقد صحب هذا الجيش أحمد بن قسي ، ثم تبعه جيش ثان بقيادة موسى ابن سعيد ، وجيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي وهما من أشياخ الموحدين .ويبدو أن الزعيم أحمد بن قسي قد استطاع اقناع الخليفة عبد المؤمن بن علي بضرورة الإسراع في إرسال الجيش الموحدي للأندلس، وعدم التريث الى أن تسقط مراكش ،

إذ إنّ فوضى الثورة بالأندلس ، قد استغلها النصارى على أوسع مدى مما ينذر بسقوط الحكم الاسلامي ، وكان هذا أول جيش أرسله الموحدون إلى الأندلس لإزالة ما بقي للمرابطين من سلطان كانت مهمة الموحدين في الأندلس ، أن يقاتلوا المرابطين والثوار معا ، فعبرت جيوش الموحدين ، واستطاعوا الاستيلاء على طريف والجزيرة الخضراء من المرابطين ، وتمكنت الحامية المرابطية الخروج سالمة ، وأن تشق طريقها حتى وصلت إشبيلية .

فتحت شريش أبوابها طوعا واختيارا للموحدين ، وكان صاحبها ابن عزون قد سبق له مبايعة الخليفة عبد المؤمن ، وبذلك حصلت على حقوق ومنح خاصة ، ولقب أصحابها بالسابقين وحررت أملاكهم .

اتجه الموحدون بعد ذلك إلى منطقة الغرب فأعلن يوسف بن أحمد البطروجي الطاعة ، واستولوا على ميرتلة وشلب التي سبق أن استولى عليهما سيدراي بن وزير من ابن قسي فردوا أمرها إلى ابن قسي ، تغلب الموحدون بعد ذلك على معظم مدن الغرب التي استولى عليها ابن وزير وغيره من المريدين ، ولم يكن الاستيلاء على قواعد المريدين في الغرب نهاية المطاف بالنسبة لهم ، بل كان مقدمة لمرحلة أهم وهي الاستيلاء

على إشبيلية التي كانت ما تزال تحت سيطرة المرابطين . اتجه الموحدون إلى إشبيلية وصحبهم زعماء المريدين الذين انضموا إليهم وهم أحمد بن قسي ، وسيدراي بن وزير شيخ أهل الغرب ، ويوسف البطروجي صاحب لبلة ولبيدة بن عبدالله قائد شنتمرية ، وجميع أهل الغرب بعسكرهم ورجالهم ، فاستولواعلى طلياطة وحصن القصر، وهما قلعتا إشبيلية من الغرب ، وقد أعلنت كلتاهما الطاعة ، ثم ضربوا الحصار حول إشبيلية برا وبحرا ، ولم يطل أمد الحصار إذ لم يكن بإشبيلية سوى حامية مرابطية قليلة العدد ، فملك الموحدون المدينة يوم الاربعاء الثاني عشر من شعبان سنة(541هـ / 1147م) .

–الجوانب الحضارية في الأندلس خلال عصر المرابطين:

أولا – الجانب الثقافي :

تعد النهضة الفكرية في عصر المرابطين مزيجا بين ما ورثوه عن ملوك الطوائف من علوم وفنون وآداب وما حققه المرابطون أنفسهم ، فكان هذا التداخل الفكري واضحا في العصر المرابطي ، حيث نجد أكبر العلماء ورجال الفكر من أمثال ابن باجة وابن عبدون وغيرهما عاشوا المرحلتين من الحكم الإسلامي في الأندلس، وبتوحيد المغرب والأندلس أصبحت حاضرة مراكش تشبه حاضرة بني العباس في كثرة توافد أهل العلم والفن .

وقد رأينا كيف أصبح للفقهاء مكانة مرموقة في بلاط المرابطين والذي تجدر الإشارة إليه أنه" لم يكن يقرب به أمير المسلمين أو يحظى عنده إلاّ من علم الفروع أعني فروع مذهب مالك"، ذلك أن مؤسس دولة المرابطين عبد الله بن ياسين درس على المالكية ، فلا غرابة أن يتشبع ملوك المرابطين بتعاليم المذهب المالكي، فخاضوا في الفروع حيث لا سبيل للاجتهاد أو الاستنباط، واكتفوا بالتسليم به دون معارضة ، وقد أشار المراكشي في قوله: ((حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله)) وهم لم يكتفوا بذلك فقط بل عمدوا إلى حرق كتب أبي حامد الغزالي" إحياء علوم الدين" سنة 503هـ .

ومن أشهر فقهاء هذه الفترة محمد بن أحمد بن رشد (ت520هـ) "كان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع أهل عصره"، من تواليفه:" البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل".

ومن أعلام عصر المرابطين الفقيه والوزير والمستشار مالك بن وهيب الإشبيلي(ت525هـ / 1130م) ، له باع طويل في جميع العلوم ، نظم الشعر ، وكتب مؤلفات في الفلسفة والتاريخ ، منها كتابه الذي أسماه (قراصنة الذهب في ذكر لثام العرب) ، وذاعت شهرته من خلال المناظرة التي قامت في حضرت الأمير علي بن يوسف ، بين فقهاء المرابطين والفقيه محمد بن تومرت ، الذي كان ثائراً على الاوضاع الاجتماعية في الدولة المرابطية ، فيرى المؤرخون أن مالك بن وهيب لما سمع كلام ابن تومرت ، استشعر حدة نفسه ، وذكاء خاطره ، واتساع عبارته ، فأشار على أمير المسلمين بقتله أو اعتقاله قبل أن يستفحل خطره ؛ لأنه رجل مفسد ولا يسمع كلامه أحدٌ إلا مال إليه ، غير أن الأمير علي أحجم عن قتله أو اعتقاله ؛ لعدم ثبوت التهمة عليه ومنهم أيضا محمد بن علي المازري (ت536هـ) "الفقيه المالكي المحدث، أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه"، من كتبه:" المعلم بفوائد كتاب مسلم" وشرح كتاب" التقين" في عشرة أسفار، وهو من أنفس الكتب وفي عهدهم بدأ علماء المغرب والأندلس ، ينافسون علماء المشرق في هذا المضمار ، ويتفوقون عليهم في كثير من النواحي ، ويبدو أن مدارس الأندلس قد نهضت نهضة موفقة في عهد المرابطين ، ومن أهم مدارس الأندلس مدرسة قرطبة ومن ابرز اعلامها الفيلسوف ابن رشد (الجد) ، وابن رشد (الحفيد). وازدهرت مدارس مرسية ، والمرية ، ودانية

وكان من بين علماء هذا العصر الإمام القاضى أبى بكر بن العربى(ت: 543هـ) مؤلفات كثيرة لم يصلنا أغلبها، وقد قضى أربعين سنة في الإملاء والتدريس، وفي بث ما حصله مِن العلوم، وصنف في فنون متعددة منها: علوم القرآن, والحديث، و مشكل القرآن والحديث، وأصول الدين، وكتب الزهد، وأصول الفقه، وكتب الفقه، والجدال والخلاف، واللغة والنحو والتاريخ، ومِن أشهر المؤلفات التي انتفع بها المسلمون العواصم مِن القواصم، أحكام القرآن، القبس في شرح موطأ ابن أنس، المسالك على موطأ مالك , الإنصاف في مسائل الخلاف، وأعيان الأعيان . وذكرت كتب الطبقات عن المدارس وعن العلماء فعددت مناقبهم وبينت مكانتهم وذكرت مشايخهم ومن أخذ عنهم ، وكشفت النقاب عن تفوق علم الفقه والرواية والحديث في ذلك العصر تفوقاً عظيماً . وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تشتهر بلون من الوان المعرفة أو بها جميعاً ، وهذا معناه أنّ كلّ علم له فرصته في البروز والظهور كما أنّه من المعلوم أن غالب أهل العلم والادب في هذا العصر درسوا الفقه ، وشاركوا في معرفة أصوله وفروعه ، حتى اننا نجد أن لقب (فقيه) كثيرا ما كان يطلق على العالم بأي فرع من العلوم ولو لم يشتغل بالفقه ، ولذلك كان الملثمين يسمّون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تبيجله بالفقيه ، وقد يطلقون على الكاتب والنحوي واللغوي تسمية فقيه ؛ لأنها عندهم أرفع السمات ، وعلم الاصول عندهم متوسط الحال ، في حين بلغ النحو قمة الرقي والازدهار ، حتى شبه عصرهم بعصر أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ / 718م) وسيبويه (ت180هـ / 765م) ، وكل عالم في أيّ علم غير متمكناً من علم النحو لن يسلم من الازدراء . والشعر عندهم له مكانة عظيم ، وللشعراء وجاهة عند الملوك ، والمجيدون منهم ينشدون في

مجالس الملوك والأمراء ، وقد تفوق الفقه المالكي على العلوم الاخرى ، وواصل تقدّمه ، وكثرت مناظرته ، وعقدت المجالس الحافلة في مدن الدولة كلها سواء في المغرب أو الأندلس ، وامتزجت دراسة الفقه بعلم الاصول ، وظهر الاشتغال بعلم الكلام على طريقة أهل النظر والتأويل ، وعني كثيرون بعلم القراءات ، وهذا العلم الذي لم ينقطع الاشتغال به في مختلف العصور وهو فرع من علم التفسير وقد نشط الاشتغال بعلم الحديث والرواية فكثرت الرحلات لسماعه والأخذ عن رجاله رغبة في علو الاسناد والضبط والاتقان ، ولم تكن العلوم الفلسفية والرياضية والطب قليلة الحظ من الاهتمام بها والاقبال عليها ؛ وقد بدأ استخدام البلاط المرابطي للكتاب الأندلسيين ، منذ عهد الأمير يوسف بن تاشفين ، فكان كاتبه عبدالرحمن بن أسباط أديب أندلسي من أهل المرية قبل أن يعبر إلى شبه الجزيرة . وكتب عن الدولة المرابطية كاتبان اندلسيان هما أبو نصر الفتح بن خاقان(ت529هـ / 1134م) وهو إشبيلي من كتاب الطوائف الأعلام ، اشتهر بإسلوبه الأدبي البليغ المسجع ، الذي اتبعه في كتابيه (قلائد العقيان) و(مطمح الانفس) ، اتصل بمعظم أمراء الطوائف ثم خدم الأمير أبا ابراهيم إسحق بن يوسف بن تاشفين ، وكتب له كتاب القلائد المذكور ، وانتقل أواخر حياته الى مراكش وعاش بها ، وكان خليعا مدمنا ، منحرف السلوك ، روي أنه توفي قتيلاً من قبل الأمير علي بن يوسف .

وفي التاريخ برز في هذا العصر الفتح بن خاقان، فهو إشبيلي من كتاب الطوائف الأعلام. وقد اشتهر بأسلوبه الأدبي البليغ المسجع، وهو الذي اتبعه في كتابيه " قلائد العقيان " و " مطمح الأنفس ". طاف في أول أمره بقصور الطوائف، واتصل بمعظم أمرائها. ثم خدم الأمير أبا إبراهيم أسحق بن يوسف بن تاشفين، أخا أمير المسلمين علي بن

يوسف، وكتب له كتابيه " القلائد " مشتملا على تراجم أمراء الطوائف، وأعيان العصر من الفقهاء والكتاب وانتقل في أواخر حياته إلى مراكش وعاش بها، وكان خليعاً مدمناً، منحرف السلوك، فانتهى بأن توفي قتيلا في الفندق الذي يسكنه، وقيل إن الذي أشار بقتله هو علي بن يوسف .

ومن علماء هذا العصر القاضي الفقيه عياض (ت: 544هـ) الذي عرف بخُلُقه المتواضع وسيرته العطرة وسار في النَّاس سيرة العدل، ورفع الظلم، وإحقاق الحقوق دون خوف من أمير أو وزير، ونشط وضاق به ذرعًا مَن تعرَّضت مصالحه للخطر، ولا يستطيع الحصول عليها إلا بالظلم، وأسفرت مكايد الأشرار في غرناطة عن عزل القاضي النزيه في عام 532هـ, ورجع إلى بلده ليكون بعيدًا عن القضاء قريبًا لطلاب العلم وحلقاته, وقصده النَّاس وانتفع به العباد, ونشر نور الكتاب والسنة في البلاد، واستمرَّ على تلك الحالة الدعوية سبع سنين، وفي أواخر دولة المرابطين عام 539هـ دعي ليتولَّى قضاء سبتة من جديد، وهو في الثالثة والستين من عمره، وكان شيخًا جليلاً وعالمًا عظيمًا، وقاضيًا حكيمًا, وأبًا رحيمًا، فابتهج النَّاس لعودته, وسار فيهم سابق سيرته، وما مضت شهور قليلة حتى سقطت دولة المرابطين على يد دولة المُوَحِّدِين .

كانت مؤلفات القاضي عياض أكثرها في الحديث الشريف، ثم في التاريخ والطبقات ثم في الفقه، ثم في القرآن .ومنها :(الشفا بتعريف حقوق المصطفي)، موضوعه في السيرة النبوية والعقيدة والأصول والتفسير والحديث. و(مشارق الأنوار على صحيح الآثار) وموضوعه تفسير غريب الحديث في الصحاح الثلاثة: (موطأ مالك) و (صحيحي البخاري ومسلم)، فضبط أسماء الرجال والألفاظ, ونبه على مواضع الأوهام والتصحيفات وغيرها ·

ومن الكتاب الذين اتصلوا بالدولة المرابطية ، اخيل بن إدريس الرندي (ت560هـ / 1164م) ، كتب في بداية حياته للمرابطين ، ثم اتصل بحكومة الموحدين وولي قضاء قرطبة وإشبيلية ، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مطبوعاً .

وأما ابن الصيرفي(ت: 570 هـ/ 1174 م) عاش أواخر أيامه في غرناطة فهو يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، يكنى أبا بكر كان من أعلام العصر المرابطي في البلاغة والأدب والتاريخ، وكان من الكتاب المجيدين، والشعراء المطبوعين، كتب بغرناطة عن الأمير تاشفين بن علي، أيام أن كان والياً للأندلس، وألف في تاريخ الأندلس في العصر المرابطي كتاباً سماه " الأنوار الجلية في أخبار الدولة المربطية ". وكتاباً آخر سماه " قصص الأنباء وسياسة الرؤساء ". وهما مؤلفان لم يصلا إلينا مع الأسف. ولم يصلا إلينا من مؤلفه الأول سوى شذور نقلها المتأخرون، مثل ابن الخطيب وغيره، ومن ذلك روايته عن غزوة الفونسو المحارب للأندلس، وهي واقعة كان من معاصريها وشهودها، وقد فصلنا حوادثها في موضعها .

أما عن الجانب العمراني في الأندلس في عصر المرابطين:

فقد ابتكر المرابطون نظاما جديدا في تخطيط الأسوار ، إذ عمدوا إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة متكسرة ، وميزة هذا النظام أن يترك الجند أعداءهم يتقدمون داخل إحدى الزوايا ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار فيفتكون بهم ، ولا زالت بقايا هذا الصرح العمراني باقية الى الآن في مدينة اشبيلية والذي يعرف بـ(سور مقارنة) أولى هؤلاء العمارة اهتمامهم فكانوا يحيطون مدنهم الكبرى بأسوار ضخمة تتخللها أبراج ضخمة، مثل برج الذهب الذي كان يطل على الوادي الكبير عند إشبيلية وقد فرض المرابطون في عصر علي بن يوسف على أهل الاندلس ما يسمى بضريبة التعتيب وقد استدموا عائد هذه الضريبة في بناء الأسوار في المدن الرئيسية بالأندلس مثل غرناطة، المرية، قرطبة، اشبيلية.. واصلاح ما تداعى منها اهتم المرابطون بتشييد القلاع والحصون، منها بالأندلس "قلعة منتقوط" وهي تشرف على بساتين مرسيه، وهي ترجع الى عصر علي بن يوسف .

ترك المرابطون على غرار السابقين واللاحقين آثارا عمرانية شاهدة على ما بذلوا من جهد، وإن اندثرت معظم هذه الآثار، أو امتدت إليها آيادي التخريب فمن آثارهم الباقية هي : قاعة السفراء في قرطبة، ودار الحجر التي أسسها علي بن يوسف، وقصر الحجر التي أسسها علي بن يوسف، ، والزيادات في بناء القرويين، وبناء المقصورات في المساجد التي أخذها عنهم الموحدون، ومن آثارهم المشهورة مسجد الكتبية القديم .

ولم يقتصر الأمر على التشييد والبناء، بل تجاوز ذلك إلى الزخرفة وما يدور في فلكها، فقد تأنق المرابطون في تشييد القصور والمنيات والبساتين وتفنن المهندسون في زخرفة هذه القصور ومختلف البناءات

حتى بدت الأندلس في أواخر العصر المرابطي زاخرة بمظاهر حياة الترف والبذخ .

- الأندلس في عصر الموحدين:

- ظهور دولة الموحدين:

سميت هذه الدولة بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها محمد بن تومرت و بذلك سقطت دولة المرابطين وتولي الموحدين الحكم في المغرب و كانت عاصمتهم هي مراكش بعد ذلك توجه الموحدون نحو الأندلس فضلا عن إرسال وفد من الفقهاء إلى مراكش و كانت الولاية بيد بن عبد المؤمن الكومي و كان الوفد يطالب بإرسال جيوش إلى الأندلس عند ذلك أصبحت الأندلس ولاية موحدية واتخذوا من اشبيلية مقرا لحكمهم تكريما لأهلها لأنهم أول من استدعوهم إلى الأندلس وفي

زمن الموحدين حدثت معركتين مهمتين كان لهما أثر كبير على الأندلس .

وكما موضح في الخارطة أدناه اتساع حدود الدولة الموحدية في الأندلس :

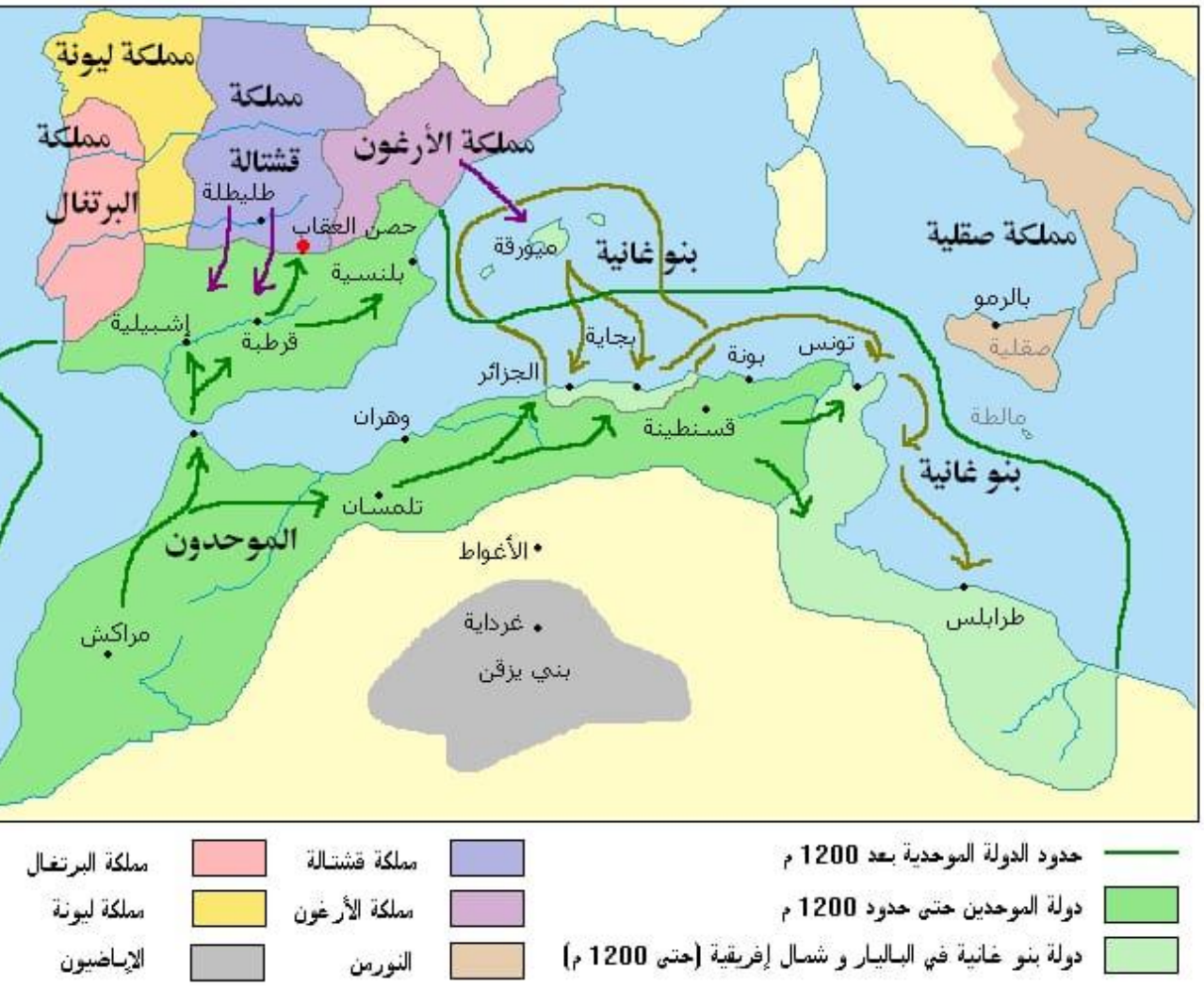

أولاً – ظهور المهدي بن تومرت :

وفي حدود سنة 515 قام بسوس محمد بن عبد الله بن تومرت في صورة آمر بالمعروف, ناه عن المنكر وهو من أهل سوس، مولده بها ، وهو من قبيلة تسمى هرغة، من قوم يعرفون بـ (إيسرِغينن) وهم الشرفاء بلسان المصامدة ، ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وجدت بخطه وكان قد رحل إلى المشرق في شهور سنة (501 هـ/ 1107م) في طلب العلم، وانتهى إلى بغداد، ولقي أبا بكر الشاشي ، فأخذ عليه شيئًا من أصول الفقه وأصول الدين وقيل: إنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده وقيل أنه أخبر الإمام الغزالي بما فعل أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب، من إحراقها وإفسادها، وابن تومرت حاضر ذلك المجلس، فقال الغزالي حين بلغه ذلك: ليذهبن عن قليل ملكه، وليُقتلن ولده، وما أحسب المتولي لذلك إلا حاضرا مجلسنا وكان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم فقوي طمعه ، ومن ثم انتقل إلى الإسكندرية، فأقام بها يختلف إلى مجلس أبي بكر الطرطوشي الفقيه . وجرت له بها وقائع في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أفضت إلى أن نفاه متولي الإسكندرية عن البلاد فركب البحر؛ فبلغني أنه استمر على عادته في السفينة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن ألقاه أهل السفينة في البحر. فأقام أكثر من نصف يوم يجري في ماء السفينة لم يصبه شيء. فلما رأوا ذلك من أمره أنزلوا إليه من أخذه من البحر، وعظم في صدورهم، ولم يزالوا مكرمين له إلى أن نزل من بلاد المغرب بجاية, فأظهر بها تدريس العلم والوعظ، واجتمع عليه الناس، ومالت إليه القلوب، فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عاديته، فخرج منها متوجهًا إلى المغرب فنزل بضيعة يقال لها ملالة، على فرسخ من بجاية وبها لقيه عبد المؤمن بن علي، وهو إذ ذاك متوجه إلى

المشرق في طلب العلم؛ فلما رآه محمد بن تومرت، عرفه بالعلامات التي كانت عنده. وكان ابن تومرت هذا أوحد عصره في علم خط الرمل، مع أنه وقع بالمشرق على ملاحم من عمل المنجمين من بعض خزائن خلفاء بني العباس أوصله إلى ذلك كله فرط اعتنائه بهذا الشأن, وما كان يحدث به نفسه . وينكر ابن عنان انه لم يحصل أي لقاء بين ابن تومرت والإمام الغزالي وقد استند ابن عنان في رأيه على هذا اشاهد إذ يقول : ((هي أسطورة إذن، نسجت كما نسجت نسبة ابن تومرت إلى آل البيت، لتغدو هالة تحيط بشخصه وسيرته، وتذكي عناصر الخفاء القدسية، حول شخصه وإمامته. وقد اختير الإمام الغزالي لبطولتها بالذات لتبوئه يومئذ أسمى مكانة من العلم والدين والورع في العالم الإسلامي، ولشهرته الذائعة في المغرب، وصلاته المعروفة بعاهل المرابطين يوسف بن تاشفين، وتأثيره الشرعي لديه، وتأييده لدولته. ويبدو لون الأسطورة في هذه القصة التاريخية بنوع خاص، فيما تزعمه الرواية من أن الإمام الغزالي، حين رؤيته لابن تومرت، شهد من صفاته وشمائله، وتبين فيه من العلامات والآثار، ما يدل على أمره ومستقبله، وأنه كان يقول لجلسائه " لابد لهذا البربري من دولة، أما إنه يثور بالمغرب الأقصى، ويظهر أمره، ويعلو سلطانه، ويتسع ملكه، فإن ذلك ظاهر عليه في صفاته، وباين عنه في شمائله ثم تزيد الرواية على ذلك، أن بعض الصحب نقل ذلك إلى ابن تومرت، وأخبره أن ذلك عند الشيخ في كتاب، فلم يزل ابن تومرت يجتهد في خدمة الشيخ ويتقرب إليه، حتى اطلع على الأخبار التي كانت فيه، فلما تحقق من ذلك اعتزم الرحيل إلى المغرب ليتابع قدره، ويبحث عن مصيره ولم يقف أمر هذه الأسطورة التي تجمع بين الغزالي وابن تومرت عند هذا الحد، بل لقد

كان من آثارها أنه يوجد كتاب منسوب للغزالي عنوانه " سر العالمين"))

.

وقيل أنه لما نزل ملالة سُمع وهو يقول: ملالة! ملالة! يكررها على لسانه يتأمل أحرفها وأقام بهذه الضيعة أشهرًا، وبها مسجد يعرف به، وهو باقٍ إلى اليوم، لا أدري أبني على عهده أو بعده فاستدعى عبد المؤمن وخلا به، وسأله عن اسمه واسم أبيه ونسبه، فتسمى له وانتسب. وسأله عن مقصده فأخبره أنه راحل في طلب العلم إلى المشرق. فقال له ابن تومرت: أوَخَير من ذلك قال: وما هو قال: شرف الدنيا والآخرة؛ تصحبني وتعينني على ما أنا بصدده، من إماتة المنكر وإحياء العلم وإخماد البدع. فأجابه عبد المؤمن إلى ما أراده وأقام ابن تومرت بملالة أشهرًا، ثم رحل عنها، وصحبه من أهلها رجل اسمه عبد الواحد، يعرفه المصامدة بعبد الواحد الشرقي، وهو أول من صحبه بعد عبد المؤمن؛ وخرج متوجهًا إلى المغرب حتى أتى مدينة تلمسان، فأقام بمسجد بظاهرها يعرف بـ العباد جاريا على عادته، وكان قد وضع له في النفوس هيبة وفي الصدور عظمة، فلا يراه أحد إلا هابه، وعظم أمره .

وبعد ذلك خرج ابن تومرت من ملالة متجها إلى مراكش فوصل اليها في سنة (514هـ / 1120م) وهناك واصل دعوته متخذا من فساد الطبقة الحاكمة العليا مادة لوعظه ، فكثر أتباعه والتف حوله جمع غفير من الناس ؛ الأمر الذي أثار مخاوف المرابطين فأخرجوه من المدينة ، فسار إلى أغمات وهناك حدث تحول في أسلوبه الدعوي عندما خلع بيعة الأمير علي بن يوسف ، وفي هذه المرحلة يبدو أن دعوته بدأت تستهدف إلى جانب محاربة الفساد الأخلاقي والاجتماعي ، محاربة الفساد السياسي المستشري في الدولة المرابطية . ثم سار إلى قبيلته هرغة ، ونزل برباط أيجلى وهي ضيعة بالسوس في سنة

(514هـ / 1120م) ، مستغلاً عامل العصبية بنزوله بين قبائل مصمودة وهي القبيلة التي ينتمي اليها الموحدون ، الذين كانوا في صراع مع المرابطين وهناك بدأ بتنظيم اتباعه وظل عاما يعظ ويدرس على هدي المذهب الاشعري ، ويحرض الناس للخروج على الحكام ووجوب قتالهم ، فذاع صيته بين أهل السوس واجتمعوا عليه ، ولما استوثق من قبيلته وأقنعهم بأفكاره أعلن مهديته .

- الدولة الموحدية في عهد عبدالمؤمن بن علي :

في سنة (541هـ/1146م) بزغ نجم دولة الموحدين، وكان أول حكامها عبد المؤمن بن علي(487-558هـ/1094-1163م) صاحب محمد بن تومرت، والرجل الثاني بعد ابن تومرت المؤسس الحقيقي والفعلي لجماعة الموحدين وهو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، نسبته إلى كومية (من قبائل الأمازيغ البربر) وكان ينسب نفسه إلى العرب من مضر ولد في مدينة تاجرت بالمغرب قرب تلمسان، ونشأ فيها طالب علم، وأبوه صانع فخار.

ويصفه عبد الواحد المراكشي وكان أبيض ذا جسم عمم، تعلوه حمرة، شديدَ سواد الشعر، معتدل القامة، وضيء الوجه، جهوري الصوتِ، فصيح الألفاظ، جَزْل المنطق، وكان محببا إلى النفوس.

وذكر الذهبي في كتابه أنه كان ملكًا عادلاً، سائسًا، عظيم الهيبة، عالي الهمة، متين الديانة، كثير المحاسن، قليل المِثْل، وكان يقرأ كل يوم سبعا من القرآن العظيم، ويجتنب لبس الحرير وهذا يعني أن لبس الحرير كان عادة وإلفًا في زمانه وكان يصوم الاثنين والخميس، ويهتم بالجهاد والنظر في الملك كأنما خُلق له. ثم بعد هذه الأوصاف نجد هذه العبارة التي تحمل كثيرا من علامات الاستفهام حيث يقول: وكان سفاكا لدماء من خالفه.

وكان عاقلا حازما شجاعا موفقا، كثير البذل للأموال، شديد العقاب على الجرم الصغير، عظيم الاهتمام بشئون الدين، محبا للغزو والفتوح،

خضع له المغرب الأقصى والأوسط، واستولى على إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، والجزائر، والمهدية، وطرابلس الغرب، وسائر بلاد إفريقية، وأنشأ الأساطيل، وضرب الخراج على قبائل المغرب.

صراع عبد المؤمن الموحدي مع المرابطين :

بدأ هذا الصراع منذ سنة(524هـ / 1130م) أخذت الصراع الموحدي المرابطي طابع الصدام المسلح وفي هذا التاريخ جهز المهدي بن تومرت جيشا جرارا من الموحدين إلى مدينة مراكش في أربعين ألفا فخرجت إليهم جيوش المرابطين بقيادة الزبير بن علي بن يوسف واشتبك الجيشان في معركة عنيفة انتهت بهزيمة الموحدين.

وفي سنة (531هـ / 1136م) بين الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف والأمير الموحدي عبد المؤمن فسار بالجيش في الصحراء قبالة جيش عبد المؤمن ، الذي كان يسير في الجبال، ولم تحدث بينهما حروب ومعارك فاصلة .

وفي سنة (538هـ / 1143م) توجه عبد المؤمن بجيشه إلى تلمسان للاستيلاء عليها ، فسارع تاشفين لنجدتها ، وعسكر الفريقان هناك دون حرب ، وحدثت مناوشات قليلة ، واستمر الوضع على ذلك حتى سنة (539هـ / 1144م) ، إذ توجه عبد المؤمن إلى جبل تاجرة ، ووجه جيشا مع عمر الهنتاني إلى مدينة وهران ، فهاجمها بغتة ، واستولى عليها ، فسمع بذلك تاشفين فسار إليها ، فخرج منها عمر ، ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر في شهر رمضان من السنة نفسها ، وقتل القائد تاشفين بن علي . وروي ان سبب مقتله ، أنه قصد حصنا هناك على رابية ، وله فيه بستان كبير ، مثمر ، فاتفق أن عمر الهنتاني ، أرسل سرية إلى ذلك الحصن ، ولم يعلموا أن تاشفين فيه ، فاشعلوا النار في بابه ، فأراد تاشفين الهرب ، فركب فرسه ، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور ، فسقط في النار ، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن ، فمات في الحال بسبب إصابته ، ثم صلبوه ، وقتل كل من معه ، وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة ، فتولى بعده أخوه إسحاق بن علي بن يوسف ، ولما وصل عبد المؤمن دخلها

بالسيف ، وقتل فيها ما لا يحصى ، ثم سار عبد المؤمن إلى تاهرت ، فامتنع أهلها وغلقت أبوابها ، وتأهبوا للقتال .

أما مدينة تاهرت فكان فيها يحيى ابن الصحراوية ، فهرب منها بجنوده إلى مدينة فاس ، وجاء عبد المؤمن إليها ، فسارع أهلها للدخول في طاعته ، ولكنه لم يقبل منهم ، وقتل أكثرهم . وهذا يشير إلى أن عبد المؤمن كان سفاكا للدماء . ثم دخل المدينة ورتب أمرها ، ورحل عنها تاركاً قوة من عسكره يحاصر أغادير ، وفي سنة (540هـ / 1145م) سار إلى مدينة فاس فحاصرها تسعة أشهر ، وفيها يحيى ابن الصحراوية ، وعسكره الذين فروا من تاهرت ، فلما طال حصار المدينة عمد عبد المؤمن إلى نهر يدخلها ، فسده مدة ، حتى اذا اجتمع الكثير من الماء فتح المجرى فجأة ، فهدم سورها ، وكل ما بجوار النهر من مبان ، فلما أراد دخولها خرج إليه أهلها ، وقاتلوه خارجها فلم يتمكن من دخولها . ثم عاد والي فاس وأعيانها فكاتبوا عبد المؤمن في طلب الأمان لأهلها ، فأجابهم إليه ، ففتحوا له بابا من أبوابها ، فدخلها جيشه في أواخر سنة (540هـ / 1145م) ، وهرب يحيى ابن الصحراوية ، وسار إلى طنجة ، ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس ، وأمر فنودي في أهلها ، من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه ، فحمل كل من في البلد ما عندهم من سلاح إليه ، فأخذه منهم .ولما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي ، سار إلى مراكش حاضرة المرابطين ، وهي من أكبر المدن وأعظمها ، وكان يحكمها حينئذ إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، وكان صبياً صغيراً ، فوصل مراكش سنة (541هـ / 1146م) ، وتوالت الهزائم على الجيوش المرابطية، معركة بعد أخرى، وتمزق صفوفها، وفناء عديدها، وهبوط روحها المعنوي، من جراء هذا

الإدبار المستمر كان ذلك كله مما يؤذن بأنه مهما كانت المقاومة المريرة اليائسة، التي يمكن أن تبذل في المرحلة الأخيرة، من ذلك الصراع الرهيب، فإنها لن تغني شيئاً، ولن تحول دون وقوع الكارثة المرتقبة، التي أخذت طوالعها تبدو قوية في الأفق، ولاسيما بعد مصرع الأمير تاشفين بن علي، وتبدد جيوشه الضخمة على هذا النحو الشامل والواقع أن الدولة المرابطية لم تعد بعد هذه الضربة القاضية، سوى شبح هزيل. ففي مراكش، كان يمثل الفصل الأخير من مأساة الدولة المحتضرة، وذلك حينما بويع في مراكش، على أثر مصرع تاشفين، لولده الأمير أبى إسحاق إبراهيم، وكان أبوه قد ولاه ولاية عهده، منذ وفوده عليه في تلمسان في أواخر سنة(538 هـ / 1143م) ، ثم وجهه إلى مراكش، وذلك قبيل وفاته بنحو شهر.

على أن هذه البيعة التي تمت في أدق الظروف التي كانت تواجهها الدولة المرابطية، لم تقع دون خلاف. فإن إسحاق بن علي عم الأمير إبراهيم، خرج عليه ودعا لنفسه بالإمارة، ووقع الجدل والتطاحن بين الفريقين داخل العاصمة المرابطية، وكان الموحدون في ذلك الوقت نفسه يقتربون من فاس، والوفود والحشود، تترى من كل صوب على عاهلهم عبد المؤمن، فتزيد جموعه، وتعزز قواه وسار عبد المؤمن بعد ذلك إلى أجرسيف، وهي تقع في منتصف المسافة بين تلمسان وفاس، فنزل عليها، ولقي الموحدون بعض المقاومة من بعض زعماء تلك الناحية، فجرد عليهم عبد المؤمن بعض قواته، فمزقت جموعهم وقتلتهم .

وذكر البيذق أن عبد المؤمن لم يكن حاضراً، وقت دخول الموحدين فاس، وأنه كان عندئذ على حصار مكناسة ،.كما قيل أن الجياني اتصل بعبد المؤمن ذاته، وأدخله المدينة من باب الفتوح وعندما علم عبد المؤمن، وهو بمكناسة، بسقوط فاس، قدم إليها بسرعة ودخلها،

وولي عليها أبا إسحاق بن جامع ومشرفها الجياني، وأمر بقتل كل من قبض عليهم من أشياخ المرابطين، إلا عمر بن ينتان وزير علي ابن يوسف السابق، وهو الذي تعرض لحماية المهدي ابن تومرت، وصرف علي ابن يوسف عن إيذائه، حسبما تقدم في موضعه، وكان المهدي نفسه قد نهي عن قتله وقتل ذريته، فاكتفي عبد المؤمن باعتقاله وأمر عبد المؤمن بهدم أسوار فاس، فهدم معظمها، وصرح عبد المؤمن بأن الموحدين لا يحتاجون إلى أسوار، وإنما الأسوار هي سيوفهم.

وكان عبد المؤمن حين وجوده تحت أسوار فاس (سنة 540 هـ)، قد وفد عليه قائد الأسطول الأندلسي المرابطي على بن عيسى بن ميمون، وقدم طاعته، ثم عاد إلى الأندلس، وأقام الخطبة للموحدين بجامع قادس، وهي مركز قيادة الأسطول في تلك المنطقة. ثم وفدت على عبد المؤمن خلال مسيره إلى سلا، رسل أهل سبتة يحملون إليه بيعتهم. فتقبلها منهم، وندب للولاية على سبتة يوسف بن مخلوف التينملي من مشيخة هنتانه .

أما عن الاثار السلبية لسقوط دولة المرابطين :

1- مقتل عشرات الآلوف من المسلمين في بلاد المغرب والأندلس نتيجة الحروب التي حدثت بين المرابطين والموحدين ، وذلك في نحو ثمان وعشرين سنة ؛ من سنة (512هـ /1118م) إلى قيام دولة الموحدين في سنة (541هـ /1146م) .

2- كان لسقوط مدينة المرية بيد النصارى سنة (542هـ / 1147م) بعد قيام دولة الموحدين بسنة واحد ، والمرية تقع على ساحل بحر الروم (البحر المتوسط) في جنوب الأندلس ؛استشهد فيها الأف المسلمين ، وسبيت أكثر من أربعة عشر ألف فتاة مسلمة .

3- سقوط طرطوشة ثم لاردة في أيدي النصارى سنة (543هـ / 1148م) وهما من أعمال مملكة سرقسطة التي تقع في الشمال الشرقي ، والتي كان قد حررها المرابطون قبل ذلك .

4- ومن آثاره أيضا أنه مكن لمملكة البرتغال في الجنوب في التوسع على حساب المناطق التي كانت خاضعة للمسلمين، وكانت أكثر الممالك شدة ضراوة وحربا على المسلمين .

- عبور الخليفة أبو يعقوب الموحدي الى الأندلس :

بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي بمحلته بثغر سلا في ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة (558 هـ/ 1163 م) خلفه على الأثر، ولده السيد أبو يعقوب يوسف، وعقدت له البيعة بمحلة أبيه في يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة، وتولى تنظيمها أخوه شقيقه السيد أبو حفص عمر، والشيخ أبو حفص عمر الهنتاني كبير أشياخ الموحدين، تنفيذاً لوصية الخليفة الراحل، وكان الخليفة الجديد عند ولايته فتى في الخامسة والعشرين من عمره، وكان مولده بتينملل في الثالث من شهر رجب سنة 533 هـ، وأمه حرة هي زينب بنت الفقيه القاضي موسى بن سليمان الضرير التينمللي من أصحاب خمسين. ولما كملت البيعة سار الخليفة الجديد من سلا إلى مراكش، ونزل قصر الخلافة، وتولى الشيخ أبو حفص وعظ الموحدين على اختلاف مراتبهم، وحثهم على التزام فروض الطاعة. ثم أعلنت وفاة الخليفة الراحل، وحمل جثمانه إلى تينملل، حيث ووري إلى جانب إمامه المهدي ابن تومرت.

ولم يتخلف عن بيعة أبي يعقوب يوسف، سوى بعض أشياخ الموحدين وثلاثة من الإخوة، هم السيد أبو الحسن علي، والسيد أبو محمد والي بجاية، والسيد أبو سعيد والي قرطبة. فأما السيد أبو الحسن فقد كان حاضراً ليلة وفاة أبيه، وعقد البيعة لأخيه، ولما عاد من تينملل بعد مواراة الخليفة الراحل، لزم العزلة، وبرّحت به عوامل الغيرة والحقد، حتى مرض وتوفي غير بعيد وذلك في أواخر سنة(558 هـ/ 1173م) وأما السيد أبو محمد عبد الله والي بجاية، فقد لزم عاصمة إمارته، وكُتب الخليفة تتردد إليه بالاستعطاف والاستدعاء، وهو يتمهل، ويرد بالاعتذار والاستعداد للرحيل، واستمر في هذا التردد والتسويف نحو عام ونصف، وأخيراً اعتزم أمره، وغادر بجاية في حاشيته، قاصداً إلى مراكش، فأدركته المنية في الطريق (سنة 560 هـ/ 1175م) فأسف أخوه الخليفة

لفقده، وشمل أهله وبنيه بعطفه ورعايته. ونظر فيما يجب لضبط شئون بجاية حتى يعين لها والٍ جديد.

وحدث في مراكش خلال هذا العام، وفي أثناء غياب السيد أبي حفص بالأندلس، حدث هام، هو تولي الخليفة أبي يعقوب يوسف لسلطانه المباشر، واختصاصه للوزير أبي العلاء إدريس بن جامع بتدبير الشئون وتقريبه إياه، واختار ابن جامع لمعاونته صفوة من رجاله المخلصين، في مقدمتهم الخطيب أبو الحسن الإشبيلي، وأبدى في منصبه كفاية وغيرة ونزاهة، وبذل في تصريف الأمور وإقامة العدل، وتوطيد السكينة والأمن، جهوداً مشكورة، وأحسن لمن وفد عليه واستغاث به، من أجناد الأندلس المُضامين أو المأسورين، يفتديهم بماله، ويهبهم الخيل وآلات الحرب والكساء، وأسبغ رعايته على الموحدين المقيمين، وعلى طلبة الحضر الوافدين إلى العاصمة، وفرض الزكاة على حكم الكتاب والسنة، وأنفقها في وجوهها المشروعة.

هو النظر في تعيين الولاة. وكانت بجاية وإشبيلية في مقدمة الولايات التي خلت رياستها، فقرر الخليفة بعد مشاورة أخيه السيد أبي حفص، أن يعين لولاية بجاية وأقطارها أخاه السيد أبا زكريا يحيى بن عبد المؤمن. فسار إليها من الحضرة في فاتحة جمادى الأولى سنة 561 هـ، ومعه جملة من أبناء الجماعة والحفاظ وعين لولاية إشبيلية الشيخ أبا عبد الله بن أبي إبراهيم إسماعيل، أحد أصحاب المهدي العشرة، وعين له وزيراً لمعاونته هو أبو زكريا بن سنان، وهو من أكابر علماء الدعوة المهدية، فغادر مراكش في صحبة من الحفاظ إلى مقر ولايته، في الحادى والعشرين من جمادى الآخرة، ووصل إلى إشبيلية في أول شهر رجب. وما كاد يصل إليها، حتى كانت جماعة من نصارى شنترين، قد اخترقت ولاية الغرب، ووصلت في غارتها إلى بلدة طلياطة، الواقعة

جنوبي شرقي لَبلة. فجهز الشيخ أبو عبد الله حملة لردهم من الحفاظ والعرب وجند إشبيلية، بقيادة أبي العلاء بن عزون، فادركتهم وهزمتهم، واستنقذت منهم الغنائم والأسرى، وأسرت جملة منهم. وبعث الوالي الجديد بخبر هذه الموقعة إلى الخليفة فسر به ولم يمض على انفراد الشيخ أبي عبد الله بولاية إشبيلية سوى أشهر قلائل، حتى عين الخليفة أخاه السيد أبا إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن والياً لإشبيلية، فوصل إليها في أول شهر ذي الحجة سنة 561 هـ، وتقرر أن يبقى معه الشيخ أبو عبد الله، على ما كان عليه، وأن يتولى الشئون العسكرية، وتوثقت أواصر المودة والتعاون بين الرجلين، واستمرا معاً في النظر في شئون إشبيلية، حتى وصل أمر الخليفة بندب الشيخ أبي عبد الله للقيام بولاية غرناطة وذلك في أواخر شعبان سنة 562 هـ، فغادر إشبيلية في صحبه من الحفاظ وغيرهم في أوائل شهر رمضان إلى غرناطة، واستقر في ولايتها، واستدعى الخليفة في نفس الوقت أخاه السيد أبا سعيد، والي قرطبة للقدوم إلى الحضرة، فغادرها في أوائل ذي القعدة سنة 561 هـ.

وفي أواخر سنة(563 هـ 1168 م) – ندب أبو يعقوب أخاه السيد أبا إسحاق إبراهيم والياً لقرطبة، وكانت بلا والٍ مذ غادرها واليها السابق السيد أبو سعيد عائداً إلى مراكش نزولاً على رغبة أخيه الخليفة، وعبر السيد أبو إسحاق إلى الأندلس في عسكر ضخم من الموحدين وسار إلى قرطبة ليتقلد ولايتها. وكان عبوره فاتحة الحركة التي كانت تجتمع أسبابها منذ حين، لعبور الموحدين إلى شبه الجزيرة، للاضطلاع بمحاربة النصارى، وافتتاح عهد جديد من الجهاد في الأندلس ، وفي أواخر هذا العام أيضاً وقع حادث ذو مغزى خاص، هو قدوم الزعيم القشتالي فرناندو ردريجيس صهر فرناندو الثاني ملك ليون وزوج أخته إبنة القيصر الفونسو ريموندیس، مع أخويه إلى إشبيلية، والإعراب عن

رغبته لأشياخ الموحدين بها، في أن يكون صديقاً وحليفاً لأمير المؤمنين، ومنابذاً لشيعة النصارى، فبعث الموحدون برغبته إلى الخليفة، فأذن له بالقدوم إلى مراكش، فقدم إليها، واستقبله الخليفة أبو يعقوب بترحاب بالغ، وأنزله ومن معه خير منزل، وأقام بالعاصمة الموحدية خمسة أشهر، معززاً مكرماً، ".

وعندما حلت سنة(564 هـ/ 1169م)، هدأت تلك الفتن، واستتبت السكينة والسلام بالمغرب، لاح للخليفة ومعاونيه، أن الفرصة قد أزفت للعمل بالأندلس، فجهز أبو يعقوب جيشاً من الموحدين وغيرهم تحت إمرة الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى كبير أشياخ الموحدين، وعبر هذا الجيش البحر إلى إشبيلية، ليكون مقدمة لحركة الجهاد العامة، التي اعتزم الموحدون القيام بها في الأندلس. ويبدو مما يقوله لنا ابن صاحب الصلاة، نقلاً عن أبي محمد سيدراي بن وزير، أن التعجيل بإرسال هذا الجيش، كان بسبب وصول الخبر بمهاجمة البرتغاليين لبطليوس، ومحاصرتهم للموحدين الممتنعين بقصبتها، وقد وقع الهجوم على بطليوس في شهر رجب سنة(564 هـ/ 1169 م). على أنه يبدو من نص الرسالة التي وجهها الخليفة بهذه المناسبة إلى الموحدين بالأندلس والتي أرخت في اليوم الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة 564 هـ. أن هذا الجيش الموحدي، قد جهز وأرسل إلى الأندلس، قبل حوادث بطليوس بنحو شهرين أو ثلاثة، ليكون طليعة لحركة الجهاد الكبرى، وليطمئن أهل الأندلس بوصوله وأنه فوجىء بحوادث بطليوس أثناء وجوده بإشبيلية وهذه الرسالة التي وجهها الخليفة أبو يعقوب " إلى الطلبة والموحدين الذين بجزيرة الأندلس " هي من إنشاء كاتبه أبي الحسن بن عياش، وهي تردد وتؤكد نفس الوعود التي قطعها الخلافة

الموحدية على نفسها غير مرة، منذ أواخر عهد عبد المؤمن بالعمل على حماية الأندلس وغوثها ونصرتها.

ومن ثم فقد حذا الخليفة أبو يعقوب في ذلك حذو أبيه، وبذل بالرغم من مرضه جهوداً خاصة، في استمالة أولئك العرب إلى مؤازرته فيما ينتويه من الجهاد، والقيام بالغزوة العظمى في جزيرة الأندلس، وكان مما أشار به الخليفة يومئذ، وهو يعلم ما للشعر البليغ في نفس العربي من عميق الأثر، أن توجه إلى العرب قصيدة حماسية، يشاد فيها برفيع أصولهم وأرومتهم، وكونهم هم السيف الماضي في نصرة الدين، وقمع المارقين والكافرين. فنظم طبيبه الفيلسوف ابن طفيل، تحقيقاً لتلك الغاية، قصيدة طويلة تفيض بلاغة، وروعة، وتدل على ما كان للفيلسوف في نفس الوقت، من منزلة عالية في النظم، تضعه في صف أكابر الشعراء.

وبعد ذلك توجه الخليفة أبو يعقوب إلى الأندلس وفي خلال إقامة الخليفة بقرطبة سيرت حملة موحدية بقيادة عبد الله بن أبي حفص ابن تفريجين وبعض أشياخ الموحدين نحو أراضي قشتالة، وكان القصد من تسييرها أن تقوم بغارة انتقامية لما ارتكبه القشتاليون بقيادة الكونت نونيو دي لارا من العيث والتقتيل في أراضي المسلمين، قبل ذلك بنحو عامين، فسار الموحدون شمالا، وعبروا نهر التاجُه، وعاثوا في منطقة كبيرة من أراضي قشتالة، وعادوا إلى قرطبة مثقلين بالسبي والغنائم، ونحن نذكر أن الجيوش الموحدية، كانت قبل ذلك ببضعة أشهر، قد سارت بقيادة السيد أبي حفص أخي الخليفة لحصار مرسية ومقاتلة ابن مردنيش في عقر أراضيه، والقضاء على سلطانه في شرقي الأندلس، وذلك حسبما فصلناه من قبل في موضعه، وكانت الأنباء تتوالى على الخليفة، وهو بقرطبة، بما أنزله الموحدون بابن مردنيش من الضربات

والهزائم، وما استولوا عليه من بلاده، وبما يؤذن بإحرازهم النصر النهائي في تلك المعركة الحاسمة غادر الخليفة أبو يعقوب يوسف قرطبة، بعد أن أقام بها شهرين، في آخر شهر ذي الحجة سنة 566 هـ، قاصداً إلى إشبيلية، فوصل إليها في الثاني من محرم سنة(567 هـ / 1171 م)، ويقول لنا ابن صاحب الصلاة، وقد كان شاهد عيان لكل ما تقدم من تنقلات الخليفة، إن الخليفة لم يحتل من دور إشبيلية سوى ستين داراً، وأنه اشترى بها مائة دار من ماله الخاص لتكون منزلا للوافدين إليه، وذلك رفقاً منه بأهل المدينة ، وكانت إشبيلية قد غدت عندئذ قاعدة الحكومة الموحدية بالأندلس، وذلك بعد أن ترددت هذه الحكومة حيناً بين قرطبة وغرناطة وإشبيلية. وكانت إشبيلية بموقعها على مقربة من البحر وعلى مقربة من العدوة، أصلح من الناحية الإستراتيجية من قرطبة، لاستقبال الجيوش الموحدية الوافدة، واستقبال عتادها وذخائرها ومؤنها، ومن جهة أخرى، فقد أثبتت الحوادث، منذ مقدم الموحدين إلى شبه الجزيرة، أن تيار الغزو النصراني للأندلس، قد تحول إلى ناحية الغرب، وأن قيام مملكة البرتغال الجديدة، واشتداد ساعدها، قد نقل الصراع الرئيسي بين إسبانيا المسلمة، وإسبانيا النصرانية إلى هذه الناحية من شبه الجزيرة، وهذا ما أيدته في الأعوام الأخيرة، معارك بطليوس، وغزوات الفونسو هنريكيز، وهذا ما سوف تؤيده الحوادث فيما بعد، وهو مما يدل على بعد نظر السياسة الموحدية في هذا الشأن. وأخيراً فقد كانت إشبيلية، بعد الذي أصاب قرطبة عاصمة الخلافة القديمة، من ضروب التخريب والعفاء منذ أيام الفتنة، ومختلف الحروب والثورات، كانت أرقى عمراناً، وأوسع رحاباً، ولاسيما منذ أيام بني عباد، حيث غدت أعظم حواضر الأندلس وأجملها. ولهذا كله اختار الموحدون أن تكون إشبيلية حاضرتهم وقاعدة حكومتهم بالأندلس.

وما كاد الخليفة يصل إلى إشبيلية، حتى أمر بعزل محمد بن سعيد المعروف بابن المعلم، وكان يتولى أعمال المخزن أو إدارة الشئون المالية بإشبيلية والأندلس، وأُمر بالسير إلى قرطبة لمحاسبته، والتحقيق في سير أعماله، وكان أول ما أشار به الخليفة من تلك الأعمال بناء قنطرة عظيمة على نهر الوادي الكبير، تصل ما بين إشبيلية وطريق طُريانة، ضاحيتها الغربية، وتيسر سبل المواصلات في اتجاه الغرب، فحشد لها العرفاء والصناع، وتم إنشاؤها في نحو شهر، في السابع من صفر سنة 567 هـ، وحضر الخليفة يوم إكمالها وافتتاحها، في حفل ضخم، رفعت فيه البنود وقرعت الطبول. وينوه ابن صاحب الصلاة بما كان لإنشاء هذه القنطرة العظيمة من حسن الأثر، وما حققته للناس من يسر ورخاء، إذ كان المرور بها دون قبالة أو رسوم وفي خلال ذلك، حضر السيد أبو حفص أخو الخليفة من حصن مرسية، وذلك قبل وفاة ابن مردنيش وانقضاء أمره بأشهر قلائل، فاستقبله الخليفة خارج إشبيلية، باحتفال بالغ. واجتمع الأخوان للبحث فيما يجب عمله لحماية الأندلس ورد عدوان النصارى عنها. وكان أول ما تقرر في ذلك أن ترسل حملة ضاربة من الموحدين تحمل الميرة والعتاد والمرافق اللازمة لمدينة بطليوس، فخرجت هذه الحملة في الثامن من شهر صفر، وجازت فوق القنطرة الجديدة إلى طريانة، فكانت أول عسكر يجوز عليها، وسارت إلى بطليوس. فلما اقتربت من المدينة، هاجمت حصن ليون الواقع على مقربة من شرقي بطليوس على ضفة وادي يانه، وكانت تحتله حامية من النصارى من جند جيرالدو سمبافور، واقتحمته عنوة، وأوصلت حمولتها من الميرة والسلاح إلى بطليوس، ثم عادت سالمة إلى إشبيلية ولما كللت حملة مرسية بالنجاح، وتوفي ابن مردنيش، وانتهت مملكة الشرق، قَدِم هلال بن مردنيش وأكابر الشرق إلى إشبيلية، في مستهل

رمضان سنة 567 هـ، وقدموا خضوعهم وطاعتهم للخليفة . وفي سنة (571هـ / 1176م) عاد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف من الأندلس وكان وصوله إلى مراكش منتصف شهر رمضان من نفس السنة المذكورة ، ولم تمض أسابيع قلائل على استقرار الخليفة أبي يعقوب بمراكش ، حتى ظهر الوباء بالمدينة في أول شهر ذي القعدة من سنة (571هـ / 1176م) ، واشتد حتى بلغت ضحايا كل يوم نحو مائتي شخص ، ولما ضاق الجامع بالصلاة على الموتى ، أمر الخليفة أن يصلى عليهم بسائر المساجد ، وأصيب معظم الاعيان بالوباء ، ومات منهم أربعة من إخوة الخليفة هم أبو عمران ، وأبو سعيد ، وأبو عبدالله ، وأبو زكريا والي بجاية . ومات من أشياخ الموحدين أبو سعيد بن الحسين ، وكان الشيخ أبو حفص عمر الهنتاني قادما من قرطبة قاصدا إلى مراكش ، فأصيب بالوباء وتوفي بالطريق ، ودفن برباط الفتح . ففقدت الدولة الموحدية بوفاته ركنا من أهم اركانها ، وقائدا من أعظم قوادها ومرض الخليفة ، وأخوه السيد أبو حفص ، واشرفا على الهلاك ، ولكن تداركتهما العناية فشفيا ، وكان يموت كل يوم في القصور الملكية ثلاثون شخصا حتى فنى أكثر من كان فيها ، ودام هذا الطاعون مدة سنة .

وفي سنة (572هـ / 1177م) توجه الخليفة أبو يعقوب من مدينة فاس إلى أن وصل مدينة سبتة فأقام بها شهر محرم ثم نزل البحر يوم الخميس الخامس لصفر فحل بجبل الفتح ثم سار من جبل الفتح إلى الجزيرة الخضراء إلى ان نزل بعساكره على إشبيلية في يوم الجمعة الثالث عشر لصفر وخرج جميع أهل إشبيلية إلى لقائه والتيمن برؤيته ،

فمن تواضعه وشرفه واعتنائه بالعلم انه لما ابصر ابن الجد وهو يسرع في مشيه ليسلم عليه ترجل عن فرسه وتلاقيا فترامى ابن الجد على يد أمير المؤمنين وقبلها ومسح بها وجهه وقال ، الحمدلله الذي جمعني بك ياحبيبي وحبيب الناس فتبسم الخليفة من قوله ، وهذا من تواضعه وفضله .

أما عن سبب عبور الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى الأندلس هو لوقف تقدم الممالك النصرانية ، وكذلك غزوات البرتغاليين لمدن الغرب الأندلسي ، وغزوات ملك قشتالة لمدن وسط الأندلس وتهديده لقرطبة وإشبيلية ، وتوغل قواته إلى غرناطة ومالقة ورندة ، لهذا قرر الخليفة أبو يعقوب أنه لابد من انطلاق الحملات العسكرية في الأندلس ويكون هو على رأسها، وظهرت بوادر هذه النية منذ أوائل شهر جمادي الآخرة من سنة (579هـ / 1183م) عندما أمر الخليفة بصنع عشرة مجانيق جربت بعد صنعها بالرمي أمامه ، في منطقة البحيرة خارج مراكش ، كما أصدر الخليفة المراسيم بتولية أربعة من أبنائه أمرة قواعد الأندلس الاربعة الرئيسة ، وهم أبو إسحق لولاية إشبيلية كما كان ، و أبو زكريا يحيى لولاية قرطبة ، وذلك تنفيذا لرغبة القاضي أبي الوليد بن رشد،

وأبو زيد لولاية غرناطة ، وأبو عبدالله لولاية مرسية ، وأمرهم بالسفر إلى مقر أعمالهم ، تمهيداً ؛ للغزو وفي الوقت نفسه اصدر أمرا بتولية أبي المكارم ابن الحسين المصري قضاء إشبيلية ، وأبي الوليد بن رشدلقضاء قرطبة ، وأبي عبدالله بن الصقر لقضاء غرناطة ، وأوصاهم بالرفق والجري على سنن الحق ، فسافر الجميع إلى شبه الجزيرة في السابع والعشرين من شعبان .

كما أمر الخليفة جنده يتقدموا إلى أبواب المدينة ، ويضربوا حولها الحصار ، عند ذلك نزل الموحدون في الربض الواقع في جنوبها الشرقي والممتد على طول النهر وضربت به قبة الخليفة ، وكان البرتغاليون وعلى رأسهم ملكهم الفونسوا هنريكيز ، قد تحشدوا داخل شنترين وقصبتها وزادوا في تحصينها ، وتهيؤا للدفاع عنها .

توجه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وحدثت معارك عنيفة ، في سنة (580هـ / 1183م) ، إلى الأندلس ، وعبر البحر إليها في جيش عظيم من الفرسان والراجلة ، فقصد غربي البلاد ، فحاصر مدينة شنترين شهراً ، فأصابه بها مرض ، فمات منه في شهرربيع الأول من السنة المذكورة ، فحمل في تابوت إلى مدينة إشبيلية . أن ما

جرى في معسكر الموحدين أنه لما رأى نصارى شنترين ماحدث من عبورالموحدين ، وانصراف معظم الجيش المحاصر، ووقفوا على ما قرره الخليفة من الارتحال في بقية جيشه ، خرجوا من المدينة في كثير من الفرسان ، وهاجموا معسكر الموحدين بشدة ، حتى وصلوا إلى قبة أمير المؤمنين ، فستبسل الموحدون في الدفاع عنها ، وجلهم من أعيان الأندلس ، حتى قُتل كثير منهم ، ونفذ النصارى إلى قبة الخليفة ، فطعنه أحدهم تحت سرته ، وتكاثر الموحدون على النصارى حتى ردوهم ، فانهزموا راجعين إلى المدينة ، وعبر أمير المؤمنين النهر جريحا في محفته ، ولم يمض إلا يومان أو ثلاثة فتوفي متأثراً بجراحه سنة(580هـ / 1183م) .

وعند وفاة الخليفة أبو يعقوب متأثرا بجراحه بعد عبوره نهر التاجة ، محمولا على محفته ، كتمت وفاته ، حتى نزل الركب خلال الطريق إلى إشبيلية في موضع يسمى (حصن طرش)، وهنالك ضربت أخبية الخليفة، وكان أبو يوسف يعقوب ولد الخليفة هو الذي يدخل على أبيه ويخرج من عنده منذ إصابته ، ويتصرف في الامور نيابة عنه وباسمه .

. الجوانب العسكرية للدولة الموحدية:

أولا – معركه الارك سنة (591 هـ) :

تعد هذه المعركة من أهم الشواهد العسكرية التي حدثت في عصر الدولة الموحدية والتي مثلت الجانب الايجابية للإنجازات العسكرية في الأندلس ويمكن أن نشبهها من حيث الجانب المعنوي لمسلمي الأندلس بمعركة الزلاقة تلك المعركة التي انتصر فيها المرابطون على الممالك النصرانية والتي قادها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين عام 479هـ ، أما معركة الأرك فقد قادها الخليفة الموحدي المنصور يوسف بدأت الممالك الاسبانية تحاول السيطرة على مناطق في الأندلس وتعمل على خلق اضرابات داخل الأندلس على الرغم من توقيع معاهدة بين الموحدين والممالك الاسبانية إلا أنهم نقضوا الاتفاقية لذلك قرر

المنصور تجهيز حملة كبيرة و التوجه نحو الأندلس و القضاء على مملكة قشتالة .

وكما موضح هنا

فأنطلق من مراكش إلى اشبيلية ومنها توجه إلى قلعه رباح على بعد مرحلتين ثم استطاع السيطرة على هذه القلعة عندئذ عمل ملك قشتالة الفونسو الثامن تجهيز جيش لذلك طلب العون و الامدادات من الممالك الاسبانية و الدول الأوربية وتكون لديه جيش عدده 100الف مقاتل و توجه به نحو قلعة الارك ومنها توجه نحو جيش المنصور الموحدي

فحدثت معركة كبيرة بين الطرفين وقتل في بداية المعركة قائد جيش الموحدي العام وبذلك رأى الفونسو الثامن أن النصر حليفه , وفي هذه الأثناء خرج المنصور من وراء التلال وانقض على جيش الفونسو الثامن و اثخن بهم الجراح واستطاع من كسر جيش الفونسو فهرب الفونسو الثامن نحو قلعة الاراك فطرده جيش الموحدين الا انه هرب من الارك إلى عاصمة قشتالة (طليطله) فاستطاع المسلمون السيطرة على حصن الارك وهذا النصر كان له أثر كبير على الأندلس إلا أنهم لم يستغلوا النصر في القضاء على الممالك الاسبانية .

نتائج معركة الأرك :

1- زاد هذا النصر من سيطرة الموحدين كذلك استطاعوا من فرض سيطرتهم على جميع أنحاء المغرب والقضاء على الثورات و الاضطرابات في الأندلس و المغرب .

2 ـ استطاع المنصور أن يستعمل غنائم تلك المعركة في بناء مدينة جامع كبير في اشبيلية .

3 ـ كانت اخلاق المنصور مستقيمة لذلك أطلق سراح جميع أسرى المعركة بدون أي فدية وعاملهم معاملة حسنة إلا أنه أخطأ بذلك لأنهم عادوا من جديد وهاجموا الموحدين .

4_ كان لهذا النصر أثر في تجميد نشاط الممالك الاسبانية بالهجوم على أراضي الأندلس.

ثانيا – معركة العقاب :

بعد وفاة المنصور الموحدي سنة (595هـ) من أن يوقع اتفاقية هدنة بين الممالك و الموحدين تولى الخلافة بعده ولده (محمد الناصر) إلا أنه لم يكن كأبيه في إدارة البلاد حيث في زمنه بدأت الممالك تعمل على زعزعة الأوضاع فقرر تجهيز حملة كبيرة مكونة من 10الف مقاتل منظمة و معبأة تعبئة عسكرية قرر بذلك الجيش اسقاط مملكة قشتالة فتوجه إليها وقرر في البداية أن يحاصر حصن منيع وهو حصن قلعة (شل طبرة) سنة (609 هـ) حيث حاصره ثمانية أشهر لأنه استملك قوى المسلمين .

في هذه الأثناء أرسل الفونسو الثامن الوفد إلى الممالك الاسبانية والدول الأوربية ومنهم البابا لإرسال الجنود و المؤن لمواجهة جيش (محمد الناصر) , فتوجه محمد الناصر إلى (حصن العقاب) وكذلك توجه الفونسو إلى ذلك الحصن لمواجهة جيش المسلمين عند ذلك جرت معركة كبيرة بين الطرفين فكان الانتصار حليف الفونسو الثامن الذي استطاع تدمير قلب جيش محمد الناصر و استهدف في هذه المعركة ابن الخليفة ولم يتبقى معه سوى 50000الف مقاتل من جيش الموحدين إذ قيل أنه قتل حوالي50000الف مقاتل وكان لهذه المعركة أثر كبير على وجود المسلمين في الأندلس.

جيش الموحدين وطريقه نحو العقاب:

استعد الناصر لدين الله قد أعلن الجهاد وجمع المجاهدين من بلاد المغرب العربي والأندلس في عدد قد بلغ خمسمائة ألف مقاتل، أي أنه أكثر من ضعف جيوش النصارى مجتمعة، كانت أقل الروايات قد ذكرت أن عدد المسلمين قد بلغ ستين ألفا ومائتي ألف، وكانت هي نفسها التي ذكرت أن عدد النصارى لم يتجاوز ستين ألفا ومائة ألف، فكان جيش المسلمين في كل الأحيان يزيد على جيش النصارى أكثر من مرة ونصف أو مرتين على الأقل ، وبعد الاستعدادات انطلق الناصر لدين الله بجيشه من بلاد المغرب وعبر مضيق جبل طارق، ثم توجّه إلى منطقة عرفت بـ(العقاب) وذلك لوجود قصر قديم كان يحمل هذا الاسم في تلك المنطقة وهي تلك المنطقة التي دارت فيها الموقعة، فكانت بحق عقابا للمسلمين .

نتائج الاستبداد وملامح الهزيمة:

كان من جراء هذا العمل الذي قام به الناصر لدين الله أن حدث ما يلي:

أولا: إضاعة ثمانية أشهر كان من الممكن أن يستغلها في الشمال، والانتصار على النصارى هناك قبل أن يتجمعوا في كامل عدتهم.

ثانيا: أكمل النصارى استعداداتهم خلال هذه الفترة الطويلة، واستطاعوا أن يستجلبوا أعدادا أخرى كثيرة من أوروبا.

ثالثا: هلك الآلاف من المسلمين في صقيع جبال الأندلس في ذلك الوقت، حيث كان الناصر لدين الله قد دخل بلاد الأندلس في شهر مايو وكان مناسبا جدا للقتال، إلا أنه ظل يحاصر سالبطرة حتى قدم الشتاء

القارس وبدأ المسلمون يهلكون من شدة البرد وشدة الإنهاك في هذا الحصار الطويل.

وقد عمد أبو الحجاج يوسف بن قادس على التحيز لفئة المؤمنين في بداية لحرب فاصلة قسم الجيش النصرانى القادم من الشمال إلى ثلاثة جيوش كبيرة، فالجيش الأول: هو الجيش الأوروبي، والجيش الثاني: هو جيش إمارة أراجون، والجيش الثالث: هو جيش قشتالة والبرتغال وليون ونافار، وهو أضخم الجيوش جميعها فقامت هذه الجيوش الثلاث بحصار قلعة رباح، وهي قلعة إسلامية كان قد تملكها المسلمون بعد موقعة الأرك، وكان على رأسها القائد البارع الأندلسي الشهير أبو الحجاج يوسف بن قادس رحمه الله وهو من أشهر قواد الأندلس في تاريخها .

حوصرت قلعة رباح حصارا طويلا من قبل الجيوش النصرانية، وقد طال أمد الحصار حتى أدرك أبو الحجاج يوسف بن قادس أنه لن يفلت منه .

أراد أبو الحجاج يوسف بن قادس أن يحق الأمان لجيشه، فعرض على النصارى معاهدة تقضي بأن يترك لهم القلعة بكامل المؤن وكامل السلاح على أن يخرج هو ومن معه من المسلمين سالمين ليتجهوا جنوبا فيلتقوا بجيش الموحدين هناك ودون مؤن أو سلاح ، وافق الفونسو الثامن على هذا العرض، وبدأ بالفعل انسحاب أبي الحجاج يوسف بن قادس من الحصن ومن معه من المسلمين، وقد اتجهوا إلى جيش الناصر لدين الله ، ولأن الوليمة ليست قصرا على الفونسو الثامن، فقد اعترض على هذا الانسحاب جيش النصارى الأوروبي المتحد مع جيش قشتالة ، فقد كانوا يرون أنهم ما أتوا من أبعد بلاد أوروبا ومن

إنجلترا وفرنسا والقسطنطينية إلا لقتل المسلمين؛ فلا يجب أبدا أن يتركوا ليخرجوا سالمين.

وقد فعل الفونسو الثامن ذلك حتى إذا حاصر مدينة أخرى من مدن المسلمين يفتحون له كما فعل سابقوهم؛ لأنه لو قاتلهم بعد العهد الذي أبرمه معهم فلن يفتح له المسلمون بعد ذلك مدنهم، فاختلف الأوروبيون مع الفونسو الثامن، وعليه فقد انسحبوا من الموقعة.

وبذلك يكون قد انسحب من موقعة العقاب وقبل خوضها مباشرة خمسون ألفا من النصارى، وبالطبع فقد كان هذا نصرا معنويا وماديا كبيرا للمسلمين، وهزيمة نفسية وهزة كبيرة في جيش النصارى، وقد أصبح جيش المسلمين بعد هذا الانسحاب أضعاف جيش النصارى.

بطانة السوء وقتل أبي الحجاج يوسف بن قادس حين عاد أبو الحجاج يوسف بن قادس إلى الناصر لدين الله، وعندما علم منه أنه قد ترك قلعة رباح وسلمها بالمؤن والسلاح إلى النصارى، أشار عليه الوزير السوء أبو سعيد بن جامع بقتله بتهمة التقاعس عن حماية القلعة ولم يتردد الناصر لدين الله، وفي ميدان موقعة العقاب يمسك بالقائد المجاهد أبي الحجاج يوسف بن قادس ثم يقتله.

وإن هذا وبلا شك ليعد خطأ كبيرا من الناصر لدين الله، وعملا غير مبرر، ويضاف إلى جملة أخطائه السابقة، وذلك للآتي:

أولا: أن أبا الحجاج يوسف بن قادس لم يخطئ بانسحابه هذا، بل كان متحرفا لقتال، ومتحيزا إلى الجيش المتأهب للحرب، كما أنه لو مكث لهلك، ولو لم يهلك لكانت قد حيدت قواته عن الاشتراك في الموقعة بسب الحصار المفروض عليها.

ثانيا: وعلى فرض أن أبا الحجاج يوسف بن قادس قد أخطأ، فلم يكن على الإطلاق عقاب هذا الخطأ القتل، خاصة وأنه لم يتعمده بل كان اجتهادا منه وبهذه الطريقة فقد قوة كبيرة جدا بفقد هذا القائد البارع، لهذا فقد الجيش الإسلامي أيضا قوة الأندلسيين الذين شعروا أن هناك فارقا بينهم وبين المغاربة؛ مما كان له أثر سلبي كبير على واقع المعركة على نحو ما سيأتي بيانه .

وذكر المقري هذه الوقعة العقاب هي الطامة على الأندلس بل والمغرب جميعاً، وما ذاك إلا لسوء التدبير، فإن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخف بهم الناصر ووزيره، فشنق بعضهم، ففسدت النيات، فكان ذلك من بخت الإفرنج، والله غالب على أمره، ولم تقم بعدها أي بعد موقعة العقاب للمسلمين قائمة تحمد.

أما عن أسباب الخسارة فهي:

(1) اغتر محمد الناصر بجيشه لكثرته إلا أن الكثرة كانت وبالا عليه لأن الكثرة تحتاج إلى تنظيم في الجيش أدت إلى قلة التنظيم .

(2) قتله قائد الجيش الأندلسي الذي كان قائد قلعة رباح حيث حاصر الفونسو الثامن قلعة رباح عندئذ وضع شروط معاهِدة مع قائد الجيش الأندلسي إلا أن محمد الناصر اتهمه بالخيانة فقتله لذلك لم يقاتل أهل الأندلس بإخلاص . وحدوث خلافات بين الجيش الأندلس كان لها أثر في خسارة المسلمين في المعركة .

(3) ان صاحب الأشغال ابن المثنى المسؤول عن توفير المعدات للجيش وبسبب تعطيله وصول المعدات إلى الجيش أتهم بالخيانة وتم قتله كانت نتائجها على الأندلس خطيرة .

وذلك لأن الناصر محمد خرج واحتجب عن العامة و انغمس بالشرب من أجل أن ينسى آثار الخسارة في المعركة وبعد ذلك بدأت تسقط المدن الأندلسية مدينة بمدينة إذ سقطت مدينة ماردة سنة (627هـ) ثم سقطت قرطبة سنة (633هـ) وسقطت بلنسية سنة (636هـ) وسقطت اشبيلية سنة (646هـ) .

وهكذا بدأت المدن الأندلسية تسقط الواحدة بعد الأخرى حتى أصبح العرب يسيطرون على منطقة صغيرة تسمى مملكة (غرناطة الصغرى) وتضم ثلاث ولايات هي غرناطة والمرية ومالقه.

أما عن أسباب سقوط الدولة الموحدية فيمكن أن نوجزها بالآتي :

1. كان هذا النزاع الداخلي قد أدى إلى صراعات مريرة على السلطة بين أفراد الأسرة الموحدية ، فكان له أثرٌ بالغٌ على هيبة الدولة وقوتها .

2. صار دور الأشياخ والاداريين دورا سلبيا ؛ لانهم غلّبوا مصالحهم الشخصية على مصلحة الدولة العليا ، واستأثروا بالمناصب . أن مظاهر الفساد لم تكن بعيده كذلك عن هرم السلطة الموحدية .

3- استشراء مظاهر الفساد في السلطة الموحدية ، بسبب حياة المجون والترف واللهو التي انغمس فيها عدد من الخلفاء لاسيما المتأخرين منهم ، فكان ذلك ايذاناً باضمحلال الدولة ومن ثم انهيارها .

4- لعب نظام الوراثة في بني عبد المؤمن دورا كبيرا في صعود خلفاء غير أكفاء لإدارة دفة الحكم ، ولاسيما الخلفاء المتأخرين ، إذ تقلد الحكم خلفاء صغار السن ؛ مما تسبب بحدوث مشاكل كثيرة ارهقت الدولة من جميع النواحي .

6- كُثر التمرد والخروج على سلطان الدولة ، ولاسيما في عهد الخليفة المنصور ، مما أدى إلى أضعاف هيبة السلطة ، وإلى انشقاق كبير في الأسرة الحاكمة .

7- من عوامل سقوط دولة الموحدين أيضًا الثورات الداخلية الكثيرة التي قامت داخل دولة الموحدين، وكان أشهرها ثورة بني غانية، والتي كانت في جزر البليار، وأيضا في بلاد الأندلس وفي تونس.

8- الإعداد الجيد من قبل النصارى في مقابل الإعداد غير المدروس من قبل الناصر لدين الله ومن تبعه بعد ذلك.

9- وهو أمر هام وجد خطير، وهو انفتاح الدنيا على دولة الموحدين وكثرة الأموال في أيديهم والتي طالما غرق فيها كثير من المسلمين، وكذلك أيضا الترف والبذخ الشديد الذي أدى إلى التصارع على الحكم وإلى دعة الحكام وإلى الحركات الانفصالية.

10- بطانة السوء المتمثلة في أبي سعيد بن جامع وزير الناصر لدين الله ومن كان على شاكلته بعد ذلك ولقد كان الناصر ألعوبة في يد وزيره

ابن جامع الذي لم يكن مسئولًا عن هزيمة العقاب فقط، بل عن مصير الموحدين بعد الناصر أيضًا، لقد وضع ابن جامع الأسباب القوية التي أدت إلى تصدّع سلطان الموحدين من أسسه .

–الجوانب الحضارية في عصر الموحدين في الأندلس:

أولا– الجانب الثقافي :

وكان للعلوم دورا كبيرا بالأندلس في أوائل القرن السابع الهجري، وربما كانت هذه آخر مرحلة ازدهر فيها العلم الأندلسي، واستطاع أن يحتفظ بقبس من تقاليده القديمة الراسخة.

وكان ممن ظهر في تلك الحقبة، أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الجلياني، الطبيب والشاعر الأديب، أصله من جليانة من أعمال غرناطة، ونبغ في الطب في ظل الموحدين، ثم رحل إلى المشرق، وطاف بمصر والشام، ونظم كثيراً في الإلهيات والرياضيات وآداب النفس .

ومنهم أبو بكر بن عبد الملك بن زهر الإشبيلي، سليل أسرة بنى زهر الشهيرة، التي نبغ منها في الطب والكيمياء والصيدلة، أبو العلاء بن

زهر، ثم ولده عبد الملك، ثم ابنه أبو بكر هذا وقد برع كأبيه وجده في الطب والكيمياء، وكان من أعظم أطباء الأندلس في أواخر القرن السادس الهجري.

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الأموي المعروف بابن الرومية الإشبيلي العلامة الطبيب والنباتي، وقد اشتهر بالأندلس في أوائل القرن السابع الهجري، وكان إماماً في الحديث وحجة في علم النبات لا يبارى ولد بإشبيلية سنة 561 هـ وتوفي بها سنة(637 هـ /1239 م). وله مؤلفات نفيسة في النبات والطب. منها شرح حشائش دياسقوريدس، وأدوية جالينوس، والرحلة النباتية، والمستدركة، وله كتاب في الأدوية المفردة على نمط الكتب التي ألفها بنو زهر في هذا الموضوع.

وكان من أعظم علماء الأندلس في هذا العصر، ابن البيطار المالقي العالم النباتي والطبيب المشهور، وهو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، ولد بمالقة في أواخر القرن السادس الهجري، ودرس على أبى العباس النباتي، ثم غادر الأندلس في شبابه، وطاف بأنحاء المغرب، وقدم إلى مصر أيام الملك الكامل، فدخل طبيباً في خدمته، ثم خدم ابنه الملك الصالح من بعده، وعنى بدراسة النبات والأعشاب في مصر والشام وآسيا الصغرى وبلاد اليونان، وألف في ذلك كتابين؛ "كتاب الجامع في الأدوية المفردة" تناول فيه الأدوية النباتية المعروفة في عصره، ورتبها على حروف المعجم، وكتاب "المغنى في الأدوية المفردة"، وهو مرتب على مداواة الأعضاء، وله أيضا كتاب "الأفعال الغريبة والخواص العجيبة". ودرس عليه ابن أبى أصيبعة العالم المشهور، وصاحب معجم تراجم الأطباء، وقد أشاد ببراعته وغزارة

علمه، ودقة فهمه لكتب الأقدمين، وتوفي ابن البيطار بدمشق سنة (646 هـ/ 1248 م).

أما الفكر الفلسفي، فدخل عصره الذهبي في عهد الموحدين، وتمتع الفلاسفة بمكانة مرموقة في بلاط الموحدين، وأعطيت لهم الحرية المطلقة في عملهم شريطة ألا تنشر هذه التعاليم على العامة، لأن الموحدين كانوا يعتبرون الفلسفة نوعاً من الحقائق الباطنية المحصورة في فئة المتنورين ، واشتهر هذا العصر بأعظم فلاسفة الأندلس، ويأتي في مقدمتهم ابن طفيل (أبو بكر محمد بن عبد الملك توفي عام 581 هـ) مؤلف رواية (حي بن يقظان)، وكان بطلها حي يعيش في جزيرة لا يسكنها أحد من الناس، وليس له علاقة بأحد من أهل الجزائر الأخرى. بحث بعقله بحثاً منطقياً متدرجاً من البسيط إلى المركب حتى وصل إلى الاعتقاد بالله وغرضه من ذلك: أن يبين أن الشرع يتفق مع العقل ، والفيلسوف الآخر المشهور أبو الوليد محمد بن أحمد المعروف بابن رشد شيخ الفلاسفة في الأندلس (توفي عام 595 هـ) . ودافع ابن رشد عن الفلسفة في كتابه تهافت التهافت، ورد بعنف على الإمام الغزالي (توفي عام 505 هـ)، ووضح ابن رشد في كتب أخرى بأن الفلسفة لا تتنافي مع الدين، وألف كتاباً صغيراً سماه (فصل المقال فيما بين الشريعة والفلسفة من الاتصال) ، وقد اتهم ابن رشد بالزندقة لكثرة أبحاثه، فأحرقت كتبه الفلسفية جميعها في عهد دولة الموحدين، على عهد الخليفة المنصور، واحتفظ له بالكتب الطبية والرياضية أما الحركة الأدبية فقد ازدهرت في الأندلس خلال عصر الموحدين، وذلك بسبب تذوق الخلفاء الموحدين للشعر الجيد، مع تقديرهم لشعر المديح والإشادة. وبلغ الشعر في الأندلس مستوى عالياً من الازدهار والقوة، وأظله الموحدون برعايتهم، وتبارى الشعراء الأندلسيون في مدح الخلافة

الموحدية والإشادة بها حتى إن هذه النهضة الشعرية لم تخب في عصر الانهيار، أواخر العهد الموحدي بل زادتها المحنة قوة، فنظم الشعراء قصائد الرثاء والقصائد المبكية، مما يشهد بأن الشعر الأندلسي، قد بلغ في تلك الفترة الصعبة من حياة الأندلس، ذروة قوته وروعته.

ولما كانت الرغبة لدى الخلفاء الموحدين في سماع المديح، فظهر في الشعر الأندلسي هذا الفن، فلما عبر عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس استدعى الشعراء، وسمع من كثير منهم، وكان ممن أنشده من الأندلسيين الأصم المرواني وابن سيد (اللص) والرصافي البلنسي وغيرهم، وكانت له ملاحظات نقدية على قصائدهم تدل على تذوقه للشعر واطلاعه الواسع به. وقيل أن الخليفة الموحدي المنصور عندما انتصر على الإسبان في معركة الارك سنة 591 هـ اجتمع لديه عدد كبير من الشعراء، فلم يكن الوقت يسمح لإلقاء كل شاعر قصيدته، فألقى كل شاعر بيتين أو ثلاثة من قصيدته.

أما عن الاهتمام في الرحلات في هذا العصر فقد برز منهم العديد من الرحالة وأشهرهم الرحالة ابن جبير البلنسي صاحب كتاب الرحلة المشهور بـ(رحلة ابن جبير) (ت: 614 هـ). واشتهرت أسرة بني عياش الأندلسية بالكتابة ودخل أفرادها في خدمة خلفاء الموحدين، أمثال أبي الحسن بن عياش، ومحمد بن عبد العزيز بن عياش وعلي بن عياش .

كما اشتهرت الأندلس بالمكتبات، مما دفع خلفاء الموحدين أن يستقدموا من مدن الأندلس أشهر الكتب ونقلها إلى مراكش وقد ذكر أن الخليفة الموحدي يوسف نقل إحدى المكتبات الخاصة من مدينة إشبيلية إلى مكتبته بقصر الخلافة بمراكش دون علم صاحب المكتبة أو استئذانه . وقد استخدم الموحدون النساخين والخطاطين من أهل الأندلس لنسخ المؤلفات العلمية، فكان من أشهر هؤلاء أبو العباس بن

الصغيرة من أهل المرية، والذي عينه الخليفة يوسف أميناً لمكتبته العلمية.

ثانيا- الجانب العمراني :

لقد أولى الموحدون الجانب العمراني أهتماما كبيرا فقد تم إنجاز الكثير من المعالم العمرانية ومن بينها المساجد والمعاهد العلمية ومن أهمها مسجد اشبيلية الجامع ومنارته العظيمة ولا يزال شاخصا الى وقتنا الحاضر ، والذي تحول إلى كنيسة إشبيلية العظمى أما منارته فقد تحولت إلى برج الأجراس التابع للكنيسة المسيحية ، وكان يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن، من أشدهم شغفاً بالمنشآت الفخمة، ومن آثاره الشهيرة بالأندلس مسجد إشبيلية الجامع ومنارته العظيمة ويعد من أعظم آثار الموحدين الباقية في اشبيلية.

- الأندلس في عصر بني الأحمر في غرناطة :

يعد عصر بني الأحمر آخر عصر إسلامي في الأندلس، ويمتد من سنة(635-897هـ/ 1238-1492م)، وهي السنة التي سقطت فيها غرناطة في أيدي الإسبان بعد أن حكم المسلمون الأندلس حوالي ثمانية قرون (91-897هـ/ 711-1490م)، من خلال خمسة عصور كما اصطلح المؤرخون على تقسيمها.

- الأوضاع السياسية في سلطنة غرناطة :

لقد مرت مملكة غرناطة بتاريخ حافل بالأحداث السياسية الجسيمة منذ تأسيسها سنة (635هـ/1237م)، عندما دخلها ابو عبد

الله محمد بن يوسف بن نصر، ويعلل ابن خلدون قيام دولة ابن الأحمر بما يتفق ونظريته العصبية والدولة، اذ اعتمد ابن الاحمر على عصابة قليلة من قرابته الذين كانوا يسمون بـ:(الرؤساء)، ولم يحتاج لأكثر منها، لقلة العصائب في الاندلس، ويوضح ابن خلدون ذلك بقوله: ((فلا تظن أن ابن الاحمر تعبير عصابة فليس كذلك، وقد كان مبدأه بعصابة الا أنها قليلة وعلى قدر الحاجة فأن وطن الاندلس لقلة العصائب والقبائل فيه يستغني عن كثرة في التغلب عليهم)).

لقد كان محمد بن يوسف بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة يحاول تجنب التصادم مع الممالك الإسبانية، وتمادى أحياناً في ذلك إلى درجة مهينة.

وفي عام(660 هـ/1261 م) قامت مملكة قشتالة بمهاجمة مملكة غرناطة، إلا أن قوات بني الأحمر بمساعدة المجاهدين من المغرب ردت كيد المعتدي، فأثار هذا الأمر حفيظة ملك قشتالة ألفونسو العاشر الذي ضاعف الهجوم فسيطر على عدة حصون، فاستغاث بنو الأحمر بأهل المغرب وتونس، فوصلت بعض الإمدادات إلى طريف .

ونظراً لتعاون ألفونس العاشر ملك قشتالة مع جايمش الأول ملك أرغون واللذين سيطرا على مدينة مرسية وحاصرا غرناطة بعد ذلك أولاً، ونظراً للخلافات الأسرية في عائلة بني الأحمر ثانياً، عقد ملك غرناطة الصلح مع ألفونسو العاشر عام 665 هـ/ 1276 م، وتنازل عن مدينة شريش وعدد من الحصون.

وقبيل وفاة ابن الأحمر عام 671 هـ/1272 م كرر ألفونسو العاشر هجومه على حصون مملكة غرناطة، فطلب ابن الأحمر العون من السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور، لكن

النجدة لم تصل إلا بعد وفاة ابن الأحمر، فوصلت أيام محمد الثاني الملقب بالفقيه (671 – 701 هـ).

وفي خضم الصراع بين بني الأحمر وبني اشقيلولة من جهة، والقشتاليين وبني مرين من جهة أخرى، الأمر الذي أدى بالسلطان محمد الفقيه في سنة(701هـ/1302م) الى تجديد اتفاقية سنة 695هـ/1295م مع مملكة اراغون.

كان سبب هذا الصراع تدخل بني الاحمر بسبتة الى صدام عسكري بين الطرفين، وسبب ذلك يعود الى نفوذ شيخ الغزاة المريني الواسع وتدخله في كثير من أمور دولة بني الأحمر تم خلع محمد الثالث بسبب مرض مزمن أصاب بصره، فأستبد بالأمر وزيره ابو عبدالله بن الحكم، لذلك تحرك اخوه نصر المسمى بـ: ابو الجيوش وسيطر على عرش السلطنة واستمر حكمه لها خلال المدة (708–714هـ/1308–1314هـ) وفي أيامه جرت وقائع وحوادث منها غزو قشتالة للجزيرة الخضراء برا، وغزوها لمضيق جبل طارق بحرا، ثم ان مملكة اراغون تدفعها العصبية الدينية والمصالح السياسية قامت بفتح جبهة مؤازرة لمملكة قشتالة.

أُرغم نصر على التنازل عن عرش غرناطة عام 713 هـ ليتولى أمرها إسماعيل الأول 713 – 725 هـ/1314 – 1325 م الذي اشتهر بالعدل والعفة، واهتم بأمر الجهاد. وحين قام القشتاليون بمهاجمة الأراضي الإسلامية استنجد إسماعيل ببني مرين وسلطانهم أبي سعيد، الذي رفض المساعدة لعدم استجابة إسماعيل لمطالب معينة.

تقدم الجيش القشتالي على غرناطة بجيش كبير بقيادة (دون بطرة ودون خوان) الوصيين على ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر، وسارت معهم قوات إنكليزية ذات نزعة صليبية، فوقعت المعركة في ربيع الثاني

عام(718 هـ/ 1318 م) قرب مدينة غرناطة وكان قائد الجيش الإسلامي شيخ الغزاة أبا سعيد عثمان بن أبي العلاء الذي أحرز النصر ورد كيد الأعداء .

وبعد اغتيال إسماعيل الأول عام(725 هـ / 1325م) خلفه ولده محمد الرابع(725 – 733 هـ/ 1325 – 1333 م) ، وفي عهده استطاع مسلمو غرناطة بالتعاون مع بني مرين من استعادة جبل طارق عام (733 هـ/1333 م) بعد أن سيطر عليه الجيش القشتالي منذ عام 709 هـ أما عن نهاية محمد الرابع فلم تكن أفضل من نهاية أبيه، فاغتيل أيضاً فخلفه أخوه يوسف الأول(733 – 755 هـ/1333 – 1354 م) الذي كان من أبرع ملوك بنى الأحمر، وفي عهده حدثت معركة بحرية في عام 740 هـ انهزم فيها المسلمون، واشتركت فيها قوات من قشتالة وأرغون والبرتغال، وبارك البابا هذه الحملة، ودخلت جيوشهم مملكة غرناطة .

عند ذلك قرر سلطان بني الأحمر الاستنجاد بالدولة المرينية فعبر سلطانهم إلى الأندلس، ووقعت معركة بين الطرفين في جمادى الأولى من عام (741 هـ/ 1340 م) استعمل المسلمون فيها المدافع التي تقذف النيران لكن المسلمين خسروا المعركة وعاث الإسبان فساداً في المعسكر الإسلامي وغنموا ما فيه، ووقعت هذه المعركة قرب طريف ولذا عرفت بوقعة طريف وعلى أثرها عقد السلطان المريني أبو الحسن الصلح مع بطره الأول ملك قشتالة، ووضعا قواعد لافتكاك الأسرى الذين كان من بينهم ابن السلطان (أبو عمر تاشفين) ، وفي عام(750 هـ/1349 م) سار ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر بقواته وحاصر جبل طارق، ولكن الوباء فشا في جيشه، وذهب ملك الإسبان ضحيته،

فاضطر جيشه، بعد قرابة سنة من بدء الحصار، إلى ترك الحصار والانسحاب، فتخلصت مدينة جبل طارق من الخطر.

بعد اغتيال يوسف الأول عام 755 هـ/1354 م مرت مملكة غرناطة بوضع مضطرب توالى على عرشها أمراء ضعاف لم يكونوا بمستوى المسؤولية، قد خلع بعضهم أكثر من مرة. كما وحَّدت الممالك الإسبانية جهودها من أجل استصفاء مملكة غرناطة وتوزيع تركتها فيما بينهم، وبارك البابا هذه الخطوة، إلا أنها تعثرت فترة من الزمن ، وفي الوقت نفسه عقد صلح بين مملكة غرناطة وبين الممالك الإسبانية أرغون وقشتالة، كالصلح الذي عقده السلطان محمد السادس (الغني بالله)(795 – 810 هـ/1393 – 1408 م) .

وفي عهد يوسف الثالث(810 – 820 هـ/1408 – 1417 م) جدد الهدنة مع مملكة قشتالة لمدة سنتين، وبعدها رفض القشتاليون تجديد الهدنة، فسيطروا على بعض الحصون وأصبح هذا السلطان تابعاً لهم وتبع يوسف الثالث عدة أمراء اختلفت قدراتهم بين القوة والضعف، وفي عهدهم دخلت مملكة غرناطة في حروب جهادية مع مملكة قشتالة الإسبانية خسرت فيها غرناطة بعض القواعد والحصون المهمة وكان سقوط مدينة جبل طارق بيد القشتاليين في عام(867 هـ/1462 م) على عهد السلطان سعد بن إسماعيل(858 – 868 هـ/1454 – 1464 م) قاصمة الظهر لمسلمي غرناطة، حيث حال هذا الأمر دون وصول الإمدادات من عدوة المغرب إلى الأندلس، هذه الإمدادات التي بدأت بالضعف منذ بداية ضعف الدولة المرينية التي سقطت عام(869 هـ/1464 م)، وحلت محلها دولة فتية هي دولة بني وطاس، ولكنها لم تكن في مستوى الدولة المرينية من حيث تقديم الإمدادات إلى الأندلس .

اتحدت مملكتا قشتالة وأرغون في عام(884 هـ/1479 م) على أثر الزواج الذي تم بين فراندة الخامس ملك أرغون وايزابيلا ملكة قشتالة في عام 874 هـ. فبعد هذا الاتحاد بدأت مفاوضاتهم مع مملكة غرناطة حيث طلبا من سلطانها أبي الحسن علي(868 – 887 هـ/1464 – 1482 م) شروطاً ثقيلة، رفضها السلطان الغرناطي، ففتح الباب أمام المناوشات المتبادلة فهاجم فراندة الخامس ملك أرغون غرناطة، واستولت قواته على مدينة الحمة (الحامة) الواقعة جنوب غربي غرناطة، فأمعنت في أهلها قتلاً، وذلك في المحرم من عام 887 هـ/1482 م، ثم زحف هذا الملك إلى مدينة لوشة وحاصرها، ولكن حاميتها استبسلت في الدفاع عنها وردت الغزاة على أعقابهم.

وتولى حكم غرناطة أبو عبد الله الصغير ولايته الأولى (887 – 888 هـ/1482 – 1483 م)

الذي خاض معركة حامية ضد جيوش قشتالة فهزمهم، ثم قاد جيشاً آخر فاتجه نحو قرطبة، وانتصر في عدة معارك، إلا أنه أُسر في معركة عند قلعة اللسانة وأخذ أسيراً، وتولى أمر غرناطة والده أبو الحسن علي(888 – 890 هـ/1483 – 1485 م) ومن ثم أطلق سراح أبي عبد الله الصغير عام(890 هـ/1485 م) بعد توقيع اتفاق لصالح قشتالة. وتولى أمر غرناطة أبو عبد الله الزغل (890 – 892 هـ/1485 – 1487 م) ثم عاد ابن أخيه أبو عبد الله الصغير مرة ثانية إلى عرشه (892 – 897 هـ/1487 – 1491 م) وخلال هذه الأحداث هاجمت القوات القشتالية مدينة لوشة مرة أخرى فدخلتها في عام 891 هـ بشروط لصالح قشتالة، ثم قامت حروب أسرية بين العم

(الزغل) وابن أخيه (أبي عبد الله الصغير) انتهت بتقسيم مملكة غرناطة بعد حصار دام سبعة أشهر صمد خلالها الغرناطيون، وفشلت كل محاولات الاقتحام المتكررة. ومع بداية شهر محرم من عام 897 هـ/أواخر عام 1491 م ونتيجة اليأس وانتشار الجوع والمرض، اجتمع أعيان المدينة واتفقوا على تسليمها .

ويمكن القول بالرغم من صغر مساحة مملكة غرناطة ، إلا أنها استطاعت أن تبقى لمدة طويلة وتقاوم ضغط الممالك الاسبانية الشمالية، وان تحافظ على الوجود العربي الاسلامي في الاندلس زهاء قرنين ونصف من الزمان، علماً أن تأسيسها تزامن مع ازدياد إصرار وتصميم الاسبان في القضاء على المسلمين نهائياً واسقاط دولتهم.

– العوامل التي ساعدت غرناطة على الصمود بوجه الأخطار الخارجية:

بعد أن ضعفت دولة الموحدين ظهرت العديد من الزعامات الأندلسية ومنها أبو عبدالله محمد بن يوسف بن الأحمر مؤسس مملكة

غرناطة والتي تتكون من ثلاث مدن كبيرة غرناطة والمرية ومالقه واستمر حكمها ما يقارب قرنين ونصف وحكمها عشرين سلطان واسباب صمود مملكة غرناطة بوجه الممالك الاسبانية يعود لعدة أسباب منها:

1-بعد مملكة غرناطة عن متناول أيدي الممالك النصرانية الاسبانية ، فهي محصورة في الزاوية الجنوبية لشبه الجزيرة الأيبيرية ، كما أن موقعها هذا سهل عليها الاتصال بعدوة المغرب ، طالبة العون منهم كلما اشتد عليها الضغط الاسباني ، وكانت الدولة المرينية أكبر عون لهذه المملكة الأندلسية .

2-اهتم سكان غرناطة بالجانب العسكري اذ حملوا السلاح وتهيؤوا لملاقاة الظروف الطارئة ، كما أضيفت إلى هذه القوة ، قوة الوافدين إلى غرناطة وهم المسلمون الفارون من هجمات الممالك النصرانية فبعد سقوط الحواضر الأندلسية بيد الاسبان لجأ الكثير من مقاتلة هذه المدن إلى غرناطة وأعتبروها ملاذا لهم أمام هذه المخاطر فأضافوا قوتهم إلى قوة سكان غرناطة الأصليين .

3- لا ينكر دور العامل الجهادي الذي التزم به سكان غرناطة وكان أحد أسباب صمودها لفترة طويلة أمام هجمات الاسبان ، فعامل الجهاد هو الذي ساعد على فتح الأندلس من قبل ، وهو دوما يحميها من المخاطر الخارجية .

4- دعم الدولة المرينية لها التي حكمت المغرب بعد سقوط الموحدين سنة (668هـ) .

حيث عملوا على ارسال الجنود والمؤن وغيرها من الأمور التي تساعد أهل غرناطة على الصمود

كما عملت الدولة (لمرينية) على تطبيق نظام يعرف (مشيخة الغزاة) و هذا النظام يعمل على تدريب المقاتلين عمل السلاح من أجل اعلاء كلمه (الله سبحانه و تعالى) وصد هجمات الممالك كذلك العمل على جعلهم التعاليم الاسلامية فضلا عن العلوم الشرعية و كان له الدور في دحر الممالك الاسبانية وكان يتولى المشيخة افراد من اسرة بني مرين حيث خاضوا معارك مهمة أهمها (معركة طريف) سنة إلى جزيرة طريف سنة 741هـ . حيث استطاعوا الانتصار على الممالك و تكبدهم خسائر فادحة .

5- تميزت غرناطة بكثرة الخيرات و تعتبر منطقة خصبة وتكثر فيها المواد الغذائية والمناخ الجميل هذا كله ساعدهم على الصمود بوجه الممالك الاسبانية .

وكما موضح حدود مملكة غرناطة

ومن أهم أعمال بني الأحمر في غرناطة هو بناء قصر السلطان أو قلعة سميت (قصر الحمراء) بنيت على مرتفع يبلغ 732 متر عن سطح البحر , عرض القلعة 200 متر , مساحتها 35 دونم وهذا القصر يتميز بعدة صفات اهمها : (أ)موقعها المنيع (ب) بناء اسوار لها (ج) بناء ابراج حمايه عالية خصوصا البرج الكبير .

س/ لماذا سمي بقصر الحمراء :

أ . لأن بني الأحمر كان في وجههم أحمر ولقبت نسبه اليهم .

ب . ان القلعة بنيت بالأجر الأحمر .

ج . المشاعل التي توقد في الليل تجعلها حمراء.

د . أن أبراج المدينة مصبوغة باللون الأحمر و أطلق عليها قصر حمراء .

2- من أعمالهم الأخرى المسجد الجامع الكبير في تلك القلعة يعتبر أهم المساجد .

3- أهتموا بالحركة العلمية لأن السلاطين أنفسهم كانوا طلاب علم وبنوا مدارس عجيبة .

4- أصبحت مجالسهم مجالس الأدباء والشعراء وأهم مؤرخ وشاعر وأديب هو ابن لسان الدين الخطيب الغرناطي وكان وزيرا وله عدة مؤلفات

إلا أن الدولة أي دولة بني الأحمر بدأت تفقد قوتها وسقطت على يد الممالك الاسبانية.

– الجانب الحضاري في عصر بني الأحمر ملوك غرناطة :

أولا– الجانب الثقافي لمملكة غرناطة:

وعلى الرغم من إن انحسار مساحة الحكم الاسلامي في الأندلس إلا أن هذا الانحسار لم يوقف النشاط الثقافي في مملكة غرناطة ، بل شجع سكانها على مزاولة نشاطهم المكتسب ممن سبقوهم في المعرفة من علماء وفي شتى المجالات ، وعلى الرغم من عدم الاستقرار في المجتمع الأندلسي بصورة عامة وغرناطة بصورة خاصة .

ومن مميزات الجانب الثقافي في غرناطة ما يلي :

1 – تميزت مملكة غرناطة بعطائها المتميز في النحو خاصة، والدراسات اللغوية عامة والتاريخ والعلوم الدينية .

2 – كان ملوك بني الأحمر يحاولون أن يكتسبوا تعاطف المثقفين عن طريق تشجيع الموالين للبلاط والإنعام على المثقفين الوافدين من أقطار المغرب بالوظائف والجرايات.

ومن المعلوم أن الازدهار الثقافي في الأندلس خلال عصر ملوك بني الأحمر لم يقتصر على علوم وفنون معينة، بل اتسعت فشملت علوم الأوائل وغيرها، إذ ازدهر علم الفلك وعلم الطب، وعلم الحساب وعلم الفلسفة والموسيقى، وتأكدت العناية بعلوم اللغة والشريعة والتاريخ، وكان العالم أو الأديب أو الفقيه من أعلام العدوتين . كما تدل

آثاره وإجازاته وكتابات من ترجم له في كتب التراجم والصلات مشاركاً في عدد من العلوم والفنون، ملماً بأطراف ومباحث منها، بل ومسهماً بالتأليف فيها على نحو ما نلاحظه في ابن الخطيب نفسه.

وقد اختلفت الحياة الثقافية في عهد بني الاحمر لأسباب تعود الى طبيعة الحياة واشتداد هجمة الاسبان الذين احاطوا بهذه الدولة من كل جانب وكثرة الثورات الداخلية وكثرة الهجرات من مدن الاندلس المختلفة الى دولة المسلمين التي اسسها بني الاحمر فبعد أن كانت مدن الاندلس في شبه الجزيرة الايبرية مراكز حضارية للثقافة والعلم انحسرت سيادة المسلمين إلا عن هذه الدولة.

وأبرز العلوم التي حظيت بعناية الحكام ومؤازرتهم لأصحابها العلوم الاسلامية، المختصة بالقران الكريم والعلوم الشريف (الحديث) كعلوم القراءات والتفسير والفقه ، فمن علماء التفسير ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741 هـ) وأبو حيان الغرناطي (ت: 745 هـ) وأبو عبد الله بن رشيد السبتني (ت: 711 هـ) صاحب الرحلة وإبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي صاحب الاعتصام والموافقات (ت 790 هـ) والقاضي النباهي صاحب المرقبة العليا والحسن بن ابراهيم البلوي (ت: 740 هـ) وأحمد بن محمد الرعيني (ت: 744 هـ) ومحمد بن احمد بن صفوان القيسي (ت: 747 هـ)

وقد كانت المجالس العلمية، والندوات الأدبية، والمحافل الجدلية التي شهدت ازدهاراً ونماءً في قصور السلاطين وكبراء دولة بني نصر بغرناطة، وبني مرين بفاس، وفي بيوتات مثقفي العصر في تينك العاصمتين من الدعائم الأصيلة في انتعاش حركة العلوم والآداب، واتساع دائرة التأليف والتصنيف في ذلك القرن.

ومن نماذج هذا العصر في التأليف لسان الدين ابن الخطيب (ت: 776هـ) وزير، طبيب، أديب، مؤرخ، وفقيه مالكي أندلسي. نشأ لسان الدين بغرناطة، وتأدّب على شيوخها، وهم كثر، فأخذ عنهم القرآن، والفقه، والتفسير، واللغة، والرواية، والطب، وصناعة التعديل التزم خدمة عدد من السلاطين كأبي الحجاج والسروي محمد الخامس المعروف بالغني بالله وتعرف على علماء المغرب وأصحاب مناصبها كابن خلدون وغيره وبدأ فيها يكتب بعض آثاره المنظومة والمنثورة. وله تأليفات كثيرة تربو على الستّين مؤلّفاً، ما بين كتاب ورسالة، منها: آداب الوزارة، الإحاطة في أخبار غرناطة، أوصاف الناس في التاريخ والصلاة، جيش التوشيح، رقم الحلل في نظم الدول، روضة التعريف بالحب الشريف، ريحانة الكتاب وغيرها.

ثانيا- الجانب العمراني : ولما غلب محمد بن الأحمر على غرناطة في سنة 635 هـ (1238 م)، أنشأ فوق هذا الموقع القديم، وداخل الأسوار، حصنه أو قصره الذى أطلق عليه اسم الحمراء، وجلب له الماء من نهر حدرُّه، واتخذه قاعدة للملك، وأنشأ فيه عدة أبراج منيعة منها البرج الكبير المسمى برج الحراسة ، والبرج المقابل له، وأنشأ له سوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة. والظاهر أنه بنى مسكنه في الجنوب الغربي من الحصن ومن المرجح أن اسم الحمراء يرجع إلى قيام قصر ابن الأحمر فوق أطلال قلعة الحمراء القديمة، وليس إلى تسميته باسمه وقد ذكر البعض أن إطلاق اسم الحمراء على صرح غرناطة الملكي يرجع إلى احمرار أبراجه الشاهقة، أو إلى لون الآجر

الأحمر الذى بنيت به الأسوار الخارجية. وقيل أيضاً إن التسمية ترجع إلى لون المشاعل الحمراء التي كان يجرى البناء ليلا على ضوئها.

واستمر في البناء من بعد محمد بن الأحمر، ولده محمد الفقيه الملقب بالغالب بالله، فأنشأ الحصن والقصر الملكي في أواخر القرن السابع الهجري، وأنشأ حفيده محمد إلى جانب القصر في الجنوب الشرقي منه، مسجداً بديعاً افتن في ترقيشه وزخرفته في المكان الذى تحتله اليوم كنيسة سانتا ماريا،

وقد بنيت معظم أجنحة الحمراء الملكية في القرن الرابع عشر في عهد السلطان أبى الوليد إسماعيل، وولده يوسف أبى الحجاج، وابنه محمد الغنى بالله. ولسنا نعرف شيئاً محققاً عن المهندسين أو الفنانين الذين قاموا على إنشائها. وتدين الحمراء بفخامتها الرائعة إلى السلطان يوسف أبى الحجاج، الملك الشاعر والفنان الموهوب، فقد زاد في القصر زيادة كبيرة، وأكمل بهو قمارش الضخم، والبرج الشاهق الذى يعلوه، وأسبغ عليه روائع الفن والزخرف، وأنشأ العقد الشاهق الذى يكون مدخل القصر الرئيسي، وهو المسمى "باب الشريعة" وهو يحمل فوق عقده، اسمه وتاريخ إنشائه (749 هـ – 1348 م). وكان اسم الحمراء يطلق على هذه المجموعة الملكية الفخمة كلها وتقع أبنية الحمراء فوق هضبة مرتفعة يبلغ طولها 736 متراً وعرضها نحو مائتي متر، وتشغل نحو خمسة وثلاثين فداناً. ويحيط بالحمراء سور ضخم يتخلله ثلاثة عشر برجاً، بقى منها إلى اليوم عدة، منها برج قمارش وهو أعظمها، وبرج السلاح، وبرج المتزين، وبرج العقائل، وبرج الأسيرة وغيرها

ويمكن أن نقسم أبنية قصر الحمراء إلى مجموعتين أو جناحين كبيرين، الأول قصر قمارش، والثاني قصر السباع، وهو الذي يتوسطه بهو الأسود أو بهو السباع ونافورته الشهيرة.

أ- قصر قمارش:

والجناح الأول هو أول ما يرى الزائر، تتقدمه الساحة المعروفة "بفناء البركة" ، أو فناء الريحان، وهى عبارة عن فناء كبير مستطيل مكشوف، تتوسطه بركة من الماء تظللها أشجار الريحان ويفضى فناء الريحان من ناحيته الشمالية، إلى بهو صغير به قبلة زينت بنقوش بديعة، ويفضى هذا البهو الصغير بدوره إلى أعظم وأفخم أبهاء الحمراء، وهو بهو قمارش، أو بهو السفراء وبهو قمارش، هو عبارة عن بهو مستطيل، طوله ثمانية عشر متراً وعرضه أحد عشر، تعلوه قبة خشبية شاهقة يبلغ ارتفاعها ثلاثة وعشرون متراً، وقد حفرت زخارفها على شكل النجوم، وزخرفت جدرانها على نفس الطراز، وفي هذا البهو كان يعقد مجلس العرش، ولهذا سمى أيضاً بالمشور. ويعلو بهو قمارش، البرج المسمى بهذا الاسم وهو برج شاهق في مثل مساحته وقد بدأ بإنشاء بهو قمارش، السلطان أبو اليد إسماعيل، في أوائل القرن الثامن للهجرة (أوائل الرابع عشر الميلادي) وأكمله ولده السلطان يوسف أبو الحجاج. وأروع ما فيه زخارف قبته التي احتفظت بنقوشها الأصلية؛ أما نقوش الجدران، فإنها مع جمالها ليست إلا تجديداً مقلداً لنقوشها القديمة، قام بها الفنانون الإسبان. وقد وردت فيها العبارة الآتية مكررة "عز لمولانا السلطان أبى الحجاج"، وتخللها في سائر جوانبها شعار بنى نصر المشهور، وهو "ولا غالب إلا الله" .

ب- قصر السباع:

وهو عبارة عن فناء مستطيل مكشوف، طوله خمسة وثلاثون متراً، وعرضه عشرون، تحيط به من الجوانب الأربع مشرفيات أو أروقة ذات عقود، تحملها مائة وأربعة وعشرون عموداً من الرخام الأبيض، صغيرة

الحجم، متناهية في الجمال والرشاقة، وعليها أربع قباب مضلعة، تقع كل واحدة منها وسط ضلع من أضلاع المستطيل وفي وسط الفناء نافورة الأسود الشهيرة، وهى عبارة عن نافورة ماء، يحمل حوضها المرمرى المستدير الضخم، اثنا عشر أسداً على شكل دائرة، وقد نقشت فوق دائرة هذا الحوض اثنتى عشر بيتا من قصيدة ابن زمرك الشهيرة في وصف الحمراء، أمام كل أسد بيت منها، وهذا مطلعها:

تبارك من أعطى الإمام محمدا ... مغانىَ زانت بالجمال المغانيا

وإلا فهذا الروض فيه بدايع ... أبى الله أن يلقى لها الحسن ثانيا.

وفي منتصف الناحية الجنوبية من بهو السباع، يوجد مدخل قاعة بنى سراج وهو اسم الأسرة الغرناطية الشهيرة، التى لعبت دوراً كبيراً في حوادث غرناطة الأخيرة. وهى عبارة عن مستطيل طوله اثنا عشر متراً وعرضه ثمانية، وفوقه قبة عالية مضلعة، وفي وسطه حوض نافورة مرمرى مستدير، وفي قاعه بقع داكنة ثابتة، تزعم الأسطورة أنها آثار من دماء بنى سراج، الذين دبر لهم السلطان كميناً، واستدرجهم إلى الحمراء، ودبر مقتلهم في هذه القاعة واحداً بعد الآخر وفي الناحية الشرقية لفناء الأسود، يوجد مدخل القاعة التي تسمى قاعة الملوك أو قاعة العدل، وبها ثلاث عقود أو حنايا، رسمت في سقف الحنية الوسطى منها، صور عشرة فرسان مسلمين، يلبسون العمائم ويجلسون على وسائد، وهيئاتهم تشع بالوقار والعزة، ويقول بعض الباحثين إن هذه هي صور ملوك غرناطة العشرة، الذين سبقوا أبى عبد الله في تولى العرش وفي شمال فناء الأسود يقع البهو المسمى "منظرة اللندراخا" ويوجد بين قاعة الأختين وبين منظرة اللندرخا، باب يفضى إلى ساحة مستطيلة لم تكن من أبنية الحمراء الأصلية، ولكنها أنشئت أيام الإمبراطور شرلكان ويتصل بهذه الساحة رواق وهو عبارة عن بهو

صغير منخفض، وقد أنشيء في القرن السادس عشر، ورسمت على جدرانه صور وزخارف نصرانية من طراز عصر الأحياء.

تلك هي محتويات قصر الحمراء، ولا يتسع المقام هنا لننقل إلى القاريء، ما نقش على جدرانه، وما في قبابه من النقوش والقصائد العديدة. ولكن الذي يلفت النظر بنوع خاص، أن شعار بنى نصر وهو "ولا غالب إلا الله"، قد نقش في كل ركن من أركانه، وكل ناحية من نواحيه. وتكرار هذا الشعار على هذا النحو يبعث إلى النفوس شعور النبؤة والنذير، ويذكرها بالمأساة الخالدة، التى توالت حوادثها بين هذه الجدران الصامتة، التى يكاد الأسى يرتسم على زخارفها العربية ونقوشها الإسلامية .

ج- قصر جنة العريف:

يقع هذا القصر على مقربة من قصر الحمراء وهو يقوم على ربوة مستقلة عالية، تقع في ركن منعزل في شمال شرقي الهضبة، ويشرف من ربوته العالية على صروح قصبة الحمراء، وتبدو من ورائه آكام جبال سيرّا نفادا الشامخة (جبل الثلج). وهو عبارة عن صرح صغير أنيق المنظر، قد اختلطت أوضاعه العربية السفلى، بما أنشأه الملوك الإسبان فوقها من أبنية دخيلة، وتجوز إليه من مدخل بسيط متواضع، يفضى إلى ساحة فسيحة، قد أقيم على جانبها رواقان ضيقان طويلان، وفي وسطها بركة ماء، وقد غرست حولها الرياحين والزهور الساحرة وقد كان قصر جنة العريف فيما يبدو مصيفاً أو متنزهاً لسلاطين غرناطة، يؤمونه للاستجمام والراحة، والاستمتاع بجمال موقعه، وروعة المناظر الطبيعية التي تحيط به.

من معالم غرناطة العمرانية (بهو الأسود) وهو الفناء الرئيسي في قصر الحمراء .

- أسباب سقوط غرناطة سنة 897هـ وما بعدها:

يمكن أن نوجزها بالآتي:

1- سقوط (دولة بني المرين في المغرب حيث كانت الظهير بني الأحمر لأن عن طريقهم يحصلون على الإمدادات .

2-سقوط منطقة جبل طارق 867هـ بيد الممالك سقوطها قطعت الإمدادات عن الأندلس .

3-حدوث خلافات بين السلاطين بني الأحمر حول السلطة مما أدى إلى ضعف واستغلال الممالك ذلك الأمر.

4-سقوط المدن و الحصون التابعة لغرناطة بيد الممالك أدى ذلك فقدانهم أهم الحصون والمدن كالمرية إلا أنها تعتبر سور منيع ضد الممالك .

5-اتحاد الممالك الاسبانية وخصوصا مملكة قشتالة وأرغون سنة 884 هـ حيث كانت قشتالة تقودها ازابيلا وارغون يقودها فرناندو و تزوج فرناندو من ازابيلا وادى هذا اتحاد المملكتين إلى قوة الممالك والعمل على الضغط على مدينه غرناطة.

6-كثرة الوباء و الأمراض داخل غرناطة مما أدى إلى حدوث مجاعة في غرناطة .

هذه الأسباب أدت إلى سقوط غرناطة إذ بدأ سنة897هـ / 1492م . بفرض حصار حول غرناطة وكان حصار شديد استمر سبعة أشهر من قبل المملكتين الكاثوليكيين حيث قطعوا عنها المياه و المؤن مما ادى إلى حدوث مجاعة واجتمع مجلس الحرب في الممالك الاسبانية

وأرسلوا إلى اخر سلطان من بني الأحمر وهو أبو عبد الله اصغير يطلبون منه تسليم غرناطة في البداية رفض أبو عبد الله إلا انه في النهاية بعد الحصار الشديد اجتمع مجلس الإدارة في غرناطة من أجل عرض تلك الأمور والعمل بماذا يقررون واتفق الجميع على تسليم غرناطة إلا أن قائد الجيش رفض وغادر المدينة و تم توقيع معاهده تسليم بين غرناطة و الممالك هذه المعاهدة تضمنت أكثر من 67 شرطا من تلك الشروط :.

1_ عدم تنصير أي مسلم .

2- احتفاظ المسلمين بقضائهم وشرعهم بإشراف حاكم اسباني .

3 - ترك حرية العبادة للمسلمين اي عدم اضطهادهم وعدم المساس بالمساجد وعدم تحويلها إلى كنائس وعدم المساس بأموال المسلمين .

4- يذهب المسلمين إلى افريقيا بسفن ملك الاسبان مدة 3 سنوات دون مقابل.

6- يعاملهم الحاكم الاسباني بالرفق واللين.

7- يوافق البابا على الوثيقة.

عندئذ تم توقيع المعاهدة وخروج أبو عبد الله من الباب الخلفي للقلعة إلى منطقة اندرش ثم بكى الأمير قالت له أمه : لا تبكي مثل النساء لقد ضيعت ملكك وبذلك سقطت غرناطة آخر معاقل العرب بيد الممالك سنة(897هـ / 1492م) .

إلا أن النصارى نقضوا عهدهم مع المسلمين وعملوا على تنصير المسلمين و كذلك إجبارهم لبس ملابس خاصة و السيطرة على مساجدهم وتحويلها إلى كنائس واطلقوا عليها اسم الموركسيون أي المسلمون الصغار ؟ لأنهم من الخارج نصارى وفي باطن قلبهم مسلمين ، ومنعوهم دخول المساجد يوم الجمعة هذه الأمور أدت إلى هجرة المسلمين إلى مصر والقيام بثورات ضدهم.

ثورات سكان غرناطة بعد سقوطها ضد الممالك النصرانية:

أولا – الثورة الأولى هي ثورة البيازين :.

إلا أن العرب قرروا قيام ثورة غرناطة عرفت بثورة البيازين904 هـ/ 1499 م) وهو حي من أحياء غرناطة وكان سبب هذه الثورة عندما حاول جندي اسباني الاعتداء على امرأة مسلمة في سوق البيازين تمكنوا من قتله وتوجهوا إلى حاكم المنطقة في قلعة الحمراء إلا أنهم تمكنوا من تهدئة المسلمين.

ثانيا– الثورة الثانية هي ثورة البشرات :ـ

وقعت سنة 906 هـ /1501 م ثورة (البشرات) التي قام بها المسلمين وهي منطقة جبلية تقع جنوبي غرناطة ومن هناك بدأوا مقاومة الاسبان إلا أن الاسبان استطاعوا الانتصار على المسلمين المورسكيون سنة

1502هـ واستخدموا معهم أبشع و سائل التعذيب والإهانات ، كما تم تشكيل من قبل الاسبان محاكم خاصة بالمسلمين عرفت (محاكم التفتيش) وكانت ضد المسلمين حيث تجري المحكمة بالمسلم صورية وتقوم فورا بتنفيذ الأحكام بهم و تعمل على تعذيب المسلمين بأبشع وسائل التعذيب إلا أن انتهى وجود العرب المسلمين في الأندلس .